بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

قال القاضي الاعدل ، الحجة الاكمل ، الحافظ الافضل ، المجد أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، رحمه الله :

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل صلواته على مصطفاه محمد خاتم النبيئين ، وقفت ــ أدام الله توفيقك ، ونهج لمهيع (1) الحق طريقك ــ ، على ما سألت عنه من حديث أم زرع ، وتفسير مشكل معانيه وأغراضه ، وفتح مقفل غريبه وألفاظه ، فاستعنت الله عز وجل عى اجابتك ، واستمددته التوفيق الى الصواب من قصد ارادتك ، والله يعصم كلا بتقواه ، ويسبغ عليك «1» نعماه ، بعزته لا اله سواه ، ورأينا

«1» عليك : ز س ، علينا : ك .

(1) « لمهيع » : طريق مهيع (كمقعد : اى بفتح الميم وسكون لهاء وفتح الياء) : طريق واضح واسع بين . ولفظ « مهيع » شذ عن القياس فصح ، وكان الحكم ان يعتل ، لانه « مفعل » مما اعتلت عينه ، كما قال ابن منظور . اى : كان الحكم ان يقال « مهاع » بالاعلال ، ولكن شذ عن هذا الحكم فبقي صحيحا غير معل . « لمهيع الحق » : اصل الكلام : لطريق الحق المهيع . حذف كلمة « طريق » على حذف المضاف لانها مضافة الى « الحق » ، ثم اضاف « المهيع » الى « الحق » من اضافة الصفة للموصوف .

أن نبتدىء بالحديث وسياق «2» متـــنه ، مع اختلاف ألفـــاظ نقلته ، وزيادة بعضهم على بعض فى سرده ، ثم نذكـــر بعد ذلك علة اسناده ، وشرح غريـــبه ، وعويص اعرابــــه ، ومعـــانى فصوله ، وما يتعلق به من فقه ، وتنقدح «3» منـــه من فائدة ، ويتجه فيه من وجه ، بحول الله تعالى . وطرقنا فى هذا الحديث كثيرة متشعبة ، جئنا ببعضها عن أئمة شيوخنا ، وبعضهم يزيد على بعض ، وفى متن الحديث بيـــنهم اختلافات وزيـــادات ، وتقديم وتأخير ، فجئنا بأكملها رواية ، وأحسنها سياقـــا «4» بعد تقديم أشهر أسانيدنا فيها ، ايثارا للاختصار والائتـــلاف ، واستظهارا بمن نهج لنا هذه السبيل من قدوة الأسلاف ، ونبهنا على موضع الخلاف فيها ، مما يفيد فائـــدة ، أو يزيده فقـــرة شاردة ، وثم زيادات من غير الطرق التى ذكرناهـــا ، جلبـــنـــا بعضها ، ونبهنا على ما أمكن منها ، والله ولى التوفيق .

حدثنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بـــن عتاب قراءة منى عليه ، قال : حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد «5» الطرابلسى ، قال : حدثنـــا أبو الحسن على بـــن خلـــف القابســـى الفقيـــه .

وحدثنا الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد الغسانى فيما كتب بـــه الى ، قال : أنبأنـــا القاضى سراج بن عبد الله ،

«2» سياق : س ، سياقة : زك . ولعل الاصوب الاول . والسياقـــة للماشيـــــــة .
«3» تنقدح : ز س ، ينقدح : ك .
«4» سياقا : س ، سياقة : ز .
«5» حاتم بن محمد : ك ، حاتم بن عبد الرحمن : ز س وهو غلط .

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى ، قالا «6» : حدثنا أبو زيد محمد بن أحمد المروزى ، قال حدثنا محمد بن يوسف ، قال : حدثنا محمد بن اسماعيل (2) ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وعلى بن حجر ، قالا : أخبرنا عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة (3) قالت : جلس احدى عشرة امرأة .

وحدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى قراءة منى عليه فأقر به وشيخنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ وغير واحد ، قالوا : أخبرنا أبو مروان ابن سراج الحافظ ، قال : أخبرنا أبو القاسم الزهرى ، قال : أخبرنا أبو زكرياء ابن عائد .

وحدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قراءة منى عليه ، قال حدثنا القاضى عيسى بن سهل ، قال : حدثنا أبو

«6» قالا : زم ، قال : س وهو غلط لان القائل القابسي والاصيلي .

---

(2) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى البخاري . امير المؤمنين فى الحديث ، واول من افرد الصحيح من الحديث بالتصنيف ، الف « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير » فى تراجم رجال الحديث و « الادب المفرد » وجزءا فى خلق افعال العباد وجزءا فى رفع اليدين فى الصلاة وكتابا فى الضعفاء ، وكلها مطبوعة . ولد سنة 194 هـ ، وتوفى فى قرية « خرتنك » باقليم سمرقند سنة 256 هـ .

(3) هي أم المؤمنين عائشة بنت ابى بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضى الله عنهم . فقيهة ، ومكثرة من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكثرة علمها وفقهها وذكائها كانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه . ولدت بعد البعثة النبوية بأربع سنين او خمس ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقيل سنة سبع وخمسين .

عبد الله ابن عتاب ، حدثنا أبو المطرف القنازعى ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يحيى ، قالا «7» : حدثنا أحمد بن خالد ، قال : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام (4) ، عن حجاج ، عن أبى معشر ، عن هشام بن عروة وغيره من أهل المدينة ، عن عروة ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اجتمعت احدى عشرة امرأة

وقرأت على القاضى الشهيد أبى علي الحسين بن محمد الحافظ ، حدثكم الامام أبو القاسم عبد الله بن طاهر البلخى ، عن الشيخ أبى بكر محمد بن عبد الله بن الحسين المقرى والفقيه أبى عبد الله محمد بن أحمد المحمدى والقاضى أبى على الحسن «8» بن على بن محمد الوخشى ، قالوا : أخبرنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد الخزاعى ، قال : أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى ، قال : حدثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الحافظ (5) ، قال : حدثنا على بن حجر ، أخبرنا عيسى بن يونس ، عن هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : جلس احدى عشرة امرأة . . .

«7» قالا : ز ، قال : س وهو غلط .

«8» الحسن : ز ك ، الحسين : م س .

---

(4) هو ابو عبيد القاسم بن سلام ، من كبار العلماء بالحديث والادب والفقه . صاحب كتاب « الاموال » ، وصاحب « الغريب المصنف » فى غريب الحديث وكتب اخرى . توفى سنة 224 هـ .

(5) هو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذي ، صاحب « السنن » و « الشمائل » و « التاريخ » و (العلل) . توفى سنة 279 هـ .

وحدثنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد العتابى ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن ربيع التميمى ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن معاوية القرشى ، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (6) ، أخبرنى ابراهيم بن يعقوب ، حدثنا عبد الملك بن ابراهيم ، حدثنا محمد بن محمد أبو «9» نافع حدثنا القاسم بن عبد الواحد ، حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فخرت بمال أبى فى الجاهلية ، وكان ألف ألف أوقية فقال النبى صلى الله عليه وسلم . اسكتى يا عائشة ، فانى كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ «10» يحدث الحديث .

وحدثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الصدفى والفقيه أبو بحر سفيان بن العاصى الاسدى سماعا عليهما وغير واحد ، قالوا : حدثنا الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر العذرى «11» ، قال : حدثنا أبو العباس الرازى .

وحدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله ابن أبى جعفر بقراءتى عليه وغيره ، قالوا : حدثنا امام الحرمين أبو عبد الله الطبرى ،

«9» ابو : ز س ، ابن : ك .
«10» ثم انشأ : س ، ثم انشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ز .
«11» العذري : ز ك ، العدوي : س وهو تصحيف .

---

(6) هو ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر النسائي ، صاحب « السنن » ، وهي « السنن الصغرى » او « المجتبى من السنن الكبرى » ، وله ايضا « السنن الكبرى » وغيرها . توفى سنة 303 هـ .

قال : حدثنا عبد الغافر بن محمد الفارسى ، قال هو والرازى : حدثنا أبو أحمد الجلودى ، قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج (7) ، حدثنا على بن حجر السعدى وأحمد بن جناب ، كلاهما عن عيسى بن يونس ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أخيه عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة . . .

وبعضهم يزيد على بعض ، ولبعضهم زيادة من غير هذه الطرق ، فأكثرها غرائب وزيادات : ما حكاه ابن الانبارى (8) من رواية الهيثم بن عدى ، عن هشام بن عروة ، عن عائشة ، . أنها قالت : « جلس احدى عشرة امرأة فى الجاهلية » ، وفى رواية : « اجتمعن » ، وفى اخرى : « جلسن » ، و « نسوة » مكان « امرأة » ، ووقع فى بعض طرق النسائى : « جلس عشر نسوة فتعاهدن وتعاقدن » ، وقال بعضهم : « أن يتصادقن ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا » .

قالت الاولى : « زوجى لحم جمل غث » ، ويروى : « قحر » ، « على رأس جبل وعر » ، ويروى :

(7) هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صاحب « الجامع الصحيح » و « المسند الكبير » على الرجال وكتاب « العلل » وكتاب « الطبقات » وغيرها . توفى سنة 261 هـ .

(8) هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار المشهور بابن الانباري ، من أعلم اهل زمانه بالادب واللغة ، ومن اكثر الناس حفظا للشعر والاخبار . اجل كتبه « غريب الحديث » وله « الامالي » وشرح « معلقة زهير » و « عجائب علوم القرآن » وغيرها . توفي سنة 328 هـ .

« وعث » ، « لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى » ، ويروى : « فينتقل » ، وفى بعض الروايات : « على رأس قــوز وعث ، ليس بلبد فيتوقل ، ولا سمين فيتنقل « 12 » ، ولا لى عنـــده معول ، ويروى : ولا له عندى معول .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ، وفى روايــة : أنــث ، ويروى : أنبىء ، انى أخاف أن لا أذره ، زاد بعضهم : ولا أبلغ قدره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قالت الثالثة : زوجى العشنــق ، ان انطق أطلــق ، وان اسكت أعلق ، وفى رواية : على حد السنان المذلق «13» .

قالت الرابعة : زوجى كليل تهامة ، زاد بعضهم : والغيث غيث غمامة ، لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة ، ويروى : لا حــر ولا وخامة ، زاد الهيثم بن عدى : ولا يخاف خلفه ولا أمامه .

قالت الخامسة : زوجى ان دخل فهــد ، وان خرج أســد ، ولا يسأل عما عهد ، وقال بعضهم : يأكل ما وجد ، ولا يســأل عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغد .

قالت السادسة : زوجــى ان أكل لــف ، ويــروى : رف « بالراء » ، ويروى : اقتف ، وان شرب اشتــف ويــروى : استــف ، وان اضطجــع ـ ويــروى : هجــع ـ الـتــف ،

«12» فيتنقل : م ، فينتقل : ز س .
«13» المذلق : هذا هو الصواب ، وهي بالاصول : المدلق .

واذا ذبح اغتث ، ولا يولج الكـف ايعلـم البـث ، ويـروى : اللـبـث .

قالت السابعة : زوجى عياياء ، قال بعضهم : أو غياياء ، حماقاء ، طباقاء ، كل داء له داء ، شجك ، أو فلك ، أو بجـك ، أو جمع كلا لك .

قالت الثامنة : زوجى : الريح ريح زرنب ، والمس مـس أرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قالت التاسعة : زوجى رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد ، وزاد بعضهم : لا يشبع ليلـة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قالت العاشرة : زوجى مالك ، وما مالك ؟ ! ، مالك خير من ذلك ، لـه ابـل قليـلات المسـارح ، كثـيرات المبـارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقـن أنهـن هوالـك ، وفى بعـض الروايـات : وهـو امـام القـوم فى المهـالك ، وفى بعـض الروايات : زوجى أبو مالك ، وما أبو مالك ؟ ! ، ذو ابـل كثيرة المسالك ، قليلة المبارك ، وفى بعضهـا : كثيـرة المسـارح ، قليلة المبارح .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلى أذنى ، وفى رواية : أذنى وفرعى ، وملأ من شحم عضدى ، وبجحنى فبجحت الى نفسى ، ويروى : فبجحت نفسى

الى ، ويروى : فبجحت ، ويروى : أذنيه وعضديــه ، واليــه ، وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، ويروى : فوجدنى فى أهلــى ذات غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق «14» ، ويروى : فجعلنى بين جامل وصاهل ودائس ومنــق ، فعنــده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقمــح ، ويروى : فأتقنح ، ورواه بعضهم : فأتفتح ، زاد بعضهم : وآكل فأتمنح .

أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ ! ، عكومها رداح ، وبيتها فساح ، زاد بعضهم : وفناؤها فياح .

ابن أبى زرع ، فما ابن ابــى زرع ؟ ! ، مضجعه كمســل شطبة ، وتشبعه ذراع الجفرة ، وفى بعض الروايات «15» : وترويه فيقة اليعرة ، ويميس «16» فى حلق النثرة «17» .

بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟ ! ، طوع أبيها ، وطوع أمها ، ويروى : زين أبيها وزين أمها ، وغيظ جارتها ، — ويروى : عقر جارتها ، ويروى غير جارتها ، ويــروى : عبر جارتهــا ، ويروى : حير جارتها ، ويروى : وحين ، وحبر — ، وصفــــر ردائها ، وملء كسائها ، ويروى : ازارها ، وخير نسائها ، زاد الهيثم فى روايته : برود الظل ، وفى الال ، كريم الخل .

«14» ودائس ومنــق : ز ، ودياس : س ، والاولى روايــة البخارى ومسلم ، والثانية رواية النسائى .
«15» وفى : م س ، زاد بعضهم فى : ز ، زاد فى : ك .
«16» ويميس : ز م ك ، ويميل : س .
«17» النثرة : ز ، النشرة : س وهو تصحيف .

جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ ! ، لا تبث حديثنا تبثيثا ، ويروى : تنث « بالنون فيهما » ، ويــروى : لا تخــرج حديثنا تبثيثا «18» ، ولا ــ تنقل ، ويروى : تفسد ، ويروى : تهلك ، ويروى ــ تنقث ميرتنا تنقيثا ، ويروى : تقشيشا «19» ، ويروى : ولا تغث طعامنا تغثيثا ، ويروى تــغــش طعــامنــا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ، ويروى : تغشيشا ، زاد ابن عدى : ولا تنجث عن أخبارنا تنجيثا ، وزاد :

ضيف أبى زرع ، فما ضيــف أبى زرع ؟ ! ، فى شــبــع ورى ورتــع .

طهاة أبى زرع ، فما طهــاة أبى زرع ؟ ! ، لا تفتــر ولا تعدى ، تقدح قدرا ، وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة الاولى .

مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ ! ، على الجمــم «20» معكوس ، وعلى العفاة محبوس .

قالت : خرج أبو زرع يوما والاوطاب تمخض ، وفى رواية ابن السكيت (9) : والوطاب تمخض ، فلقى امرأة معهــا ولدان كالفهدين ، ويروى : كالصقرين ، يلعبان من تحت خصرهــــا برمانتين ، ويروى : من تحتها ويــروى : من تحت صدرهــا ،

«18» تبثــيثا : ز ، تفتيشا : م ك .
«19» تقشيشا ز م ك ، تقثيثا : س .
«20» على الجمم : ز ك ، على الجم : س وهو غلط .

---

(9) هو ابو يوسف يعقوب بن اسحــاق ، المشهور بابن السكيــت ، صاحب كتاب « اصلاح المنطق » وله « غريب القرآن » وكتــب اخرى ، توفي سنة 224 هـ .

ويروى : فمر بجارية «21» شابة يلعب «22» من تحت درعها برمانتين ، فطلقنى ونكحها ، زاد بعضهم : فاستبدلت وكل بـــدل أعور ، فنكحت بعده رجلا ــ ويروى : شابا ــ سريــا ، ركب فرسا شريا ، ويروى : عربيا ، ويروى : أعوجيا ، وأخذ رمحــا خطيا ، وأراح على نعما ثريــا ، وأعطانى من كل رائحـــة ــ ويروى : سائمة ــ زوجا ، وفى روايـــة : وأراح على من كـــل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين ، وفى كتاب مسلم : من كل ذى رائحة ، وقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك . فلو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع ، ويروى : فلو جمعت كل شىء أصبته منه فجعلته فى أصغر وعاء من أوعية أبى زرع ما مـــــلأه .

قالت عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلـــــى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، وفى رواية ابن حبيب : قالت عائشة : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلـــم كثيرا ما يقول اذا داعبنى : يا عائشة كنت لــك كأبى زرع لأم زرع ، زاد فى بعض الروايات : انه طلقهــا وانى لا أطلقـــك ، ذكرها أحمد بن خالد (10) فى مسنده ، وكـــذا زاده مصعـــب الزبيرى وغيره عن هشام بن عروة ، وروى مثـــله عن اسماعيل

«21» بجارية : ز م ك ، بجارة : س .
«22» يلعب : س ، تلعب : ز .

(10) هو ابو عمرو احمد بن خالد بن يزيـــد القرطبى ، كان شيـــخ الاندلس فى عصره . له « مسند مالك » وغيره . توفى سنة 322 هـ

ابن أبى أويس (11) عن أبيه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه : غير أنى لا أطلقك ، وفى رواية أخرى : كنت لك كأبى زرع لأم زرع فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء ، رواها ابن الانبارى ، وهو من معنى الرواية الاخرى ، وبهذا تتم الفائدة . قالت عائشة : قلت يا رسول الله بل أنت خير لى من أبى زرع .

وقد روينا من طريق الزبير بن بكار (12) هذا الحديث بغير سياق من تقدم ، وفيه زيادات ومخالفة «23» فرأينا سياقه «24» على نصه . حدثنا الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله املاء من لفظه سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، قال : حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى ، قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر ، حدثنا أبو

«23» ومخالفة : ز ك ، مخالفة : م س .
«24» سياقه : س ، مساقه : ز .

---

(11) هو أبو عبد الله اسماعيل بن عبد الله بن عبد الله ابن ابي عامر الاصبحي ، ابن عم مالك بن انس وابن اخته وزوج ابنته . وقيل : اسم ابيه عبد العزيز ، وقيل غير ذلك ، والاصح الاول كما قال القاضي عياض فى ترتيب المدارك . توفى اسماعيل سنة 226 هـ ، وقيل : سنة 227 . وتوفى ابوه سنة 169 هـ . وهو وابوه متكلم فيهما .

(12) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الاسدي المكي . عالم بالانساب واخبار العرب ، راوية له تصانيف منها « اخبار العرب وايامها » توفى سنة 256 هـ .

الحسن الدارقطنى (13) . قال الشيخ أبو الحسين : وحدثنا القاضى أبو الحسين ابن المهتدى «25» وأبو الفضل عبيد الله بن أحمد الكوفى ، قالا : حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيدلانى المقرى واللفظ له ، قالا «26» : حدثنا يزداد بن عبد الرحمن الكاتب ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى بعض نسائه ، فقال : يا عائشة أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت : يا رسول الله : وما حديث أبى زرع وأم زرع ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن ، وكان منهم احدى عشرة امرأة ، وانهن خرجن الى مجلس لهن ، فقال بعضهن «27» لبعض : تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ، قال : فبايعن على ذلك .

فقيل للاولى : تكلمى بنعت زوجك ، فقالت : الليل ليل تهامة ، والغيث غيث غمامة ، ولا حر ولا وخامة .

قيل الثانية ـ وهى عمرة بنت عمرو ـ : قولى ، فقالت :

«25» ابن المهتدي : س ، المهتدي : ز .
«26» قالا : زم ، قال : س .
«27» بعضهن : ز س ، بعضهم : م .

---

(13) هو ابو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي الدارقطني ، امام عصره ، لقب بأمير المؤمنين فى الحديث . من تصانيفه كتاب « السنن » و « العلل الواردة فى الاحاديث النبوية » وغيرها . توفى سنة 385 هـ .

المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وأغلبه والناس يغلب .

قيل للثالثة : تكلمي — وهي حبى «28» بنت كعب — ، قالت : مالك ، وما مالك ؟ ! ، له ابل كثيرة المسارح ، عظيمة المبارك ، اذا سمعن صوت الضيف أيقن أنهن هوالك .

قيل للرابعة : تكلمي — وهي مهدد بنت أبى هرمة «29» — قالت : زوجى لحم جمل غث ، على جبل وعث ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى «30» .

قيل للخامسة : تكلمي — وهي كبشة — ، قالت : زوجى رفيع العماد ، كثير الرماد ، قريب البيت من النـاد ، لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

قيل للسادسة : تكلمي — وهي هند — ، قالت : زوجى كل داء له داء ، ان حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والاجمع كلا لك .

قيل لاسابعة : تكلمي — وهي حبى بنت علقمة — ، قالت : زوجى اذا خرج فهد «31» ، واذا دخل أسد «32» ، ولا يسأل عما عهد ، ولا يرفع اليوم لغد .

«28» حبا : ز س ، حيى : ك . وما اثبته من فتح الباري ، وقال : بضم المهملة وتشديد الموحدة مقصور .
«29» هرمة : كذا فى النسخ ، وفى فتح البارى : هزومة .
«30» فينتقى : ز ، فينتقل : س .
«31» فهد : ز ، ففهد : س .
«32» فأسد : ز س . والاولى : « اسد » .

قيل للثامنة : تكلمي — وهي ابنة دوس «33» بن عبد — ، قالت : زوجي اذا أكل التف ، واذا شرب اشتف ، ولا يدخل «34» الكف فيعلم البث .

قيل للتاسعة : تكلمي ، قالت : زوجي هو من لا أذكره ، ولا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره ، ان أذكره أذكر عجره وبجره .

قيل للعاشرة : تكلمي — وهي كبشة بنت الارقم قالت : نكحت العشنق ، ان سكت علق ، وان تكلمت طلق .

قيل لام زرع — وهي أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة ، وسماها الدريدى «35» فى غير هذا الحديث : عاتكة ، ذكر ذلك فى كتابه المسمى بالوشاح — : تكلمي : قالت : أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ! ، أناس من حلى أذني ، وملأ من شحم عضدى ، بجحني ، فبجحت ، وجدني فى غنيمة أهلى ، فنقلني الى أهل جامل وصاهل فبينما أنا عنده أنام فأتصبح ، وأشرب فأتقمح ، وأتكلم فلا أقبح ، وبنت أبى زرع ، وما بنت أبى زرع ؟ ! ، مضجعها كمسل «36» الشطبة ، وتشبعها ذراع الجفرة ، ووليدة أبى زرع ، وما وليدة أبى زرع ؟ ! ، لا تفسد ميرتنا تقشيشا «37» ، ولا تخرج حديثنا تنثيثا «38» ، فخرج من

«33» دوس بن عبد : كذا فى النسخ ، وفى فتح البارى : اوس بن عبد ، وفى نسخة منه : اوس بن عبدود .
«34» يدخل : زم ، يولج : س .
«35» الدريدي : زم ك ، الدريوي : س وهو تصحيف .
«36» كمسل : ز ، مسل : س .
«37» تقشيشا : س ، تنشيشا : ز .
«38» تنثيثا : م ك ، تبثيثا : ز ، تثبيتا : س .

عندى أبو زرع والاوطاب تمخض ، فاذا هو بـأم غلامين كالفهدين ، يرمى من تحت خصرها برمانتين «39» فتزوجها أبو زرع وطلقنى ، واستبدلت بعده — وكل بدل أعور — ، فتزوجت شابا سريا ، ركب أعوجيا ، وأخذ خطيا ، وأراح نعما ثريا ، فقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك ، فجمعت أوعيته فلم تعدل وعاء واحدا من أوعية أبى زرع ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لأم زرع .

قال أبو بكر الخطيب : (14) هذا حديث غريب ، لا أعلم رواه هكذا الا محمد بن الضحاك ، وقال أبو الحسن الدارقطنى — وذكر «40» حديث محمد بن الضحاك عن الدراوردى «41» هذا — قال : وسمى فيه النسوة ونسبهن ، قال : واتبعه الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن أبيه عبد الله عن هشام نحو «42» حديث الدراوردى «43» . يريد ما نذكره عن الزبير بعد هذا بسندنا المقدم عنه ، فانه قال عند تمام الحديث: قال الزبير : وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله ، عن جدى عبد

«39» برمانتين : ز ، بالرمانتين : س .
«40» وذكر : س ، وفى : ز .
«41» الدراوردي : ز م ، الداروردي : س .
«42» نحو : م س ، عن : ك ، بن محمد : ز .
«43» الدراوردي : زم ، الداروردي : س .

(14) هو ابو بكر احمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى ، احد الحفاظ المؤرخين المقدمين ، صاحب « تاريخ بغداد » وكتاب « الكفاية فى علم الرواية » وله كتب كثيرة . توفى سنة 463 هـ .

الله بن مصعب ، عن هشام بن عروة مثله . وزاد : وقال رسول الله صلى عليه وسلم : أنا لك كأبى زرع لام زرع ، انه طلقهـا وانى لا أطلقك .

زاد النسائى فى مسنده عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام قال : حدثنا ريحان بن سعيد بن المثنى ، حدثنا عباد بن منصور ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، قالت عائشة : بأبى وأمى يا رسول الله ، بل أنت خير لى من أبى زرع . وذكر نحوه من حديث عمر بن عبد الله بن عـروة ، عن عـروة ، عن عـائـشـــة .

تفسير السند

اختلف فى سند هذا الحديث ورفعه ، مع أنــه لا خلاف فى صحته وأن الائمة قد قبلوه ، وخرجه فى الصحاح البخارى ومسلم فمن بعدهما ، ولا مخرج له ـ فيما انتهى الى ـ الا من روايـة عروة عن عائشة رضى الله عنها ، فروى من غير طريق عن عروة عنها من قول النبى صلى الله عليه وسلم كله نصـا ، هكذا رواه عباد بن منصور وعبد العزيز بن محمد الدراوردى وعبد الله بن مصعب الزبيرى ويونس ابن أبى اسحاق السبيعى كلهـم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليـه وسلم . وهكذا رواه أبو معشر عن هشام الا أنه قال : عن هشام وغيره من أهل المدينة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه أيضا أبو معشـر عن عبد الله بن اسحـاق الطلحى عن عائشة وأسنده بطوله . وكذلك رفعه القاسم بن عبد الواحد الا أنه قال : حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم هكذا ، قال النسائى : عن عروة عن عائشة «44» ، وقال الدارقطنى : عن أبيه عن عائشة

«44» عن عائشة : ز م ك ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليـه وسلم : س .

فجعلوه من قول النبى صلى الله عليه وسلم نصا من غير احتمال ، وأسندوه بطوله ، وهكذا ظاهر رواية حنبل بن اسحاق عن موسى بن اسماعيل المنقرى عن سعيد بن سلمة عن هشام ، الا أنه «45» قال : عن هشام عن أخيه عن أبيه عن عائشة قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع ، وساق الحديث بطوله . وكذلك قال أحمد بن داود الحرانى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذا «46» حكاه عنه القاسم بن سلام . وكذلك رفعه الهيثم بن عدى عن هشام ، الا أنه قال : عن أخيه يحيى بن عروة عن عروة ، وساقه كله من قول النبى صلى الله عليه وسلم نصا .

ورواه على بن حجر وابن جناب وسليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن جعفر غندر وهشام بن عمار ومحمد بن جعفر الوركانى وصالح بن مالك الخوارزمى عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة من قولها . وكذلكأسنده سويد بن عبد العزيز عن هشام وحسن الحلوانى عن ابن أبى الحسام عنه «47» . وكذلك رواه أبو عقبة عن أبيه عقبة بن خالد ، عن هشام الا أنه قال : عن هشام عن أبيه عن عائشة . وهكذا قال فيه ابن أبى أويس : عن أبيه عن هشام .

«45» الا انه : س : الا ان سعيدا : ز .
«46» وكذا : زم ، وكذلك : ك ، كذا : س .
«47» ابن ابي الحسام : م ك ، ابن الحسام : ز ، ابي الحسام : س .

وكذا قال يوسف بن زياد وسليمان بن بلال وعبد الرحمن ابن أبى الزناد عن هشام وأبو معاوية الضرير عنه مختصرا . وكذا ساقه داود بن شابور عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، ويقال : عن أبيه ، عن عائشة من قولها . وقال عقبة بن خالد أيضا : قال هشام : فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله مختصرا . يريد قوله عليه السلام : كنت لك كأبى زرع لام زرع . وكذا قال أبو أويس وابراهيم ابن أبى يحيى عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله . وكذلك رواه أبو الزناد عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو عبد الرحمن النسائى باثر حديث عقبة : يعنى آخر الحديث . يريد قوله : كنت لك كأبى زرع لام زرع . وقد وقع مفسرا عن غير «48» أبى عبد الرحمن فذكر أحمد بن عمرو البزار (15) رواية عقبة عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة ، قال أحمد فذكر منه حرفا وقال : كنت لك كأبى زرع لام زرع . وفى رواية ابن الانبارى قال عقبه «49» : انما يراد هذا الحديث لهذا الحرف ، فذكره .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

ولا خلاف فى رفع قوله فى هذا الحديث : كنت لك كأبى زرع

«48» عن غير : ك ، عند ، س .
«49» عقبه : م ، عروة : ز س وهو غلط .

(15) هو ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق ، المشهور بالبزار ، حافظ من العلماء بالحديث . اشتهر بتصنيف كتابه « المسند » وله مسندان : كبير وصغير . توفى سنة 292 هـ .

لام زرع ، وانما الخلاف فى بقيته . وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادى الحافظ : المرفوع من هذا الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، وما عداه فمن كلام عائشة رضى الله عنها ، حدثت به هى النبى صلى الله عليه وسلم ، بين ذالك عيسى بن يونس فى روايته وأبو أويس وأبو معاوية الضرير .

وقد روى أن القائل ـ فى حديث سعيد «50» بن سلمة : ثم أنشأ يحدث الحديث ـ هو هشام ، حكى أن أباه أنشأ يحدث الحديث ، فأوهم السامع أن عائشة أخبرت بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو الحسن الدارقطنى : الصحيح عن عائشة أنها هى حدثت النبى صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة ، فقال لها حينئذ : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، (وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمة وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : انها هى حدثت النبى صلى الله عليه وسلم بقصة النسوة فقال لها حينئذ : كنت لك كأبى زرع لام زرع) «51» .

«50» سعيد . ز م ك ، سعد : س وهو غلط .
«51» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

وقول عيسى بن يونس وسعيد بن سلمه وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة : هو الصواب ، ولا يدفع قول عقبة «52» عن هشام عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة .

«52» عقبة : س ، عتبة : ز .

التعريـــف

ذكـــر فى الخبر المتقدم أن هـؤلاء النســوة كن فى زمــن الجاهلـــيــة ، وذكـــر فى الــخــبــر الآخــر الـــذى رواه الدراوردى أنهن من بطن من بطون اليمن ، وأخبرنا أبو الحسن على بن محمد النسابة الاديب أنه وقف على تعليق بخــط أبـــى محمد ــ هو ابن حزم «53» ــ على بن أحمد الفــارسى (16) فى قصتهن فذكر فيه أنهن من « خثعم » ، وخثعم بطن من بطون اليمن كما ورد فى الحديث المتقدم ، وهو خثعم بن أنمار بـــن أراشه ، ويقال أراش ، ويقال ارش ، بن عمرو بن الغــوث بن نبت ــ وهو قرن «54» ــ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبـأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان ، كــذا قال الهمذانى «55» . وحكى ابن اسحاق عن اليمنيين : أراش بن لحيان بن عمرو .

«53» هو ابن حزم : ك ، ــ : ز س .
«54» وهو قرن : ز ، ــ : س .
«55» الهمذاني : زم ، الهمداني : ك ، الهداني : س .

(16) هو ابــو محمد علي بن احمد بن سعيــد بن حــزم ، الفارسي الاصل . صاحب كتاب « المحلى » وغيره ، امــام الظاهرية ، وعلامة الاندلس . توفى سنة 456 هـ .

ويقال : ابن عمرو «56» بن لحيان بن «57» الغوث ، ونساب مضر يزعمون أن خثعم : ابن أنمار بن تزار «58» ، وانهم حالفوا ولد أنمار بن سبأ ، فجر أنمار بن سبأ نسبهم الى سبأ باسم أبيهم ، والاول أصح ، ويصدقه حديثه عليه السلام فى ذكر سبأ وولده فسمى منهم أنمارا ثم قال : الذين منهم خثعم وبجيلة . قال الهمذانى «59» : واسم خثعم أفتل ، (وسمى خثعم باسم جبل نزله بنوه ، وقيل باسم جمل كان له ، اسمه خثعم ، فيقال : احتل خثعم ، ونزل خثعم . وقيل : بل نحروا عند تحالفهم بعيرا وتلطخوا بدمه ، وهو التخثعم فى لغتهم) «60»

وقد روى فى هذا الحديث من رواية أحمد بن عبيد بن ناصح «61» عن الهيثم بن عدى الطائى بسنده عن عائشة قالت : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم — وقد اجتمع عنده نساؤه ليخصنى بذلك — : يا عائشة أنا لك كأبى زرع لام زرع ، قالت : يا رسول الله ومن أبو زرع ؟ قال : اجتمع نسوة من قريش بمكة احدى عشرة امرأة ، وساق الحديث بطوله ، فهذا مخالف للاول ، والهيثم بن عدى — عندهم — : متكلم فيه «62» . قال البخارى : الهيثم بن عدى — على علمه وفضله — يروى مناكير . وضعفه أبو حاتم الرازى ويحيى بن معين .

«56» ويقال ابن عمرو : م س ، — : ك .
«57» بن الغوث : س ، ثم الغوث : ز .
«58» تزار : م س ، نزار : ز ، بزار : ك .
«59» الهمدانى : م ، الهمداني : ز س .
«60» ما بين القوسين ناقص من نسخة : ز .
«61» ناصح : ز ك ، فاصح : م س .
«62» متكلم فيه : س ، متروك : ز .

وقرأت فى كتاب «63» بعض الادبـــاء أن امـــرأة زوجت احدى عشرة ابنة فى ليلة ، ودخل بهن أزواجهن فأمهلتهن سنة ، ثم زارتهن فسألت كل واحدة عن زوجها ، فأخبرتهـــا بصفتـــه . فوافق من حديث أم زرع كلام صاحبة « المس مس أرنـــب » بنصه ، وكلام صاحبة « رفيـــع العمـــاد » ، وكـــلام صاحبة « زوجي لحم جمل غث » ، وخالف فى البواقى . ويشبـــه أنـــه حديث موضوع ، فان ألفاظه تنبىء عن ذلك ، ركب على بعض حديث أم زرع ، ولا يصح أن يكون هو هذا «64» لصحة سند حديث أم زرع وضعف هذا ، وانا قد ذكرنا فى بعـــض روايات حديث أم زرع ما دل على أنهن غير اخوات ، والموفق الله .

«63» كتاب : س ، كتب : ز ك .
«64» هو هذا : س ، هوهو : ز .

العربية

وقع فى بعض روايات النسائى لهذا الحديث : « اجتمعن » ، وفى رواية الطبرى من صحيح مسلم فيما حدثنا به عبد الله بن محمد الفقيه عنه : « جلسن «65» احدى عشرة امرأة » ، وفى بعضها : « نسوة » . ووقع فى بعض روايات البخارى : « جلس احدى عشرة نسوة » ، وهكذا وجدتها فى أصل الاصيلى أبى محمد بخطه داخل الكتاب ، وأصل كتابه على رواية أبى أحمد «66» الجرجانى أحد شيخيه فى الصحيح المذكور . وروى أبو عبيد القاسم بن سلام هذا الحرف : « اجتمعت » بالتاء .

فتقدير الكلام فى هذا الفصل فى محلين :

المحل الاول : قوله : « اجتمعن ــ أو جلسن ، أو اجتمعت ــ احدى عشرة » ، فأظهر فى هذه الروايات علامة التأنيث ونون الجماعة مع تقدم الفعل ، وبابه فى العربية والاحسن فى الكلام حذفه ، وترك علامة التثنية والجمع ، وافراد الفعل .

قال سيبويه : حذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا (يريد : من صيغة الجمع والتثنية) فقالوا : قام أبواك ، وقام قومك ،

«65» جلسن : م ك ، جلس : ز س .

«66» احمد : ز م ك ، محمد : س .

فاستغنوا بما أظهروا عن : قامــوا وقامــا ، وكذلك فعلــوا فى المؤنث فقالوا : قامت جاريتاك ، وقامت نساؤك ، الا أنهم أدخلوا التاء للتأنيث ، وحذفوا علامة الجمع والتثــنية كمــا فعلــوا فى المذكر . ولو بدأت بأسمائهم لم يكن بد للمضمر أن يجىء بمنزلة المظهر فى المذكر والمؤنــث والتــثــنــية والجمــع ، فتقــول أخواك قالا ، وقومك قالوا ، وجاريتاك قالتــا ، ونساؤك قلــن ، لانه قد وقع هنا اضمار فى الفعل هو أسمــاء المذكورين ، فلــم يكن بد أن يجاء به مجىء المظهر ، والفعل المقدم لم يكن فيــه اضمار فيظهر ، وليست تاء التأنيث فيه علامــة اضمار فيلزم اظهارها فى الجمع ، وانما هى علامة تأنيث كهــاء « طلحــة » . هذا تعليل سيبويه (17) .

وأما الفارسى (18) فقال : لزمت التاء ها هنــا فى المؤنث الحقيقى لتشعر بتأنيثه حسب لزومه له وحقيقته ، ولم يلــزم ذلك «67» الجمع والتثــنية اذ ليسا بلازمين لزوم التأنيث .

وقد قال بعض العرب : قال امرأة . كأنهم جعلوا اظهــار

«67» ذلك : ك ، فى ذلك : م س .

---

(17) هو ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنــبر ، المشهور بسيــبويه ، ومعناها بالفارسية : رائحة التفاح . امام النحــاة ، واول من بسط علم النحو ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيــبويه » . توفى شابا سنة 180 هـ .

(18) هو ابــو علي الحسن بن احمد بن عبــد الغفــار ، المشهــور بالفارسي . واحد زمانه فى علم العربية ، اخذ عن الزجاج واخذ عنه ابن جني . صنف « الايضاح » فى النحــو و « التكملة » فى التصريف وتعليقة على كتاب سيبويه . توفى سنة 377 هـ .

المؤنث بعده يغنى عن العلامة ، وهو اذا طال الكلام أحسن وأكثر كما قال :

لقد ولد الاخيطل أم سوء

قال سيبويه : وهو فى واحد الحيوان قليل ، (يريد : فيما تأنيثه حقيقى) ، وهو فى الموات «68» كثير . (يريد : ما ليس بحقيقى التأنيث) . وهو فى القرآن العزيز بالوجهين كقوله تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى «69» و (قد جاءتكم موعظة) «70» ، (وأخذ الذين ظلموا الصيحة «71») ، (وأخذت الذين ظلموا الصيحة «72») ، (ولو كان بهم خصاصة «73») ، وكذلك اذا تقدم الفعل جماعة مؤنث حقيقيا كان أو غيره ففيه وجهان ، قال الله تعالى : (وقال نسوة فى المدينة «74») و (جاءهم البينات «75») و (جاءتكم البينات «76») و (قالت رسلهم «77») و (جاءتهم رسلنا «78» و (استيأس الرسل «79») ، لانه يصلح فيه جماعة وجمع وجميع .

«68» الموات : ز ك ، المؤنث : م س وهو غلط .
«69» سورة البقرة ، الآية 275 .
«70» سورة يونس ، الآية 57 .
«71» سورة هود ، الآية 67 .
«72» سورة هود ، الآية 94 .
«73» سورة الحشر ، الآية 9 .
«74» سورة يوسف ، الآية 30 .
«75» سورة آل عمران ، الآية 105 .
«76» سورة البقرة ، الآية 209 .
«77» سورة ابراهيم ، الآية 10 .
«78» سورة المائدة ، الآية 32 .
«79» سورة يوسف ، الآية 110 .

قال : ومن العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبهوها بالتاء المظهرة في : قالت جاريتك ، كأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلت التأنيث ، وهي قليلة كما قال الفرزدق :

يعصون «80» السليط أقاربه

وقال الآخر :

يلومونني في اشتراء النخيـ ـل أهلي فكلهم يعدل

وعلى هذا حمل الاخفش (19) قوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا «81» » . وفي صحيح مسلم حديثه صلى الله عليه وسلم : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وقال بعض العرب : « أكلوني البراغيث » .

قال الفقيه القاضي رضي الله عنه :

فاذ قررت لك من كلام امام الجماعة وحذاق الصناعة ما رأيت ، نظرت في قوله : « اجتمعن » و « جلسن احدى عشرة » ، فان حملته على هذه اللغة الاخيرة وتأويل الاخفش في الآية كان وجها حسنا ، وفيه وجه آخر وهو أن تحمله على المعروف في الكلام ، وتجعل « احدى عشرة » بدلا من الضمير

«80» يعصون : س ، يعصرن : ز ك .
«81» سورة الانبياء ، الآية 3 .

---

(19) الاخافش احد عشر ، اشهرهم ثلاثة . ولعل هذا هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الاخفش الاوسط وهو احد الاخافش الثلاثة المشهورين . قرا النحو على سيبويه . صنف « الاوساط » في النحو و « معاني القرآن » وغيرهما . وتوفي سنة 210 هـ .

فى « اجتمعن » ، وهذا تأويل سيبويه فى الآيـة ، وحكاه عـن يونس (20) ، قال : وكأنه قال : انطلقوا ، فقيل : من هـم ؟ ، فقيل : بنو فلان . ولكن يتحقق هذا فى الحديث : بأن نقدر أنـه صلى الله عليه وسلم أخبر عنهن على هذا الوجه ، وقد جرى من ذكر الخبر ما صار كالمخبر عنهن ، بتأخير الفعل وأنهن فى نفسه وذكره مقدمات ؛ وتكون النون ضميرا اسما لا حرف علامـة ، فيكون ما بعدها بدلا منها ، كما كان «82» فى الآيـة ، لتقـدم الذكر لمن يعود عليه الضمير ، الا ترى أنه قـد جرى شىء من حديثهن قبل ؟ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : كنت لـك كأبى زرع لأم زرع ثم سؤال عائشة له عن قصـة أم زرع ، قالت : فأنشأ يحدثنا الحديث . وقد يكون أيضا قوله « احدى عشرة » خبرا لمبتدأ مضمر ، كأنه قيل : من هن ؟ فقـال : هـن احدى عشرة ، وهو أحد التأويلات فى الآية ، وبهذا قدر سيبويه فيها البدل فانظره . وفيه وجه رابـع : أن تجعل « احدى عشرة » نصبا بـ « أعنى » ، وهو أحد تأويلات الآية . وفى الاية وجوه أخر غير هذه لا نطول بذكرها ، اذ ليست من غرضنا . وأما على رواية أبى عبيد (21) فعلى أحد الوجهين المعروفين فى تقـدم الفعل «83» الجماعة كما ذكرنا .

«82» كان : س ، ــ : ز .
«83» الفعل : س ، فعل : ز .

---

(20) هو ابو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي . بارع فى النحو ، من اصحاب ابى عمرو بن العلاء ، سمع من العرب وروى عن سيبويه . توفى سنة 182 هـ .

(21) هو القاسم بن سلام . وقد تقدم ذكره وترجمته .

المحل الثانى : قوله « احدى عشرة نسوة » : وباب العدد فى العربية أن ما بين الثلاثة الى العشرة مضـاف الى جنسه ليبينه ويوضحه ، ومن احد عشر الى تسعة وتسعين مميز بواحد منصوب على التمييز يدل على جنسه ، وما بعد هذا مضاف الى واحد من جنسه ، وقد جاءهاهنا « النسوة » وهو جنس بعد « احدى عشرة » «84» ، وهو خارج عن وجه الكلام ، ولا يصح نصبه على التفسير ، اذ لا يفسر فى العدد الا بواحد ، ولا يصح «85» اضافة العدد الذى قبله اليه ، اذ لا يضاف ما بعد العشر من العدد الى المئة ، فوجه نصبه عندى : على اضمار « أعنى » ، أو يكون مرفوعا بدلا من « احدى عشرة » وهو الاظهر فيه ، وعلى هذا أعربوا قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا «86» » ، فـ (أسباطا) بدل من (اثنتى عشرة) وليس بتفسير ، قاله الفارسى وغيره . وحمل هذا الموضع من الحديث على هذا أولى عندى وأحسن ، وبالله التوفيق .

«84» احدى عشرة : ك ، احد عشر : ز م ، احدى عشر : س .
«85» يصح : لعلها كذا ، وهي فى النسخ : يصلح .
«86» سورة الاعراف ، الآية 160 .

الفقه

فى استهلال هذا الحديث من الفقه حسن عشرة الرجل مع أهله وتأنيسهن واستحباب محادثتهن بما لا اثم فيه ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هاهنا بحديثه لعائشة رضى الله عنها ومن كان معها من أزواجه بخبر هؤلاء النسوة ، وهكذا ترجم البخارى عليه « باب حسن المعاشرة مع الاهل » وقد وردت الآثار الصحيحة بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم لاهله ومباسطته اياهم ، وكذلك عن السلف الصالح ، وقد كان مالك (22) رضى الله عنه يقول : فى ذلك مرضاة لربك ، ومحبة فى أهلك ، ومثراة فى مالك ، ومنسأة فى أجلك . قال : وقد بلغنى ذلك عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده ، وكان يحدث «87» يقول : يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم .

«87» يحدث : م س ، ـــ : ز ك .

---

(22) هو امام دار الهجرة ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك ، صاحب « الموطأ » وكتب اخرى . توفى سنة 179 هـ .

وفيه من الفقه منع الفخر بحطام الدنيا وكراهته ، الا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين فخرت فى أول هذا الحديث بمال أبيها ، قال لها : اسكتى يا عائشة . ثم انه آنسها بأن قرر عندها فخرا آخر ، هو أولى بها وأسعد لها ، بقوله : كنت لك كأبى زرع لام زرع ، فمكانتها «88» منه ومن محبته وزوجيته وحسن عشرته وكثرة منفعتها لدينها ودنياها به صلى الله عليه وسلم أعرق فى الفخر ، وأرفع فى الصيت والذكر ، من كثرة مال أبى بكر ، رضى الله عنه .

وفيه من الفقه جواز اخبار الرجل زوجه وأهله بصورة حاله معهم ، وحسن صحبته اياهم ، واحسانه اليهم ، وتذكيرهم بذلك تطييبا لانفسهم ، واستجلابا لمودتهم ، واذا جاز له أن يكذبهم وأبيح له أن يمنيهم «89» بالمواعيد غير الصادقة فهذا أجوز ، واذا جاز من النساء كفران العشير جاز تذكيرهن بالاحسان لهن ، وحسن ذلك فيهن .

وفيه من الفقه اكرام الرجل بعض نسائه بحضرة ضرائرها «90» ، بما يراه من قول أو فعل ، وتخصيصها بذلك ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : ليخصنى بذلك ، ولانها كانت المقصودة بهذا الحديث ، وهذا اذا لم يكن قصده الاثرة والميل لها بذلك ، بل «91» لسبب اقتضاه ومعنى أوجبه

«88» فمكانتها : ز ، فمكانها : م ، لمكانتها : س وهو غلط .
«89» ان يمنيهم : م س ، تمنيتهم : ك ، تمنيهم : ز وهو غلط .
«90» ضرائرها : ز م س ، بعض ضرائرها : ك .
«91» لها بذلك بل : ز ، بل : م ك ، ـــ : س وهو نقص مخل .

من تأنيس وحشة بدت منها ، أو مكافأة جميل صدر عنها . وقد اجاز له بعض أهل العلم تفضيل احداهما على الاخرى فى الملبس اذا وفى الاخرى حقها ، وان يتحف احداهما «92» ويلطفها اذا كانت شابة ، أو هى أبر به . ولمالك نحو من هذا ولاصحابه ، قال ابن حبيب (23) : والمساواة أولى . والمكروه من ذلك كله «93» ما قصد به الاثرة والميل والتفضيل لا لسبب سواه . والنبى صلى الله عليه وسلم — وان لم يكن العدل فى القسم بين النساء واجبا عليه لقوله تعالى « ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء «94» » — فقد التزمه صلى الله عليه وسلم ، وأخذ به نفسه ، تفضلا منه ، وتخلقا بالعدل ، ولتقتدى به أمته ، حتى قال : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك (24) . يريد القلب .

وفيه من الفقه جواز تحدث الرجل مع احدى زوجاته ومجالستها فى يوم «95» الاخرى ، ومحادثته اياها ، لقول

«92» احداهما : س ، الاخرى : ز .
«93» كله : س ، — : ز .
«94» سورة الاحزاب ، الآية 51 .
«95» يوم : ز م ك ، بيت : س .

(23) هو ابو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمى الالبيري القرطبي ، عالم الاندلس وفقيهها فى عصره . له تصانيف كثيرة منها « الواضحة » فى السنن والفقه و « تفسير موطأ مالك » . توفى سنة 238 هـ .

(24) روى ابو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ، ويقول « اللهم هذا قسمى فيما املك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا املك » تعني القلب . كتاب النكاح ، باب فى القسم بين النساء (رقم : 2134) .

عائشة رضى الله عنها : قال لى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وقد اجتمع عنده نساؤه ، وفى الرواية الاخرى : دخـــل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنــدى بعــض نســائــه ، فالظاهر أنه فى بيتها ، وقد روى عنه فى الصحيح : أنـه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى العصر يدخل على نسائه فيدنو من احداهن (25) ، وانهن كن يجتمعن عند التى هو يومها . وقــد اختلف العلماء فى هذا ، فأجازه بعضهم ، وقال مالك ــ فى كتاب محمد ــ باجازة دخوله عند احدى نسائه فى يــوم صاحبتهــا لحاجة ، أو عيادة ، أو يضع ثيابه عندها ، اذا كان ذلك منه على غير الميل ، وقد حكى بعضهم أنه لا يختلف العلماء ــ فيمـــا علمه ــ فى الدخول الخفيف للحاجة يقضيها ، قال : وليس حقيقة القسم الا بالليل خاصة . ووقع لمالك أيضا لا يقيم «96» عندها الا من عذر لا بدّ منه . وعن معاذ (26) انه كانت له زوجان فكان

«96» لا يقيم : ز م ك ، لا يقوم : س ولعله اصوب .

---

(25) روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من العصر دخــل على نسائه فيدنو من احداهن . كتاب النكاح ، باب دخول الرجل على نسائه فى اليوم . وكتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما احل الله لك ؟.
وقال ابن حجر فى فتح البارى (كتاب النكاح ، باب القرعــة بين النساء اذا اراد سفرا ج 11 ص 223) : وقــد اخرج ابـــو داود والبيهقى ــ واللفظ له ــ من طريق ابن ابى الزنــاد ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة : « قل يوم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف علينا جميعا فيقبــل ويلمــس ما دون الوقاع ، فاذا جاء الى التى هو يومها بات عندها » .

(26) هو ابـــو عبد الرحمن معاذ بن جبــل بن عمــرو ، الانصاري الخزرجي ، الامام المقدم فى الحلال والحرام ، صحابي جليــل . امره النبى صلى الله عليه وسلم على اليمن . توفى سنة 17 هـ ، او التي بعدها .

لا يشرب الماء من عند «97» احداهما فى يوم الاخرى . وقال عبد الملك بن الماجشون (27) : يقف بباب احداهن ويسلم ولا يدخل . وتأول أهل هذه المقالة ما روى عنه عليه السلام فى الحديث المذكور خصوصا للنبى صلى الله عليه وسلم ، اذ لم يكن القسم واجبا عليه كما تقدم ، وانه انما كان يفعل هذا نادرا واحيانا ، وغالب أمره العدل والتسوية ، ليسن العدل ويحسن العشرة .

وفيه من الفقه جواز الحديث عن الامم الخالية ، والاجيال البائدة ، والقرون الماضية ، وضرب الامثال بهم ، لان فى سيرهم اعتبارا للمعتبر ، واستبصارا للمستبصر ، واستخراج الفائدة للباحث المستكثر ، فان فى هذا الحديث — لا سيما اذا حدث به النساء — منفعة فى الحض على الوفاء للبعولة ، والندب لقصر الطرف والقلب عليهم ، والشكر لجميل فعلهم ، وحسن المعاشرة معهم ، كحال أم زرع وما ظهر من اعجابها بأبى زرع ، وثنائها عليه وعلى جميع أهله ، وشكرها احسانه لها ، واستصغارها كل شيء بعده . وبسبب قصتها كان جلب الحديث ، كما وقع مبينا فى بعض الروايات ، مع ما فيه من التعريف بصبر الاخر اللاتى ذممن أزواجهن ، والاعلام بما تحملنه من سوء عشرتهم وشراسة

«97» من عند : ز م ك ، عند : س .

(27) هو ابو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ، المشهور بابن الماجشون . فقيه مالكي فصيح ، من كبار ائمة المالكية ، دارت عليه الفتيا فى زمانه ، وعلى ابيه قبله . توفى سنة 212 هـ

أخلاقهم ، ليقتدى بذلك من النساء من بلغها خبرهن فى الصبر على ما يكون من الازواج وتتأسى بمن تقدمها فى ذلك .

وفيــه من الفقه التحدث بملح الاخبار وطــرف الحكايات ، تسلية للنفس ، وجلاء للقلب ، وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذى عليه : باب ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليــه وسلم فى السمر . وأدخل فى الباب هــذا الحديث وحديث خرافــة (28) .

ويروى عن على رضى الله عنه (29) انه قــال «98» : ســلوا

«98» عن علي رضي الله عنه : ز م ك ، عن النبي صلى الله عليــه وسلــم : س .

(28) وهو : عن عائشة قالت : حدث رسول الله صلــى الله عليــه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا ، فقالت امراة منهن : كأن الحديث حديث خرافة ، فقال : « اتدرون مــا خرافة ؟ ان خرافــة كان رجلا من عذرة ، اسرته الجن فى الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا ، ثم ردوه الى الانس ، فكان يحدث النــاس بمــا راى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافــة » . وفى اسنــاد هذا الحديث مجالد بن سعيد الهمداني الكوفى . قال عبد الرحمن بن مهدى : حديث مجالد عند الاحداث ليس بشىء . يعني انه تغير حفظه فى آخر عمره . وقال عنه يحيى بن سعيــد القطان : فى نفسى منه شىء . وقال يحيى بن سعيد القطان ايضا لمــن اراد ان يكتب السيرة عن مجالد : تكتب كذبا كثيرا ، لــو شئت ان يجعلها لى مجالد كلهــا عن الشعبى عن مسروق عن عبد الله فعل . وسئل عنه احمد بن حنبل فقال : ليس بشىء ، يرفــع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس ، وقد احتمله الناس . وقال يحيى بن معين : مجالد لا يحتج بحديثه . وقال عنه ايضا : مجالــد ضعيف واهي الحديث . وسئل ابو حاتم الرازى عنــه ايحتــج بحديثه ؟ قال : لا . (انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن ابى حاتم ص 361 — 362 من القسم الاول من المجلد الرابع ، رقم الترجمة 1653) . فالحديث ضعيف جدا ، ولعلــه من وضــع مــجــالــد .

(29) هو امير المؤمنين ابو الحسن على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى الهاشمى ، لم ينقل لاحد من الصحابة من المناقب ما نقل لعلي رضى الله عنه ، توفى سنة 40 هـ .

هذه النفوس ساعة بعد ساعة ، فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . ويروى عن عبد الله بن عباس (30) انه كان يقول اذا أفـاض من عنده فى الحديث بعد القـرآن والتفسيـر : أحمضوا . أى اذا مللـتم مـن الـحديـث والفـقـه وعلـم الـقـرآن فخـذوا فى الاشعـار وأخبـار الـعـرب ، كمـا أن الابـل اذا ملت ما حلا من النبات رعت الحمض ، وهو مـا ملح منـه . ومنه قول الزهرى (31) : هاتوا من أشعاركم فان الاذن مجاجة والنفس «99» حمضة . أى انها لتشتهى الشىء بعد الشىء كما تفعل الابل . ومنه قول أبى الدرداء (32) : انى لاستجم نفسى ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لى على الحـق . وقـال على رضى الله عنه : القلب اذا أكره عمى . وقـال بعـض الحكمـاء : أن للآذان مجة ، وللقلوب مللا ، ففرقـوا بين الحكمتـين ، ليكـون ذلك استجمامـا .

وهذا كله مالم يكن دائما متصلا ، وانمـا يكون فى النـادر والاحيان ، كما قال : ساعة بعد ساعة ، وأما أن يكون ذلك عادة

«99» مجاجة والنفس : م ، مجاجة وللنفس : ز ك ، فى مجاجـة والنفـس : س .

(30) هو ابو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، القرشى الهاشمى ، حبر الامة ، وترجمان القرآن ، دعـا لـه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل » . توفى سنة 68 هـ .

(31) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى . احد اجلاء التابعين ، واحد اكابر الحفاظ والفقهاء . توفى سنة 124 هـ

(32) هو الصحابى ابو الدرداء الانصاري الخزرجى ، اختلف فى اسمه واسم ابيه ، واسمه عامر او عويمر ، ولاه معاوية قضاء دمشق فى خلافة عمر ، توفى سنة 32 هـ او التى بعدها .

الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرب «100» به الناس ويضحكهم ـ دأبه ـ فهذا مذموم ، غير محمود ، دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة ، وخلع بـرد نزاهة النفس ، واطراح ربقة الوقار والسمت ، مولجا صاحبه فى باب المجون والسخف . وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدح فى عدالة الشاهد ، فذكر أبو بكر الابهرى (33) وغير واحد من أئمتنا ان التزام المروءة مشروط «101» فى العدالة ، ونحوه للشافعى (34) وأئمة أصحابه . وذكر شيخنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى (35) أن الشاهد يتنزه عن كل ما يسقط مروءته : من الاكل على الموائد فى الاسواق وفى الطرقات غير مستخف ، وكشف رأسه وبدنه بحضرة الناس ، ومد رجليه بحضرتهم ، وذكر «102» الحكاية المضحكة ، وذكر

«100» يطرب : م س ، يطرف : ز ، يطرق : ك .
والنفس : س .
«101» مشروط : ز ، مشترط : ك ، مشترطة : م س .
«102» وذكر : س ، ـ : ز م ك .

---

(33) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الابهرى ، الفقيه المالكى ، له تصانيف فى شرح مذهب مالك والاحتجاج له والرد على من خالفه ، وكان امام اصحابه فى وقته . توفى سنة 375 هـ .

(34) هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، القرشى المطلبى . تلميذ الامام مالك بن انس وشيخ الامام احمد بن حنبل رضى الله عنهم . صاحب كتاب « الام » و « المسند » وغيرهما . توفى سنة 204 هـ .

(35) هو ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ، القرشى الفهري ، الاندلسى الطرطوشي ، ويقال له ابن ابى رندقة ، اديب ، من فقهاء المالكية الحفاظ ، توفى سنة 520 هـ .

أهله بالسخف ، قال : فهذا وما يشبهه يسقط العدالة عند العلماء ، ولا تقبل الشهادة معها .

قال الفقيه القاضى أدام الله توفيقه :

وما قاله صحيح ، لان المداومة على هذا مما يسقط مروءة ذوى المروءات ، ويزيل سمت أصحاب السمت والتصاون ، واشتراط التزام المروءة مشترط فى الشهادة والعدالة كاشتراط اجتناب المحارم ، ولكن لكل واحد مروءة ما ، ولهذا قالوا فيه : ملتزما لمروءة مثله ، وقد قال بعض أئمتنا من القرويين — وهو أبو القاسم ابن محرز — : المروءة المطلوبة فى الشاهد هى الصيانة ، والسمت الحسن ، وحفظ اللسان ، وتجنب السخف والمجون وكل خلق دنىء . وقال بعض أئمة البغداديين : العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها الى هيئة راسخة فى النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا ، قال : وقد شرط فى العدالة التوقى عن بعض المباحات القادحة فى المروءة ، نحو الاكل فى الطرق ، والبول فى الشارع ، وصحبة الارذال ، وافراط المزاح ، وقال القاضى أبو بكر ابن الطيب فى صفات العدل : تجنب ما يمرض القلوب ويورث التهم فيما جل وقل ، قال : ومن علمائنا من صار الى أن عدم (36) التوقى عن المباحات القادحة فى المروءة : كالاكل فى

(36) كلمة « عدم » غير موجودة بالاصول التي بيدي ، لكن لا يستقيم الكلام بدونها .

الاســواق ، والجــلــوس عــلــى الطــرقــات ، ومصــاحبــة الارذال ، والاكــثــــار مــن الــمــداعبــة ، يــقــــدح فى العدالة ، قال : ولا أقطع بذلك ، وعندى أن ذلك مفــوض الـــى اجتهاد القاضى «103» ، فرب شخص فى نهاية من التديــــن وتجنب التكلف يصدر ذلك منه فلا يتهم ، ورب شخص يــؤذن ذلك منه بقلة المبالاة ، وهذا يختلف باختلاف الاوقات والاشخاص والاحوال ، وهو مفوض الى الاجتهاد .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

وما قاله القاضى سيف السنة من ذلك صحيح حــق بين ، وهو بمعنى قول غيره الذى قدمناه من أن لكل واحد مروءة ما ، فتلك معتبرة ، وذلك ان من اسقط مروءته ولم يهتبل بها دل على اختلال فى ميزه ، اذ لم يحتط لنفســـه ، ولا اهتـــبل بصـــلاح خاصته ، فتعلقت «104» تهمتنا له بذلك فى دينه ، ولم نستـــتم «105» الى باطنه لما اضطرب علينا ظاهره . وهذه نكتة بالغـــة فى هذا الفصل ، تغلغل القول بها ، لعلك لا تجدها بهذا البيان فى غير هذه الاوراق ، وقد طاش سهــم «106» القــول — بمــا اعترض — عن الغرض ، فلنكتف بمـــا اقتضبنـــاه من معقـــول ومنقول ، ونعود الى بغيتك فنقول :

وفيه من الفقه بسط المحدث والعالم لما أجمل من علمه لمن

«103» القاضى : س ، القلب : ز .
«104» فتعلقت : س ، فتعدت : ز ك .
«105» نستتم : ك ، نستنم : ز ، نستسنم : س .
«106» سهم : ز س ، بينهم : م .

حوله ، وبيانه عليهم ، من تلقاء نفسه ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، وقد قال لعائشـــة : كنت لــك كأبى زرع لام زرع ، قالت : ثم أنشأ يحدث الحديث . وقد ورد في غير ما حديث صحيح ابتداؤه صلى الله عليه وسلم لاصحابه المسائل جملا وتفصيلا .

وفيه من الفقه سؤال السامع العالم شرح ما أجمله لــه ، فقد وقع في بعض طرقه عن عائشة رضى الله عنها أنها ـ لمـا قال لها : أنا لك كأبى زرع لام زرع ـ قالت : يـا رسول الله وما حديث أبى زرع ؟ فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلـم الحديـــث .

الغريب

قول عائشة (كان أبى ألف ألف أوقية) أى : جمع . قال الله تعالى : « ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم «107» » . ومن رواه (آلف) بالمد : بمعناه «108» . وهو فعل مشتق من الالف يقال : ألفت القوم فألفوا اللازم والمتعدى واحد ، قاله الهروى (37) . أى جمعتهم ألفا ، أو صيرتهم ألفا . (وقال ابن اسحاق : آلف فلان ايلافا وهو أن يجتمع له ألف من البقر أو الغنم أو غير ذلك . قال الكميت :

بعام يقول له المولفو ن هذا المقيم لقا المرحل) «109»

وقولها (تعاهدن وتعاقدن) : أى ألزمن أنفسهن بالقول موثقا وعهدا ، وعقدن على الصدق والوفاء من ضمائرهن بذلك

«107» سورة الانفال ، الآية 63 .

«108» بمعناه : س ، فمعناه : زم وهو تصحيف .

«109» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ك .

---

(37) هو ابو عبيد احمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشانى ، الهروي ، له « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث ، و « ولاة هراة » ، توفى سنة 401 هـ .

عقداً . قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان «110» » أى بما وافق به نطقكم نيتكم . والاصل ان العهد والعقد فى اللغة بمعنى واحد ، قاله الخليل وابن دريد ونفطويه (38) ، وكله «111» معناه التوثق ، من : عقدت الحبل والشىء بالشىء ، وهو التوثق منه وربط بعضه ببعض ، فكأن هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر ، باخلاصهن الباطن . وقولها فى الرواية الاخرى (تبايعن) : من هذا المعنى ، ومنه «112» مبايعة الأمراء ، وهو توثقهم من الناس ، ومعاهدتهم اياهم على الطاعة ، وأصله من البيع ، وذلك أن المتبايعين يمد كل واحد منهما يده الى صاحبه بشىء ، وقيل : بل كانوا يضرب كل واحد منهما بيد «113» صاحبه عند التبايع ، ولهذا سميت صفقة ، لاصفاق أيديهم بعضها «114» ببعض عندها . ولما كان الأمراء يأخذون عند التوثق بأيدى من عاهدوا وأشبه ذلك فعل المتبايعين سميت مبايعة لذلك .

«110» سورة المائدة ، الآية 89 .
«111» ونفطويه وكله : ز ، وغيرهما و : س .
«112» ومنه : ز ، واصله : س .
«113» بيد : م ، يد : ز س .
«114» بعضها : س ، بعضهم : ز م .

---

(38) هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي العتكي ، المشهور بنفطويه ، امام فى النحو ، وكان مفتيا ، راسا فى مذهب داود ، مسندا فى الحديث ثقة ، توفى سنة 323 هـ .

غريب قول الأولى

(لحم جمل غث) أى مهزول ، قال الشاعر :

فأمست «115» قريش قد أغث «116» سمينها

والغث أيضا : الفاسد من الطعام ، ومنه : الغثيثة : وهي المادة التى تجتمع فى الجرح . ويقال : غث الطعام يغث ، وأغث .

والاصح «117» أن يكون هنا : الهزيل ، لقولها بعد : لا سمين فينتقى . ومن رواه (قحر) فمعناه : هرم قليل اللحم ، صفة للبعير . يقال : جمل قحر وقحارية «118» . قال ابن الانبارى : تريد : لحم جمل مهزول . يريد ابن الانبارى ان المسنة الغالب عليها الهزال .

وقولها (على رأس جبل وعر) أى حزن غليظ . والقوز : مثل الجبل ، من الرمل . والجمع : أقواز وقيزان وأقاوز .

ومن رواه (وعث) فمعناه ذو وعث ، والوعث : الدهس ،

«115» فامست : س ، وامست : ز .
«116» اغث : ز ك ، اغثت : م ، اغتث : س وهو غلط .
«117» والاصح : ز ك ، والاصل : م س .
«118» وقحارية : ز ك ، وقحاربه : س وهو غلط .

وهو مما يشتد فيه المشي ويشق ، فاستعمل لـكل مـا شق ، ومنه : وعثاء السفر ، أي شدته ومشقته .

وقولها (ليس بلبد فيتوقل) أي ليس بمستمسك فيسهـل صعوده . يقال : لبد بالشيء يلبد لبودا ، اذا لزق بـه . ولبـد الغيث الارض : أي الزق بعضها ببعض وجعلها لا تسوخ فيهـا الارجـل . والـتـوقـل : اسـراع المـشـى ، قـالـه ابن الانبارى ، وقال غيره : هو الاسراع فى الصعود ، وقـال ابن دريد (39) فى الجمهرة : توقل فى الجبل توقلا فهو متوقل ، وكل صاعد فى شيء «119» متوقل ، والاسم منه الوقل والوقل .

وقولها (لاسهل فيرتقى) أي يطلع اليـه ، تعنى الجبل ، لحزونته ووعـره .

(ولا سمين فينتقى) تعنى اللحم ، أي ليس بسمين له نقى – أي مخ – فيخرج ، هذا نحو لفظ الهروى ، وفيه تجاوز (40) ، اذ ليس يستبين «120» منه المعنى ، وقريب منـه قـول أبى عبيد ويعقوب (41) . وبيان معنى ما وقع هاهنـا أن يقـال : ليس بسمين له نقى فيطلب لاجل نقيه ، فلذلك قال (ينتقى) أي

«119» شيء : س ، مشي : ز .
«120» يستبين : م س ، يتبين : ز ك .

(39) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، من ائمة اللغـة والادب ، من كتبه « الجمهرة » و « الاشتقاق » و « المقصـور والممدود » توفى سنة 321 هـ .

(40) لعل الاصوب ان يقال : « وفيه تجوز » بدلا من قوله « وفيـه تجـاوز »

(41) يعقـوب : هو ابن السكيت ، وقد تقدم .

يطلب طيبه لاجل ما فيه من النقى ، لا أنه أراد استخراج نقيه ـ وهو مخه ـ ، وذلك ان الجمل اذا هزل فلا بد أن يبقى فيه «121» نقى عظامه . قال الخليل : النقى مخ العظام وشحم العين . قالوا : وآخر ما يبقى فى الجمل اذا هزل مخ السلامى ومخ العين ، فاذا لم يكن فيه ذلك فلم يبق فيه شىء من خير ولا ينتفع به ، بدليل قوله :

لا يشتكين «122» عملا ما أنقين ما دام مخ فى سلامى أو عين

ومن رواه (فينتقل) أى ينتقله الناس الى بيوتهم فيأكلونه ، ولكنهم يزهدون فيه . قال أبو سعيد النيسابورى : ليس شىء أخبث غثاثة فى الانعام من الجمل ، لانه يجمع خبث الريح وخبث الطعم . يريد : فلذلك ضربت به المثل (.. هزيلا ، وقولها « ولا لى عنده معول » أى رجاء منفعة ، وأصله من : عال الرجل عياله عولا ، أى : مانهم وكفاهم ، واصله من العول الذى هو الثقل . يقال : عول على ، أى : حملنى من ثقل شؤونك ما تشاء .

ومن رواه « ولا له عندى معول » : فاما أن يكون بمعنى الاول ويكون « له » بمعنى « عليه » ، أو يكون بضده ، اى : انه لا يشتغل بها ، ولا يلجأ الى شىء من امورها ، تهاونا بها ، وسوء عشرة لها ، وانها .. فيه ، لا يطمع فى نيل شىء من جهتها ، ولا يرجو تحملها شيئا من أموره ولا معونتها .) «123»

«121» يبقى فيه : ك ، يبقى منه : ز ، ينتقى فيه : م ، ينتقى منه : س.
«122» لا يشتكين : ز ك ، لا تشتكين : م س .
«123» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز .

معناه :

وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير ، وبعده من أن ينال خيره — مع قلته — ، كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذى يزهد نيه فلا يطلب ، فكيف اذا كان فى رأس جبل صعب وعر ؟ أو قوز رمل دهس لا يمكن المشى فيه ولا ينال الا بمشقة ؟ والى هذا أشار القاسم بن سلام وغيره ، وذهب الامام أبو سليمان الى أن تمثيلها له بالجبل الوعر هاهنا اشارة الى سوء خلقه ، والذهاب بنفسه وترفيعها تيها وكبرا ، تريد انه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته ، فيجمع الى البخل سوء الخلق ، وليس عنده من الخير ما يحتمل سوء عشرته له .

عربيته :

قولها هذا ، اعلم انه يجوز فى « غث » الرفع وصفا للحم ، والكسر وصفا للجمل ، وروى بالوجهين ، لان الوصف بالهزال فيهما معا صحيح ، ومن رواه « لحم غث » فالرفع على ما تقدم ، والكسر على الاضافة بتقدير حذف « جمل » واقامة وصفه مقامه ، واما من رواه « قحر » فلا يجوز فيه الا الكسر ، لانه لا يكون الا وصفا للجمل .

وقولها « لا سهل فيرتقى » يجوز فيه ثلاثة اوجه — كلها مروية — : نصب لام « سهل » دون تنوين ، ورفعها ، وخفضها منونة ، واعربها عندى هاهنا الرفع فى الكلمتين ، ووجهه أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف ، تقديره : لا هو سهل ، أولا هذا سهل

ولا ذاك سمين ، أو لا الجبل سهل ولا اللحم سمين ، فتكون كل واحدة من الكلمتين خبرا لمبتدأ محذوف ، كما قال :

فأصبح اليـــوم لا معط ولا قـــار

أى لا هو معط ولا هو قار ، ويصح أن يكون « سهل » مبتـــدأ والخبر محذوف مقدر ، أى لا سهل فى هذا «124» مرتقـــى ، ولا سمين من هذا منتقى ، ومثله قوله تعالى « لا بيـــع فيه ولا خلة «125» » ، قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، وتكـــــون « لا » هاهنا بمعنى ليس ، كما قال :

فـــأنـــا ابـــن قـــيـــس لا بـــــــراح

وأما وجه نصب « سهل » فعلى اعمـــال « لا » وجعلـــهـــا ناقصة محذوفة الخبر ، فتنصب بها ، والتقدير : لا سهل فيـــه أو منه ، مثل قولهم : لا بأس ، ولا خـــوف ، ومنـــه قولهـــم : لا حول ولا قوة الا بالله .

وأما الخفض فعلى وجهين : على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة ، كقولهم سرت بلا زاد وعجبت من لا شىء ، فان « لا » ملغاة العمل زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، ومنه قوله تعالى : « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعـــة «126» » وقوله « وظل من يحمـــوم ، لا بـــارد ولا كريـــم «127» » ،

«124» فى هذا : ز س ، هذا : م .
«125» سورة البقرة ، الآية 254 .
«126» سورة الواقعة ، الآية 33 .
«127» سورة الواقعة ، الآية 44 .

فـ « مقطوعة » و « ممنوعة » : نعت للفاكهــة ، و (بــارد) و (كريم) : نعت للظل ، ولكــن بتقديــر « لا » فى المعنــى والغائها فى العمل ، لانك لــو لــم تلغــهــا لعملــت عملهـــا وحالت بين العامل فى النعت والمنعوت فكأنها فى التقدير ، ولو أبطلت أيضا حكمها فى المعنى لبطل المعنى وكان ما بعدها اثباتا من حيث كان نفيا ، فهى ملغاة فى العمل زائدة ، غير فاصلة بين العامل والمعمول فيه ، فكذلك قولها « لا سهل » « ولا سمين » .

وقد يكون له أيضا وجه آخر : وهو أن تقدر « لا » بمعنى غير ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها ، فاذا تقرر هــذا فى قولها « لاسهل » : فلك أن ترد قولها بعد ذلك « ولا سمين » على ذلك كله ، وتجريه على اعراب ما قبله من الوجوه الثلاثــة عطفا عليه ، وان شئت نونت « سميــنا » فى حــال النصب ، وان شئت قلت : « لا سهل ولا سمين » فأبقيــت الاول على حاله ورفعت الاخير على الوجهين اللذين ذكرناهما قبل فى رفــع الحرفين معا ، وان شئت قلت « لا سهل ولا سمــين » فرفعت الاول ونصبت الثانى ، كقوله تعالى « فلا رفــث ولا فســوق ولا جدال فى الحج «128» » فى قراءة ابى عمرو ، وكقول أمية ابن أبى الصلت :

فلا لغــو ولا تأثيم فيهـــا   وما فاهوا به أبدا «129» مقيم

«128» سورة البقرة ، الآية 197 .

«129» ابدا : س ، لهم : زم .

بيـــــــان :

ان قلت : ذكرت أن أعرب الوجوه عندك الرفع فى الحرفين ، وأصل « لا » العاملة نصب النكرة المنفية المفردة التالية لها ، وقصاراك ان عطفت النكرات عليها مـــع تكرارهـــا أن تجـوز الرفع تجويز النصب ، فأما ترجيحه عليه فدعوى ، وكيف وقدوة الجماعة يقول · النصب أجود وأكثر من الرفع ؟ . فاعلم ـ وفقك الله ـ أنى اذا بينت لك قولى ورفعت مناره ، رأيت ترجيحـــه وايثاره ، وذاك أنى لم أر ذلك من جهة مذهب النحاة وتقويـــم الالفاظ ، ولكن من جهة المعنى وتصحيح الاغراض ، وترتيب الكلام ونظامه ، ورد اعجازه لصدوره وتفصيل أقسامه ، وذلك أن هذه المرأة أودعت أول كلامها تشبيه شيئين من زوجهـــا بشيئين كما تقدم ، فشبهت باللحم الغث بخله وقلـــة عرفـــه ، وبالجبل الوعث شراسة خلقه وشموخ أنفه ، فلما أتمت كلامها جعلت تفسر ـ مستأنفة ـ كل واحـــدة من الجملتين ، وتفصل ـ ناعتة ـ كل قسم من التشبيهين ، ففصلت الكلام وقسمته ، وأبانت الوجه الذى به علقت التشبـــيه وشرحتـــه ، فقـــالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لاخذ اللحم الغث المزهود فيه ، لان الشىء المزهود فيه ربما أخذ اذا جاء عفوا وتنوول «130» اذا سهل مأخذه ، ثم قالت : ولا اللحم سمين فيتحمل فى طلبـــه وانتقائه «131» مشقة صعود الجبل ومعانـــاة وعـــورته ، اذ

«130» تنوول : ز ، يتناول : ك ، تنول : م ، تناول : س .

«131» وانتقائه : س ، واقتفائه : م .

الشىء المرغوب فيه قد تتحمل المشاق دونه ، فاذا لم يكن هذا ولا ذاك ، واجتمع قلة الحرص عليه ، ومشقة الوصول اليــه ، لم تطمح اليه همة طالب ، ولا امتدت نحــوه أمنيــة راغب ، نكذلك زوجها قد أيس من خيره لهذين الوجهين . فقطع الكلام عند تمام التشبيه والتمثيــل ، وابتــداؤه بحكــم التفــسيــر والتفصيل ، أليق بنظم الكلام ، وأحسن من نفى التبرية «132» وسرد الصفة فى نمط البيان ، وأجلى فى رد الاعجاز على صدور هذه الاقسام ، وتأمل كتاب الله العزيز ، فان المنفيات فيه حيث ترددت معطوفة لشىء واحد جاءت بالوجوه الثلاثة ، كقولــــه تعالى « وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعــة ولا ممنوعــة » «133» و « كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » «134» و (يوم لا بيع فيــه ولا خلة) «135» قرىء بالوجهين الرفع والنصب ، و « لا رفث ولا فسوق ولا جــدال فى الحــج » «136» ، وحيــث وردت المنفيات فيه اصفات «137» أشياء أو لشيئين يختص كل واحد منها بوصف وقصد كل شىء منها بنفى عيب : ابتدأ الكلام «138» حينئذ مستأنفا فقال « بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ، ولا هم عنها ينزفون » «139» ، فقوله (لا فيها غول) من صفــة

«132» التبــرية : ز ك ، البتــرية : س .
«133» سورة الواقعة ، الآية 33 .
«134» سورة الطور ، الآية 23 .
«135» سورة البقرة ، الآية 254 .
«136» سورة البقرة ، الآية 197 .
«137» لصفات : زم ، لصفة : س .
«138» ابتدا الكلام : ك ، ابتدىء الكلام : م ، ابتدا فى الكلام : س .
«139» سورة الصافات ، الآية 46 — 47 .

المشروب ، وقوله (ولا هم عنها ينزفون) من صفة الشاربين ، وهذا من الترتيب البديع ، والتناسب العجيب ، فانه جعل الوصف الاول للموصوف الاول ، والثاني للثاني ، وهو من أبدع أنواع التأليف ، وأحسن أساليب الترصيف «140» ، ومثله قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها — العناب ، والحشف البالى

فأتى (بالعناب) أولا (للقلوب الرطبة) المذكورة أولا ، و (بالحشف) ثانيا (لليابسة) المذكورة ثانيا ، وقول بعضهم :

سل عنه ، وانطق به ، وانظر اليه ، تجد
ملء المسامع ، والافواه ، والمقل

فانه قابل بقوله (ملء المسامع) أولا فى الشطر الثانى قوله (سل عنه) أولا فى الشطر الاول ، وأتى (بالافواه) ثانيا فى الثانى مقابلا (للنطق) ثانيا فى الاول ، وأتى (بالمقل) ثالثا فى الثانى مقابلا (للنظر) ثالثا فى الاول ، ومثله :

قلبى وطرفى منك ، هذا فى حمى قيظ ، وهذا فى رياض ربيع

فانه حمل (حمى القيظ) الذى جاء به أولا فى العجز على (القلب) الذى جاء به أولا فى الصدر ، وحمل (رياض الربيع) الذى أتى به فى العجز آخرا على (الطرف) الذى أتى به فى الصدر آخرا ، فتناسب النظم على نسقه ، وتطارد الترتيب على جادة طلقه ، وكذلك جاء فى بعض روايات حديث أم زرع

«140» الترصيف : م ك ، التصريف : ز س وهو تصحيف .

بتقديم « لا سمين » لعوده على اللحم المقدم ، وتأخير « لا سهل » لعطفه على الجبل المؤخر ، وقد ترامى بنا القول هنا الى لمحة والماعة مما فى كلامها من أبواب البلاغة ، وهو فصل لم نر التطويل به هاهنا ، وسنذكره بعد مع أشباهه مما فى كلام صواحبها ان شاء الله تعالى .

فقهه :

استدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ذكر السوء والعيب اذا ذكره أحد فيمن لا يعرف بعينه واسمه أنه ليس بغيبة ، وأن الغيبة أن تقصد معينا بما يكره ، فان النبى صلى الله عليه وسلم قد حكى عن بعض هؤلاء النسوة ما ذكرنه من عيب أزواجهن ، ولا يحكى عن نفسه أو غيره صلى الله عليه وسلم الا ما يجوز ويباح ، وقال مثل ذلك أبو سليمان الخطابى ، ورأيت شيخنا الامام أبا عبد الله محمد بن على التميمى (42) لا يرتضى هذا القول ، وقال : انما كان يكون هذا حجة لو سمع النبى صلى الله عليه وسلم امرأة تغتاب زوجها ولا تسميه فأقرها عليه ، وأما هذه الحكاية عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن فليس بحجة فى جواز ذلك ، وحالهن كحال من قال : فى العالم من يسرق ويزنى ، فلا يكون غيبة ، قال : ولكن المسألة لو نزلت فوصفت المرأة زوجها بما

(42) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، محدث ، من فقهاء المالكية ، له « المعلم بفوائد مسلم » و « الكشف والانباء » فى الرد على الاحياء للغزالى ، توفى سنة 536 هـ .

هو غيبة وهو معروف عند السامع فان ذلك ممنوع ، ولـو كان مجهولا لكان لا حرج فيه على رأى بعضهـم الذى قدمنــاه . قال : وللنظر فيه مجال .

قـال الفقيه القاضى أبو الفضل أعلى الله قدره :

وما قاله الشيخ رضى الله عنه فيه للنظر — أيضا — مجال عندى ، وتحقيق المسألة أن فائدة النهى عن الغيبة الحماية «141» عن أذى المؤمن ، فاذا ذكر المجهولين عنـد القائـل والسامـع بالقبيح دون أن يذكر لهم اسم أو وصف عساهم أن يعرفهم به غيرهما ليس بغيبة ، لان مثل هذا لا يصل به أذى للمقول فيه ، اذ لا يتأذى الا بتعيينه اما عند القائل أو السامع أو من يبلغـه الخبر . وهذا مثل قولك : فى العالم من يفسق ، وفى بنى آدم من يسرق ، فهذا لـيـس بغيبة ، وقد أشار الى نحو هذا الحارث «142» بن أسد المحاسبى (43) رحمه اللـه ، قـال : وقـال ابراهيم (44) : لا يكون غيبة ما لم يسم صاحبها ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحـد شىء لم يصرح بـه ،

«141» الحماية : ك ، حماية : ز م س .

«142» الحرث : ز ك ، الحديث : س ، والصواب : الحارث . ولفظ المحاسبي زيادة من نسخة : ز .

(43) هو ابو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى ، الزاهد المشهور ، من اكابر الصوفية ، كان عالما بالاصـول والمعاملات ، واعظـا مبكيا ، وله تصانيف فى الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، من كتبه « الرعاية لحقوق الله » ، توفى سنة 243 هـ .

(44) لعل المراد : ابو اسحاق ابراهيم بن ادهـم بن منصور التميمى البلخي ، زاهد مشهور فقيه ، توفى سنة 161 هـ .

وكان يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا ، وهو — صلى الله عليه وسلم — وان عرفهم فليس بمغتاب لهم ، اذ نيته غير الغيبة والاذى ، بل التحذير والعظة ، ولو فعل ذلك انسان لمثل هذا لم يكن مغتابا ، اذا لم يصرح ولم يعرض باسمه تعريضا يفهم عينه ، وكذلك قوله فى هذا الحديث : « اجتمع احدى عشرة امرأة » ، فذكر نساء مجهولات الاعيان والاسماء ، مجهولات الازواج ، بائدات الزمان ، فما حكى عن بعضهن من قبيح ذكر أزواجهن ليس بغيبة ، نعم وان كان قد سمى فى بعض الطرق — كما ذكرنا — بعضهن ، فان أزواجهن غير مسمين ، ومع ان «143» تلك التسمية — لقدم «144» الزمان — لم تزد معرفة ، وأيضا فانه أخبر عن قوم من أهل الجاهلية : الله اعلم «145» هل كانوا على ديانة أو لا ؟ فلم يكن فيهم — ولو عرفوا ، ان كانوا على الجاهلية — غيبة . وأما متى كان المقول فيه معروفا عند القائل أو السامع فهو غيبة ، وكذلك لو لم يعرفاه ولكن بلغ أحدا من الناس أن فلانا الـ كذا أتى دناءة كذا أو تخلق من القبيح بكذا فحدث به من لا يعرف المسمى واستمع الآخر اليه لكانا مغتابين ، لان ذلك المسمى لو بلغه ذلك أو سمعه لتأذى به ، الا أن يكون القائل يعرفه ولكن لم يفصح عنه

«143» ومع ان : كذا فى النسخ ، ولعل الاصوب : « مع ان » بدون واو .

«144» لقدم : ز ك ، لقديم : م س .

«145» الله اعلم : م س ، والله اعلم : ك .

«146» ، أو ذكر «147» عيبه لضرورة التحذير أو الوعظ كما تـقــدم .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل وفقه الله :

وقول شيخنا أبى عبد الله « وانما حكى عن نساء مجهولات غير حاضرات ينكر عليهن » غير سديد عندى ، فان الحجة انما هى فى حكاية النبى صلى الله عليــه وسلم عنهــن «148» أو الحكاية له عليهن ما حكى ، ولو حكى رجل عن غائبة أنها قالت فى زوجها كذا ونبزته بكذا لكان غيبة من الراوى والسامع له ، وانما الحجة من هذا الحديث حكايتـــه صلى الله عليه وسلم عن المجهولات ، والمقول فيهم مجهولون عنــد جميــع السامعين ، والحمد لله رب العالمين .

تنــبيــه : كنت نويت أن أذكر ما فى كــلام كل «149» واحدة من هؤلاء النسوة من ابواب الفصاحة ، وأنبه على مــا فيه من فنون البلاغــة ، وابين مــا اشتمل عليــه من ابــواب البديع على مذهب أهل هذه الصناعة ، فان كلام هؤلاء النسوة من الكــلام العــالى الفصيــح ، الجامــع للفـظ المخــتــار والنــظــم المتــنـاســب المــلــيــح ، والمعنــى الــجــيــد البليغ الصحيح ، لكنى رأيت أن افراد الكلام عليــه عند شرح قول كل واحدة يطول ، لما يتوجه من التكرار والمداخلة فى بعض

«146» عنه : س ، به : ز م ك .
«147» او ذكر : ك ، وذكر : ز م س .
«148» عنهن : ز ، ـــ : م ك س .
«149» كلام كل : س ، كل كلام : ز .

الفصول ، فرأيت تأخير ذلك الى آخر الحديث اولى ، ليتــأتى الكلام عليه دفعة ويفيض سجلا ، جريا على مــا اشترطته من الاختصار ، وكرها لما بسطته من عذر الاكثــار ، والعــون من الله جــل اسمــه .

غريب قول الثانية

لا أبث : لا أنشر وأذكر ، ومن رواه « انــث » فمن هذا . يقال : « بث الحديث ونثه » : بمعنى ، الا أن النـــون أكثــر ما يستعمل فى الشر ، وهو بمعنى أنبىء فى الرواية الاخرى أى أعلم ، قال أبو عبيد : والعجر تعقد العصب والعروق فى الجسد حتى تراها ناتئة ، والبجر : مثلها ، الا أنهــا مختصة بالبطن . وقال نحوه الاصمعى (45) ، وقال ابن الاعرابى (46) : العجرة نفخة فى الظهر ، فاذا كانت فى السرة فهى بجرة ، ثم ينتقلان الى الهموم والاحزان ، ونحوه عن ثعلب (47) والاصمعى ، قـــال :

---

(45) هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، الباهلي الاصمعي البصري اللغوي ، احد ائمة اللغة والغريب والاخبـــار والملــح والنوادر ، صنف « غريب القـــرآن » و « معـــاني الشعـــر » وغيرهما ، توفى سنة 216 هـ . او التى قبلهـــا .

(46) هو ابو عبد الله محمد بن زياد ، المشهور بابن الاعرابى ، كان نحويا عالما باللغة والشعر ، راوية للاشعار ، حسن الحفظ لها ، له كتاب « النوادر » و « معاني الشعر » وغيرهما . توفى سنة 230 هـ .

(47) هو ابو العباس احمد بن يحيى بن يســـار ، المشهور بثعلـــب ، امام الكوفيين فى النحو واللغـــة ، صنف « غريـــب القـــرآن » و « معاني القرآن » و « اختلاف النحويين » وغيرهـــا . تـــوفى ســـنـــة 291 هـ .

ومنه قول على رضى الله عنه يوم الجمل : الى الله أشكو عجرى وبجرى . أى همومى وأحزانى ، وقال احمد بن عبيد (48) : العجر : فى البطن والجنب ، والبجر : فى السرة ، وقال الاصمعى : انها تستعمل فى المعايب أيضا ، قال الهروى : عجره وبجره : أى عيوبه ، وقاله ابن أبى أويس «150» وابن حبيب ، وقال ابن السكيت : أسراره ، وقال نحوه المبرد (49) ، وبه فسر قول على رضى الله عنه قال : أى ما أسر من أمرى ، وحكى نحوه عن الاصمعى قال عنه : وهو كلام سائر ، ومن أمثال العرب : لقى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره أى أسراره ، وقال أبو سعيد النيسابورى : انما عنت أن زوجها كثير العيوب ، متعقد النفس عن المكارم .

معناه :

قولها « لا أبث خبره ، أخاف أن لا أذره » : أى أترك حديثه ، والهاء عائدة على الخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأته لم أقدر على تمامه ، والى هذا ذهب يعقوب ، ويعضد هذا ما ورد فى بعض زيادة بعضهم : « ولا أبلغ قدره » ، وفيه تأويل آخر ذكره احمد بن عبيد بن ناصح : أن الهاء

«150» ابن ابي اويس و : ز ، ـــ : م ك س .

(48) هو ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح ، النحوي الكوفي الديلمي الاصل ، يعرف بأبي عصيدة ، صنف « عيون الاخبار والاشعار » و « المقصور والممدود » وغيرهما ، توفي سنة 278 هـ .

(49) هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي البصري ، المشهور بالمبرد ، امام العربية ببغداد فى زمانه ، له من التصانيف « معاني القرآن » و « الكامل » وغير ذلك ، توفي سنة 285 هـ .

عائدة على الزوج ، وكأنها خشيت فراقـه ان ذكرتـه وكرهت ذلك ، وتكون « لا » هاهنا ــ على قوله ــ زائدة ، كما قـال تعالى (ما منعك أن لا تسجد «151») وشبهه ، فيكون «أذره» على هذا التأويل : افارقـه ، ويحتمل على رجـوع الهـاء الى الزوج تأويلا آخر : أى انـى ان أخبـرت بشىء من عيوبـه ونقائصه افضى الى ذكر شىء آخر اقبح منه ، وقـد عاهدت صواحبها على أن لا تكتم شيئا من صفاته عنهن ، فهذه كرهت ما تعاقدت عليه معهـن . وذهبت الى سـتـر عيـوب زوجهـا لكثرتها ، ولم تر أن تذكر بعضا دون بعض ، وانها ان ذكرت شيئا تسبب «152» ذكر شىء آخر ، فرأت الامساك أولى ، ويدل على هذا ما وقع فى بعض طرقه : أخاف أن لا اذره مـن سوء . ومعنى قولها « ان أذكره أذكر عجـره وبجـره » فعلى مذهـب ابن الاعـرابى وثعـلـب والاصـمـعـى : أى انـى ان ذكرته ذكرت همومى وأحزانى به ، وعلى مذهب الاصمعى الاخر والهروى والنيسابورى : ان ذكرتـه ذكـرت معايبـه وقبائحه ، وعلى مذهب ابن السكيت : ذكرت أسراره ، وبعضها قريب من بعض ، قال الخطابـى : أرادت عيوبـه الباطنـة ، وأسراره الكامنـة .

قـال الفقيـه القاضى رضى الله عنه :

وأرى ــ والله أعلم ــ أنه كان مستـور الظاهـر ، ردىء

«151» سورة الاعراف ، الآية 12 .

«152» تسبب : م س ، سبب : ز ، يسبب : ك .

الباطن ، فلم ترد هتك ستره ، وانها ان تكلمت بما قــد عاقدت عليه صواحبها كشفت من قبائحه ما استتر ، وابدت من ســوء حالها وعظم همها به ما ــ قبل ــ لم يظهر ، ولكنها وان لوحت وما صرحت ، واجملت وما شرحت ، فقــد بثــت وان قالــت لا أبث ، اذ لا بد للمصدور أن ينفث ، وهذا كما قال :

ولولا أن يقال صبــا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

ففى ضمن الصريح أنه لم يقل ، وفى نص الصريح أنه قد قال . ولكن هذه اكتفت بالايماء والاجمال فى الخبر عنه ، ولم تهتــك حجاب الصون عن عورات ما عرفت منه .

غريب قول الثالثة

قولها « زوجي العشنق » فالعشنق الطويل ، قاله أبو عبيد وغيره من الشارحين ، وخطأه فى ذلك عبد الملك بن حبيب ، وقال : العشنق : المقدام على ما يريد الشرس فى أموره ، بدليل بقية وصفها له ، وقال أبو سعيد النيسابورى قولا يجمع التفسيرين قال : العشنق : الطويل النحيف ، الذى ليس أمره الى امرأته ، وأمرها اليه ، فهو يحكم فيها بما يشاء ، وهى تخافه ، وقال أبو منصور الثعالبى : العشنق والعشنط : المذموم الطول ، قال غيره : ومثله القاق والقوق «153» ، وهذا يقرب من قول النيسابورى ، وقال صاحب العين : العشنق : الطويل العنق ، وقال ابن أبى أويس : العشنق : الصقر من الرجال ، المقدام الجرىء ، قال : ويقال للطويل من الرجال العشنق ، وحكى ابن الانبارى عنه أنه : الطويل الجرىء والقصير ، قال أبو بكر : فكأنه جعله من الاضداد ، والمشهور أنه الطويل .

تنبيه :

قال القاضى : الذى قرأناه فى حديث ابن أبى اويس :

«153» القاق والقوق : ز ك ، الفاق والفوق : م س وهو غلط .

الصقر ، كما ذكرناه ، ولم يذكر ــ فيما رأيت ــ احد من أهــل اللغة العشنق فى القصــار ، ولعلــه تصحيف من أبــى بكــر ، والله أعــلــم .

وقولها : « اعلق » أى يتركنى معلقة ، كمن لا زوج لهــا ، ولا هى ايم : قال الله تعالى : (فتذروها كالمعلقة) «154» ، و « السنان » الرمح و « المذلق » المحدد ، أى انها معه على مثل سنان محدد ، وذلق كل شىء حده ، ومنــه قولهم : لســان ذلق ، أى حديد فصيح ، أرادت انها لا تجــد معــه قــرارا ، وانها معه على حذر ، كمن هو على طرف السنان ، أو أنه هــو لهوجه لا يستقر على حالة .

مــعــنـــــاه :

وصفها له بالطول على رأى ابى عبيد : تريد مدحه بذلك ، لان العرب تمدح الرجال والسادة بطــول القامــة ، وفخامــة الظاهر ، ومنه قول الاخرى : طويل انجاد ، وقال الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنمــا   عمامتــه بين الرجال لــواء

وقــال آخـــــر :

خدف يضيــق السرج عنه كأنما   يمد ركابيه من الطول مانح

«154» سورة النساء ، الآية 129 .

وقـــال غــيـــــره :

بطل كأن ثيابه فى سرحـــة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول كان ثيابه من طوله على سرحـــة ، أى شجــرة عظيمـــة طويلة ، لكمال خلقه ، وانه ولد وحده ، غير توأم لولد آخـــــر زاحمه فى الرحم فاضعفه ونقص خلقه . ومنـــه قـــول الشعبى : لولا انى زوحمت فى الرحم ما قامت لاحد معى قائمة ، واقتصارها من صفاته على الطول وحده : قال الاصمعى : أرادت بذلك أى ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع ، فان ذكرت ما فيه من المعايب طلقنى ، وان سكت تركنى معلقة : لا ايمـــا ، ولا ذات بعـــل ، تعنى ينتفع به منفعة البعولة ، ولست مطلقة فاستريح واتفرغ لغيره من البعولة وأيأس منه ، ولا أحسن صحبتى فاغتبط به ، فأنا كالشىء المعلق بين العلو والسفل ، غير المستقر فى احدهما ، وقيل : يحتمل قولها أن يكون من علاقة الحب ، ولذلـــك كانـــت تكره أن تنطق لئلا يفارقها وان سكتت لقيت بعلاقها ولم يهتبل بها ، ولا وصلها فشفى غليل صدرها ، قال أبو بكر الانبارى : أرادت أن زوجى له منظر بلا خبـــر . وعلى المذهب الآخـــر : فمقتضى جميع ما وصفته به سوء الخلـــق والعشـــرة ، وانهـــا لا تأمن أذاه وضره ، وانه مع هذا مذمـــوم المرأى والخلقـــة ، وانها على حذر من صحبته ، غير مطمئنة النفس ، ولا مستقرة الجأش معه ، متوقعة أذاه أو فراقه ، فهى معه كمن هو على حد السنان من المخافة والحـــذار «155» ، وعـــدم الطمأنـــيـــنة

«155» والحذار : ز م ك ، والحذر : س .

والاستقرار ، والعرب تقول لمن يكون على حذار «156» وغير استقرار : كأنه على مثل سن الرمح ، ومثل حد السيف ، ومثل قرن الظبى ، قال امرؤ القيس :

كأنـــى واصحـــابى على قـــرن اعفـــرا

وقد أبان هذه العلة أبو العلاء ابن «157» سليمان بقوله :

كأننـــى فـــوق قرن الظبى من حـــذر

«156» حذار : م س ، حذر : ز ك . والحذار المحاذرة .
«157» ابن : م ك ، ــ : ز س .

غريب قول الرابعة

« زوجي كليل تهامة » : القر : البرد ، والسآمة : الملال ، والوخامة : الثقل ، يقال رجل وخيم : أى ثقيل ، وطعام وخيم : ثقيل غير مستمرىء ، ومرعى وخيم : لا تنجع عليه الماشية .

عـربـيـتـه :

يجرى فى قولها « لا حر ولا قـر ولا مخافة ولا سآمـة » ما تقدم من الوجوه فى قـول الاخرى « لا سهـل ولا سمين » ، ولكن كلام هذه أجلى فى بعض الوجوه من الكسـر على الصفـة لتكرر الاوصاف ولكونها كلها أوصافا لشىء واحد ، وسيـبويه يستقبحه اذا لم تتكرر الاوصاف ، ومن العطـف على الموضـع اذا نصبـت أولا ورفعـت آخـرا لكونـها جملـة واحـدة واشتراكهما (158) فى الخبر كما قال تعالى (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) «159» وكما قال :

لا أم لـى ان كـان ذاك ولا أب

«158» واشتراكهما : س ، واشتراكها : ز .

«159» سورة البقرة ، الآية 254 .

مـعـنـــــاه :

وصفته بحسن صحبتها ، وجميل عشرتها ، واعتدال حاله ، وسلامة باطنه ، وثقتها به ، وضربت المثل بليل تهامة لان تهامة من بلاد الحجاز ـ مكة وما والاها ـ بلاد حارة راكدة الريح ، وبهذا سميت تهامـة . قـال الاصمعى : العـرب تقـول اذا انحدرت من ثنايا ذات عـرق فقـد اتهمـت الـى البحـر ، واذا تصوبـت مـن ثنـايـا العـرج فقـد استـقبلـت الاراك والمرخ وشجر تهامـة واتهمـت ، قـال الاصمعـى : والتـهـمـة · الارض المتصـوبـة الـى البحـــر ، قـال ابن دريد : التهم : الحر ، وركود الريح ، وبه سميت تهامـة ، وأنشـد غيـــره :

نجد برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة فى حمائها «160» المتوقد

وقال الحسن الهمدانى : تهامة : ما استطال من جزيرة العـرب بين بحرها «161» الغربى والسراة وكانت فيه طمأنينة وحرارة .

قـال الـقـاضى :

فليلها لا قر فيه ، أى ليس فيه ريـاح بـاردة شديـدة ، ولا حر ، لان برد الليـل على كل حال «162» يطفيـه ويكسر سورته ، فهى معتدلة ، وبلاد الحجاز بالجملة موصوفة بطيـب

«160» حمائها : س ، حمامها : ز .
«161» بين بحرها : س ، من نجدها : ز .
«162» حال : س ، حالة : ز .

الليل والاصائل والظلال ، وقد أكثر فى ذلك شعراؤهم ومنــــه قــول بعضهــم :

ألــم تعلما أن المصلى مكانه وأن العقيق ذا الظلال وذا البرد
وان بها لــو تعلمان أصائــلا وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

تقول : لا أذى عنده ولا مكروه ، كمثل هذه الليــلة التى ليــس فيها حر ولا برد ولا ريح ، لان فى الريح والحــر والبــرد أذى اذا اشتد ، وتقول : لا عنده غائلة ولا شر فأخافه ، ولا يسأمنى ولا يستــثــقلنى فيمل صحبتى ، ويكــون هذا معنى قولهــا : « ولا وخامة » ، أو يرجع قولها « ولا وخامة » الى صفة ليــل تهامة ، لان بلاد تهامة واشراف بلاد الحجاز ونجــد صحيحــة الهواء ، غير وخمة ، ولا وبيئة ، وقد يكون قولها « ولا وخامة » أى انه ــ تعنى زوجها ــ ليس فيه ثقل ولا فدامة ، بــل هــو حلو الشمائل ، خفيــف على المصاحب ، مستــلان الجانــب ، وقولها فى الرواية الاخرى : « ولا يخاف خلفــه ولا أمامــه » ، قال ابن الانبارى «163» تريد أن باد تهامة لا يخاف أهله من أمامهم ولا من خلفهم ، لتحصن أهله بالجبال . ويحتمل عندى أن ترد « خلفه » و « أمامه » على زوجهــا ، أى انــه مأمــون ، لا تخشى مضرته «164» من جهة من جهاتــه ، كما قالــت : « ولا مخافة » ، أو تخبر أنه حام لذماره ، مانــع لحوزة داره وجاره ، ثم وصفته بالكرم والسخاء بقولهــا « والغيث غيــث غمامة » أى ان جوده ينهل ، ويحيى به الانام ، كغيث الغمام .

«163» الانباري : س ، الاعرابي : ز .
«164» مضرته : س ، ان تاتي مضرة : ز .

غريب قول الخامسة

« زوجى ان دخل فهـد » ، قال ابن الانبارى : أى نـام وغفل فصار كالفهد ، لكثرة نومه ، يقال : أنوم من فهد . قال أبو عبيد : تصفه بكثرة النوم والغفلـة ، على وجـه المدح لـه ، وقولها « ان خرج أسد » تمدحه بالشجاعة . أى صار كالاسد ، يقال : أسد الرجل واستأسد اذا «165» صار كذلك ، وقولهـا « عما عهد » أى رأى فى البيت وعرف ، قال ابو عبيد : لا يتفقد ما ذهب من ماله ، ولا يلتفت الى معايب البيت وما فيه ، فكأنه ساه عن ذلك ، وقوله «166» هذا يقتضى تفسيرين لـ «عهد» ، احدهما : عهد قبل ، فهو يرجع الى تفقد المال ، والثانى عهـد الآن ، فهو بمعنى الاغضاء عن المعايب والاحتمـال «167» ، وقال ابن أبى اويس : تقول ان دخل وثب على وثوب الفهـد ، وان خرج كان كالاسد على الناس «168» جـرأة واقدامـا ، فقوله «169» « وثب على » يحتمل أن تريد به البطش بهـا ، والضرب لها ، أو تريد به المبادرة الى جماعها ، وكثرة الحظ من استمتاعها ، أو سوء «170» تناوله ذلك دون ملاعبتها «171»

«165» اذا : س ، اي : ز .
«166» وقوله : س ، وقولها : ز وهو غلط لان المراد قول ابي عبيد .
«167» الاحتمال : م س ، الاختلال : ز ك .
«168» على الناس : ز ، ـــ : م ك س .
«169» « فقوله » : كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : فقولها .
«170» او سوء : م س ، وسوء : ز ك .
«171» ملاعبتها : ز م س ، مداعبتها : ك .

وتقديم الايناس قبل الابساس بمواقعتها . قال ابن حبيب : وصفته بأنه فى اللين «172» والدعة والغفلة عندها كالفهد ، واذا «173» خرج كان كالاسد فى شجاعته ، ولم تـرد النـوم كمـا قـال شارح العراقيين ، قال : وقد ورد للنبى «174» صلى الله عليه وسلم مثل هذا فى وصف على وذم من كان بخلافه ، فروى عنه أنه صلى الله عليـه وسلم قـال : « ان الله يبغـض الـذواق المطلاق ، الذى أراه لا يأكل ما وجد ، ويسأل عما فقـد ، وهو عند أهله كالاسـد ، وكـان خارجـا كالثعلـب ، لكـن علـى لفاطمة يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ، وهو عندها كالثعلب وخارجا كالاسد » (50) .

«172» فى اللين : ز ك ، من اللين : م س .
«173» واذا : م س ، فاذا : ز ك .
«174» للنبي : ز م ك ، عن النبي : س .

(50) اورد الحافظ السخاوي فى « المقاصد الحسنة » حديث : « ان الله يكـره الرجل المطلاق الذواق » برقـم 248 ، وقـال انـه لا يعرفه ، وكذلك لم يعرفه الحافظ العجلوني ، واورد السخاوي حديث : « ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق » برقم 10 ، وقال : رواه ابو داود والحاكم ، واورد حديـث : « لا احـب الذواقين من الرجال ، ولا الذواقات من النساء » برقم 1281 ، وقال : رواه الطبراني عن ابى موسى مرفوعـا ، والديلـمي والدارقطني عن ابي هريرة ، اما النـص الذي اورده القاضـي عياض وفيه « .. الذي اراه لا ياكل ما وجد ، ويسال عما فقد ...» فغـير معـروف .
لكن وردت صفة التغافل للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقـد روى الترمذي فى الشمائل عن سيدنا علي رضي الله عنه فى صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتغافل عما لا يشتهي » . (شرح جسوس 2 : 184) .

قال القاضى أيده الله :

والاولى أن يكون ذكر « فهد » هاهنـــا «175» على معنى الاستعارة ، جعلت كثرة تغافله كالنوم والله أعلم ، لا سيما وقد وصف الفهد بالحياء وقلة الشره ، وهذه كلها خلق مدح «176» وهى راجعة الى ما أشار اليه أبو عبيد ، ومما يبيـــنه قولهـا « ولا يسأل عما عهد » ، وكثيرا ما وصفت العـرب الكرمـاء والســادة بالتغافــل والحيــاء فى بيوتــهما وأنــديــتهــا ، قالت ليلــى الاخيليــة :

تخالــه وسط البيوت من الحياء سقيما

وقـــال الآخـــــر :

نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقـــال آخــــر :

كريم يغض الطرف دون حيائــه
ويدنـــو وأطراف الرماح دوائر «177»

وأما كثرة النوم فمذموم ، وقلته محمودة ، دالـة على اليقظــة والذكاء ، قال الهذلــى :

فاتت به حوش الفؤاد مبطنـــا سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

«175» هاهنا : س ، هذا : ز م ك .
«176» مدح : س ، تمدح : ز .
«177» دوائر : م س ، دوان : ز ك .

وقـــال الآخـــر :

وأفضل أبنـــاء الرجـــال المسهد

وقال عبد الملك بن مروان لمعلم بنيه : علمهم العـــوم ، وخذهم بقـــلة النـــوم .

قـــال الفقيـــه القاضى رضى الله عنه :

وقد يظهر لى فيه وجه آخر مع صحة ما ذكروه ، وبيانه : وذلك أنهم بنوا قولها « فهد » على الاشتقاق من خلق الفهد والمثل المضروب به فى النوم ، وفى الفهد أيضا مثل آخر ذكره أصحاب الامثال كما ذكروا الاول وهو قولهم : اكسب من فهد ، قال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهانى فى شرح الامثـــال : وذلك ان الفهود الهرمة التى تعجز عن الصيد تجتمع على فهـــد فتـــى فيصيد عليها كل يوم شبعها . قلت : فلا يمتنع أن يكون قولهـــا « اذا دخل فهد » أى اذا جاء المنزل جـــاءه «178» بالكســـب والخير والفوائد ، كما يفعل الفهد فى كسبه ، ولا فرق بين هذا فى التأويل وبين الاول ، اذ كل واحـــد انمـــا اشتـــق من خلـــق الفهد ، وكانت العرب تتمادح بالكسب والاستفادة ، وفى حديث ابى بكر : انـــك تكسب المعدوم ، ومثله فى وصف ورقـــة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا أحد التأويلين فى هذيـــن الحديثين . وقال المساور بن هند من أناشيد ابى تمام :

تجـــرد «179» فيها متلف المال كاسبه

«178» جاءه : س ، جاء : ز .
«179» تجرد : ز م س ، تجود : ك .

فلا يبعد هذا التأويل عندى ، وان كان الاول أظهر واليق بالكلام ، لمطابقة لفظه ومعناه قولها « واذا «180» خرج أسد » ، كما سنبينه عند الكلام على ما فيه من البلاغة وأبواب الفصاحة ان شاء الله ، كما أن أيضا قولها : « ولا يسأل عما عهد » من معنى « اذا دخل فهد » على التأويل الاول ، وفيه مطابقة ومماثلة للتأويل الثانى : فحمل كل فقرة على معنى مفرد ، أولى بالكلام الفصيح وأسعد .

عربيته :

قولها « فهد » : فعل مشتق من اسم «181» الفهد لاتصافه بوصفه كما ذكرنا ، مثل قولها « أسد » فعل مشتق من الاسد أيضا كذلك ، وكثيرا ما أتت افعال «182» التخلق والتغير المشتقة من ذلك على فعل وفعل ، وقد يحتمل أن يقال ان فهد هاهنا اسم ويكون خبرا لمبتدأ مضمر أى فهو فهد ، كما قال عليه السلام : « الحمو الموت (51) » ، وكما تقول : زيد الاسد ، أى مثل الاسد ، ويكون كسر الهاء هاهنا كما قالوا فخذ وفخذ ، أو لمناسبة قولها فى السجع الآخر ، وهو

«180» قولها واذا : ز ، وقولها اذا : س ، والصواب الاول .
«181» اسم : ز ، — : م ك س .
«182» افعال : ز ك ، — : م س .

(51) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار : يا رسول الله افرايت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت » . (مسند الامام احمد 4 : 149 ، 153) . ورواه الترمذي فى الرضاع والدارمي فى الاستئذان .

باب من الاتباع يتقدم لتحسين الكلام ومناسبة الالفاظ ، ومنه قوله عليه السلام : « ارجعن مأزورات غير مأجورات (52) » وحقه موزورات ، ولكنه حمله على لفظ « مأجورات » لتحسين الكلام ، وللعرب فى هذا الباب مذهب معلوم ، ويعضد هذا التأويل انه قد روى ففهد وفأسد ، وقد يحتمل أن تكون هاتان اللفظتان اسما للفاعل من فهد وأسد ، فكثيرا ما جاء اسم الفاعل من فعل على هذا الباب كحرج وخجل ووجل وعم وشرق وبرق وفرق ، فى أمثلة كثيرة ، لكن حمل ذلك على فعلين وحذف الفاءين أفصح ، وتقابلهما اسهل للكلام وأسمح .

معناه :

وصفته بأنه كريم الطبع ، نزه «183» الهمة ، حسن العشرة ، لين الجانب فى بيته ، ليس يتفقد ما ذهب من ماله ، ولا يلتفت الى جانب البيت ، ولا يطلب ما فقد منه وعهد فيه من طعام أو مأكول وشبهه ، ولا يسأل عنه لسخاوة نفسه ، وسعة قلبه ، فكأنه ساه أو نائم أو غافل عن ذلك ، فشبهته بالفهد لذلك ، وهذه الخصلة من مكارم الاخلاق ، وقد قيل : العاقل الفطن المتغافل ، وبينت ذلك بقولها : يأكل ما وجد ، فعرفت أنه نزيه «184» الهمة ، قنوع النفس ، ليس ببرم ولا لعموظ ، (53) ، ثم أكدت ذلك كله من أوصافه بقولها : ولا يرفع اليوم

«183» نزه : ز م س ، نزيه : ك ، وكلاهما سواء .
«184» نزيه : س ، نزه : ز م .

(52) رواه ابن ماجه فى كتاب الجنائز .
(53) رجل لعمظ ولعموظ اي حريص شهوان ، واللعموظ : المتطفل ، والنهم : الشره ، والذى يخدم بطعام بطنه . (من لسان العرب) .

لغد ، أى انه ممن لا يعد الزاد ويدخره ، بل يفنـيه من يومه ، ويجود به لحينه ، ويوسع عيشة من معه فى جميعه ، وقد كانت هذه خاق نبينا صلى الله عليه وسلم وأشراف العرب ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خلافها ، فروى عنه أنس : انـه كان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد ، حدثناه القاضى «185» أبو على الحسين بن محمد الصوفى ، قال : حدثنـا الامام أبـو القاسم البلخى يعرف بابن شافور ، قال حدثنا القاضى أبو على الوخشى وغيره ، قالوا حدثنا أبـو القاسم الخـزاعى حدثنـا الهيثم بن كلاب «186» الشاشى حدثنا أبـو عيسى الترمـذى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس وروى عنه أن خادما له خبأ له شيئا من طعامه فأتـاه بـه من الغد ، فقال له : « ألم أنهك عن هذا ؟ ان الله يأتى برزق غد » (54) ، وقد تقدم حديثه فى ذكر على ، وقد قال النابغة فى هذا الـمـعـنـى :

ولست بخابىء أبدا طعامى   حذار غـد ، لكل غد طعام

تـنـبـيـه :

ان قيل : كيف يصح ما تأولته من هذه الاحاديث ان خلـق

«185» القاضي : س ، قاضي القضاة : ز .
«186» كلاب : س ، كليب : م .

---

(54) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : اهديـت لرسول اللـه صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر ، فاطعم خادمه طائرا ، فلمـا كان من الغد اتته به ، فقال لها رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم : « الم انهك ان ترفعى شيئا ؟ فان الله عـز وجـل يأتى برزق كل غد » . (مسند الامام احمد 3 : 198) .

نبينا صلى الله عليه وسلم موافقة لقولها : « **ولا يسأل عما عهد** » على التفسير الذى ذكرته ؟ وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم وقد أتى بادم من ادم البيت فقال : « ألم أر برمة فيها لحم ؟ » فقيل لحم تصدق به على بريرة ، فقال : « هو عليها صدقة ، ولنا هدية (55) » ؟ فالجواب أن ما تأولته ظاهر بين من الاحاديث المذكورة ، ونص بلفظه فى حديث على كما قدمناه ، أما قصة بريرة فليس من هذا ، فان السؤال عما عهد قبل والاستقصاء عنه والمناقشة فى حيث «187» ذهب هو المذموم ، وأما استدعاؤه «188» الشىء الحاضر العتيد كلحم بريرة فليس من هذا ، فكيف وقد يمكن أن يكون سؤاله عن لحم بريرة واستدعاؤه ليبين لهم هذه السنة التى هى احدى سنن الحديث ؟، وفهم عنهم صلى الله عليه وسلم اذ قدموا له «189» ادم البيت وتركوا سيد الادام «190» اللحم ، وهو حاضر ، انهم حملوا اخباره بتحريم الصدقة عليهم عاما فى مثل هذا ، ودل أن هذا قصدهم احتجاجهم عليه بأنه صدقة ، فبين لهم صلى الله عليه وسلم سنته لذلك . وقد يحتمل أن يكون قولها « ولا يرفع اليوم لغد » كناية عن الحزامة والاخذ بالجد فى أمره ، وترك التوانى فيما يهم به ، ووصفته على التأويل الآخر

«187» حيث : س ، خبء ما : ز .
«188» استدعاؤه : س ، استدعاء : ز م .
«189» له : ز ك ، اليه : م ، ـ : س .
«190» الادام : س ، الادم : ز م .

(55) رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والامام احمد . وفى صحيح مسلم فى كتاب الزكاة انه لحم بقر .

بالاكتساب والاستفادة والوفر والتوسعة على أهل منزله ، ثـــم وصفته أيضا بالشجاعة اذا خرج للناس وباشر الحرب فكأنـــه الاسد الذى يخافه كل سبع ، وبقولها « اذا خرج اسد » ، ثـــم مدحها له بقولها « اذا دخل فهد » على التأويل المشهـــور ، اذ قد كان يظن أن ذلك من تغافله واغضائه وتناومه غريزة ضعف وطبيعة مهانة وفسولة ، ولكن لما أبانت أنه خارجا بخلاف هذه الصفة بان أن ذلك منه سجية كرم وشمائل نزاهة همـــة وحسن عشـــــــرة .

وأمـــا روايـــة مـــن رواه « اذا خـــرج فـــهـــد واذا دخل أسد » فهو وهم بخلاف سائـــر الروايات المشهورة الصحيحة ، لذلك وانقلاب المعنى الذى فسره بـــه من تقـــدم ، الا أنه قد يظهر لى فيه وجه ، وهو أن يكون معنى « اذا خرج فهد » تصفه فى الندى بالرزانـــة والسمـــت والحيـــاء والحلـــم والاغضاء تشبيها بالفهد ، وذلك أنه حيوان ثقيل كثير النـــوم ، على أنه سريع الوثب ، موصوف بالحياء ، وقلة الشره ، أو أنها وصفته اذا خرج بالكسب والنجعة كما قدمناه فى صفة «191» الفهد ، ويكون تأويل « واذا دخل أسد » أن تكـــون وصفتـــه بالكرم فى بيته وبين أقاربه ، والتفضل والمواســـاة ، فالاســـد يوصف بذلك ، وقالوا فى المثل : أكرم من أسد ، وذكر أصحاب الحيوان أن الاسد اذا افترس أكل بعض فريسته وترك لمـــن

«191» صفة : ز س ، صفات : م .

يجتمع حوله من الوحوش باقيها «192» ، ولم يهاوشهم «193» عليها ، ولا دافعهم عنها ، وانه قل ما يعرض لصبى ولا لامـرأة ولا نائم ، كرم «194» طباع ، ونزاهة نفس ، فتقول على هذه الـروايـة : انـه داخـلا كالاسـد كـرم اخـلاق ونزاهة نفس ، وانه خارجا كالفهد تغافلا واغضاء وسمتا وحياء وجمعا للمال وكسبا ، وهذه مادحة زوجها على رأى الجماعـة ، وهو ظاهر مذهب عروة بن الزبير فى سرد الذامات بجهة ، وقد حمل ابن الانبارى بعض تفسير ابن أبـى اويـس على الـذم وبعضه على المدح ، وهو محتمل أن يكون مدحا كله أو ذما كله أو منقسما بينهما ، فان تفسيره « فهد » بوثوبه وثوب الفهـد عليها محتمل كما ذكرناه ، وتفسيره « أسـد » بالجـرأة على الـنـاس والاقـدام مـحـتـمل للـمـدح والـثـنـاء ان أرادت به الدفاع وحضره «195» الهيجاء ، ومقتض للـذم ان كانـت أرادت بـه العـداء والظلـم «196» وان كـان مـن العرب من يمدح أيضا بهذا الوصف اذ هو دليـل عـزة الجانب وعـدم الخـوف .

«192» باقيها : س ، والبهائم : ز ، — : م ك .
«193» يهاوشهم : م س ، يهـارشهم : ز ك ، والمعنـى لم يقاتلهـم وينـازعهـم .
«194» كرم : ز م س ، فى كرم : ك .
«195» وحضره : ز ، وحضرة : س .
«196» العداء والظلم : ز ، الظلم : س .

غريب قول السادسة

قولها « اذا أكل لـف » ، اللف فى الاكـل الاكثـار منه ، والتخليط من صنوفه ، واستقصاؤه حتى لا يبقى منـه شىء «197» ، ومن روى « رف » فمعناه الاكثار من الاكل ، حكاه الهروى ، ويقال منه رف يرف ، ومن روى « اقتـف » فمعنـاه قريب من هذا ، قال صاحب العين : القفان الجماعة ، وقفان كل شىء جماعه واستقصاؤه .

قال الفقيه القاضى أدام الله عـزه :

ومن هذا سميت القفة ، لجمعها ما جعل فيها وضمه ، قال صاحب الجمهرة : القفة وعاء تجعل فيه المرأة غزلهـا وشبهـه ، ومنه — والله أعلم — سمى القفاف الذى يسرق بكفه ، لانه يجمـع ويضم ، قال الشاعر :

فـقـف بكـفـه سبعـين منـهـا

« والاشتفاف » فى الشرب استقصاء ما فى الاناء ، مأخوذ من الشفافة وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربهـا صاحبهـا قيل اشتفها ، ومن رواه « استف » بالسين المهملة فمعناه قريب من الاول فى الاستـقـصـاء والاكثـار . وقـولـهـا « واذا

«197» شيء : س ، شيئا : ز .

اضطجع التف » تعنى رقد ناحية ولم يباشرها ، ويروى رقـد وهجع ، وهما بمعنى واحد ، وقولها « يولج الكف » : أى يدخل يده « ليعلم البث » الحزن ، أى فيعلم مـا أهتم بـه ويحزننى أمره ، وسنبين معناه بعد ، قال ثابت : والبث أيضا الامر الذى لا يصبر عليه ، والبث الشكوى ، قال الله تعالى (انما أشكو بثى وحزنى الى الله «198») وفيه لغتان : بثثت وأبثثت ، ومنـه قول بعض العربيات لقد ابثـثتك مكتومى وأطعمتـك مادومى ، أى أخبرتك بسرى ، ومن رواه « اللبث » فمعناه ان لم يكـن وهما الاقامة وانصبر عليه ، وقولها « واذا ذبح اغتث » فمعناه عندى : اذا ذبح للضيفان اختار الهزيل من نعمه ، وقد فسرنـا أن الغث الهزيـل .

معـنـــاه :

هذه امرأة ذمت زوجها فوصفته أولا باللؤم والبخل والبرم والنـهـامـة والجـرازة ، وسـوء المعـاشـرة والمرافقة ، وأنه لا يبقى فيما يأكل ويشرب ولا يذر ، ويجمـع كل ما يجده من ذلك ويحطمه ، وليس هذا من مكارم الاخلاق ، والعرب تذم بالبرم وكثرة الاكل والشرب ، وتمدح بقلتهـما ، قـال الشاعـر :

تكفيه حزة فلذ ان ألم بـها — من الشواء ويروى شربه الغـمر

وقـــال :

لا يأترى لما فى القدر يرقبـه — ولا تراه أمام القوم يقتفـر

«198» سورة يوسف ، الآية 86 .

وقال آخر يهجو بضده :

ألستم أقل الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وفى صفة نبـينا عليه السلام أنه كان يجتزىء بالعلقـة (56) ، قـال الشاعـر :

واجتـزى من كفـاف القـوت بالعلـق

العلقة البلغة ، وقد قيل : لكل كريم فضله ، وقيـل :

وللارض من كـأس الكـرام نصيـب

ويروى عن جرير بن عبد الله أنه قال لبنيه : يا بنى اذا شربتم فأسئـروا ، أى اتركـوا فى الانـاء سـؤرا ، وهـو بقيـة الشراب . وفى حديث آخر : فانه أجمل وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سؤر » ، وفى المثل : ليس الرى عن «199» التشاف ، ثم أكدت وصفه باللؤم بأنه اذا نزل الاضياف به «200» واضطر للذبح «201» لهم عدل عن خيار ماله وسمينه الى هزيله ورديئه ومـا لا خير فيه . وهو قولها : « اذا ذبح اغتث » ، وهذه «202» نهاية فى

«199» عن : م ك ، فى : س .
«200» الاضياف به : س ، به الاضياف : ز م .
«201» للذبح : س ، الى الذبح : ز م .
«202» وهذه : س ، وهذا : ز م .

(56) روى البخارى ومسلم واحمد عن عائشة رضى الله عنها حديث الافك ، وفيه قولها : وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلـن ، ولم يغشهن اللحم ، وانما يأكلن العلقة من الطعام .

اللؤم ، وكانت عادة أجواد العرب ضد هذا من اختيار جياد المال للاضياف كما قال بعضهم :

فاعضضته الطولى سناما ، وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير

وقال آخر أيضا :

تشقى به كل مرباع مودعة عرفاء يشتو عليها تامك«203»سنم

وقال آخر أيضا :

اذا القوم أموا بيته فهو عامد لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله

وقال آخر يصف ناقة ذبحها «204» للضيفان :

فصادف السيف منها ساقمتلية جلس فصادف منه ساقها عطبا
زيافة بنت زياف مذكرة لما نعوها لراعى سرحنا انتحبا

ثم وصفته بعد بقلة الاشتغال بها ، والتعطيل لها ، وأنه اذا نام التف فى ثيابه ولم يضاجعها ، ولا أدناها من نفسه ، وأنه لا همة له فى المباضعة ، التى هى من ممادح الرجال ، فان العرب كانت تتمادح بالقوة على الجماع ، لانها دليل صحة الذكورية ، وتذم بضده كما قالت الاخرى « عياياء » ، واختلف المتأولون فى معنى قولها « ولا يولج الكف ليعلم البث » ، فذهب أبو عبيد الى أنه كان بجسدها عيب أو داء يكرثها ويحزنها ، فكان لا يدخل يده فى ثوبها ليلمس ذلك العيب ، فيشق عليها ،

«203» تامك : ز ك ، تانك : م وهو غلط ، والتامك : السنام .
«204» ذبحها : س ، عقرها : ز م ك .

فان هذه خصلة مدحته بها ، ورد القتبى والخطابى وابن حبيب وابـن الاعـرابى وغيـرهـم علـيـه هـذا الـقـول ، وقالوا انما شكت هذه الخصلة من زوجهـا ، وذمتـه بذلـك ، واستقصرت حظها منه ، وانه لا يضاجعها ، ولا يدنـو منهـا ، وينام ناحية عنها ، كما قالت : « واذا رقد التف » ، ولا يدنيها من نفسه ويدخل يده اليها ويباشرها ويلمسها فيكون منه اليها ما يكون من الرجال لازواجهم ، فيعلم بثها بذلك ، ومحبتها له ، وحزنها لعدم ذلك منه لها ، وقلة تفقده لحاجته منهـا ، قالـوا : وليس وجه الحديث ما ذهب اليه أبو عبيـد من أنهـا مدحتـه بالغفلة عن داء كان بجسدها ، لانها قد ذمته فى صـدر كلامها ، كما قال ابن الانبارى ، ولا حجة على ابى عبيـد فى هـذا ، لان النسوة كن تعاقدن على أن لا يكتمن شيئا من أخبار أزواجهن ، فمنهن من وصفت زوجها بالخير فى جميع أموره ، ومنهن بضد ذلك ، ومنهن من وصفت ما فيه من الخير وما فيه من الشر .

قال الفقيه القاضى وفقه الله :

ويؤيد ما ذهب اليه القتبى واصحابه من معنى الذم ما أشار اليه عروة بن الزبير فى بعض طرق هـذا الحديث فانه قـال فى خمس سردهن «205» على التوالى فى حديثـه ، هذه منهـن ، فقال : هؤلاء خمس «206» يشكون ، حدثناه أبو بكـر محمد ابن عبد الله الفقيه من لفظه ، قال : حدثنـا أبـو الحسن ابن

«205» سردهن : ز ك ، شرحهن : م س .
«206» خمس : ز ، خمسة : س .

أيوب ، حدثنا أبو على بن شاذان ، حدثنـــا أبـــو عمـــرو ابن السماك ، حدثنا حنبل بن اسحاق ، حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة المنقرى ، حدثنا سعيد بن سلمـــة ، عن هشام ، عن عروة ، عن أخيه ، عن أبيه عروة . وأيضا فان ما ذهبوا اليه هو الاظهر والمستعمل فى الكلام والمستحسن فى الكناية ، ومثله فى حديث عبد الله بن عمرو أن أباه زوجه امـــرأة قرشية ، فشغل عنها بالعبادة ، فدخل عليها عمرو بن العاصى فقال لهـــا كيـــف وجدته ؟ قالت : كخير الرجال من رجل ، لم يفتش لنا كنفـــا ، فهذه الكناية بمعنى تلك ، ومثله فى حديث عائشة ووصفت رجلا بالعفة فقالت : ما كشف عن «207» كنف أنثى قط ، أى انه لم يكن ممن يشتغل بالنساء ، ولا له فيهـــن مذهب ، فعبرت عـــن ذلك بكشف الكنف ، وهو الثوب الذى يكنفها أى يسترها ، ومنه قوله : فى كنف الله وحفظه ، أى ستره ، حدثنا بحديث عبد الله ابن عمرو : أبو الحسين «208» سراج بن عبد الملك «209» الحافظ بقراءتى عليه قال : حدثنى ابـــى ومحمد بـــن محســـن الفقيه ، قالا حدثنا القاضى يونس بن عبد الله ، قال : حدثنـــا أبو الفضل الصقلى ، أخبرنا ثابت بن قاسم عن أبيـــه قاسم بن ثابت وجده ثابت ، قالا : حدثنا موسى بن هرون ، حدثنا موسى بن الصباح ، اخبرنا هشيم ، عن حصين ومغيرة ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو بالقصة ، ومثل قول هذه المرأة قول اخرى

«207» عن : س ، من : ز م .
«208» ابو الحسين : س ، ابن الحسين : ز وهو تصحيف .
«209» عبد الملك : ز ك ، عبد الله : س .

لزوجها تعيره : ان شربك الاشتفاف ، وان ضجعتك الانجعاف ، وان شملتك الالتفاف ، وأنشد القتبى لاوس بن حجر فى هذا :

وهبت الشمال البليل واذ   بات كميع الفتاة ملتفعا

أى ملتفا ناحية .

قال القاضى أيده الله :

وقد يحتمل عندى قول هذه المرأة « ان شملتك الالتفاف » ، وقول صاحبة أم زرع « واذا رقد التف » معنى غير هذا ، وهو أن يريدا ضعف أزواجهما ، وعجزهما ، وقلة نفعهما وحمايتهما ، لانه لا ينام هذه النومة الا العاجز القليل الغناء ، ولهذا ذموا النؤوم ومدحوا ضده ، كما تقدم ، ولهذا سموا الرجل الضعيف العاجز القليل الغناء : زميلا وزملا وزمالا ، وقال بعضهم : أصله من التزمل ، أى انه اذا نام تزمل فى ثوبه ، وتلفع فى دثاره ، ولم يهتم «210» بحراسة شأنه ، ولا حماية ذماره ، ولهذا قالت له هذه المرأة «211» من صواحب أم زرع «212» فى آخر كلامها وذمها : « وانك لتنام ليلة تخاف «213» ، وقالت التاسعة من صواحب أم زرع تمدح بضده : « لا ينام ليلة يخاف » ، وقال الشاعر :

فلا تصلى بكل فتى نؤوم   اذا أمسى يعد من العيال

«210» يهتم : س ، يعن : ز .

«211» المراة : م ك ، ــ : ز س .

«212» من صواحب ام زرع : س ، ــ : ز م ك .

«213» تخاف : ز م س ، يخاف : ك .

وقيل ان معنى قولها « لا يولج الكف » أى انه لا يتفقد أمورى ، وما يهمنى من مصالحى ، وهو كقولهم : ما أدخل يده فى الامر ، أى لم يشتغل به ولم يتفقده ، فضربت المثل بذلك ، قاله أحمد بن عبيد بن ناصح ، ونحوه عن ابن أبى اويس .

تفسير قول السابعة

قولها « عياياء » وفى الرواية الاخرى « أو غيايــاء » هو شك من الراوى ، قال أبو عبيد : هكذا يروى بالشك .

تــنــبــيـــه :

قــال القاضى أيــده الله :

الاكثر روايته بغير شك ، وانما رواه بالشــك أصحــاب عيسى بن يونس عنه وعقبة بن خالد السكونى ، وبين هشــام بن عمار فى حديثه هذا عن عيسى أن الشاك فيه عيسى ، وسائر الرواة يقولونه بالعين المهملة دون شك .

غــريـبـــه :

قال أبو عبيد : الصحيح « عياياء » بالعين المهملة ، فأمــا بالمعجمة فليس بشىء ، والعياياء من الابــل : الذى لا يضرب النوق ، وكذلك فى الرجال ، كأنه عيى عن ذلك ، قال الهــروى : العياياء العيى الذى تعييه مباضعة النســاء ، وأراه مبالغــة من العى فى ذلك ، قال الشاعر :

مغتلـم الوجــه عيايــا سائــره

وقال ابن أبى اويس : « عياياء طباقاء » عيى مطبق عيا ، لا يتصرف ولا يتوجه لوجه ، قال ابن السكيت : العياياء العيى الذى لا يهتدى لوجه .

تنبيه :

قال القاضى وفقه الله :

وقول ابى عبيد ان الغياياء بالغين المعجمة ليس بشىء ، ولم يفسره ، وتابعه على ذلك سائر الشارحين ، فقد ظهر لى فيه معنى صحيح ان شاء الله فى اللغة ، بين فى التأويل ، وهو أن يكون مأخوذا من الغياية وهى كل ما أظل الانسان فوق رأسه من سحاب وغيره ونحو ذلك ، ومنه سميت الراية غاية ، فكأنه غطى عليه من جهله ، وسترت عنه مصالحه ، وهو كقولهم : طباقاء ، قال ابن الاعرابى : الطباقاء هو المطبق عليه حمقا ، قال ابن دريد : هو الذى تنطبق عليه أموره فلا يهتدى لوجهها ، قال الاصمعى : هو الذى أموره منطبقة عليه ، ونحوه عن يعقوب ، وقال أبو عبيد : هو العيى الاحمق الفدم ، وكل هذا قريب بعضه من بعض ، فلا فرق اذا بين قولها « غياياء » بالغين و « طباقاء » «214» ، فلا يصح اذا قول من قال : ان الغين ليس بشىء ، وقد يمكن أن يكون أيضا مأخوذا من الغى ، وهو الانهماك فى الشر ، أو من الغى وهى «215» الخيبة ، قال الله تعالى (فسوف يلقون غيا «216») قيل خيبة ، وقيل غير

«214» وطباقاء : ز س ، وعيايا : ك .
«215» وهي : س ، وهو : ز .
«216» سورة مريم ، الآية 59 .

هذا ، كأنه خائب من كل فضيلة ، وقال ابن ولاد (57) : فلان طباقاء اذا لم يكن صاحب غزو ولا سفر ، وقال الخليل (58) : الطباقاء : الاحمق ، والطباقاء البعير الذى لا يضرب ، وقال أبو عبيد عن الاصمعى : العياياء الطباقاء من الرجال والابل : الذى لا يضرب ، وحكى ابو على عن بعضهم : الطباقاء من الرجال الثقيل الصدر الذى يطبق صدره على صدر المرأة عند المباضعة ، وهو من مذام الرجال عند النساء ، ويروى أن أم جندب قالت لامرىء القيس وكان مفركا للنساء : انك ثقيل الصدر ، خفيف العجزة ، سريع الاراقة ، بطىء الافاقة .

تنبيه :

ان قيل يرد هذا التفسير الذى ذكرته ما تقدم من تفسير عياياء انه العى عن المباضعة فكيف يوصف مرة بالعى عنها «217» ومرة بثقل الصدرة «218» فيها ؟ قيل : هذا لا يلزم اذ قد يكون عياياء «219» فى حين ، طباقاء فى حين ، وقد يمكن أن

«217» عنها : م ك ، ـــ : ز س .

«218» الصدرة : كذا فى « لسان العرب » ، والصدرة من الانسان ما اشرف من اعلى صدره ، وهي فى النسخ : « الصدر » .

«219» عياياء : س ، عييا : ز م ك .

---

(57) هو ابو العباس احمد بن محمد بن الوليد ولاد ، النحوى التميمى المصرى ، له كتب منها « المقصور والممدود » و « الانتصار لسيبويه من المبرد » ، توفى سنة 332 هـ .

(58) هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عبد الرحمن ، الفراهيدى الازدى ، نحوى لغوى عروضى ، بل هو واضع علم العروض ، صنف كتاب « العين » المشهور فى اللغة ، على الراجح ، اذ من اللغويين من نسب كتاب « العين » لغيره ، وله كتب اخرى ، توفى سنة 175 هـ .

يكون اطباقه صدره من سبب العى والعجز لمعالجتـــه «220» ما لا يقدر عليه ، ومعاناة ما قد أعياه ، وقولها « كــل داء لـــه داء » أى كل مـــا تفــرق فى النـــاس مـــن الادواء والمعايـــب اجتمع فيه ، وقولها « شجك أو فلك ، أو بجك » ، أى جرحك ، قال الهروى : الشج فى الرأس خاصة ، والفل فى سائر الجسد ، وقال ابن دريد : بج القرحة اذا شقها ، وكل شق بـــج ، قال الـــــراجـــــز :

بـــج الـــمـــزاد موكـــرا مـــوفـــورا .

وقال الزبيدى «221» : البج الطعن ، قال ابن الانبارى : يقال : فلك كسرك ويقال ذهب بمالك ، ونحوه عن ابـــن أبـــى اويس ، ويقال كسرك بخصومته وعذله .

عـــربـــيـــتـــــه :

قولها « حماقاء طباقاء » من ابنية المبالغة ، وكذلك قولهـــا عياياء وغيايـــاء ، وهى من الكلمات التى على وزن فعـــالاء من الابنيةَ التى الحقت فيهـــا الالف ، ومثالهـــا فى الاسماء ثلاثـــاء وعجاساء وبراكـــاء .

مـــعـــنـــــاه :

وصفته بالحمق ، والتناهى فى جميع النقائص والعيـــوب ،

«220» لمعالجته : س ، لمعالجة : ز ك .
«221» الزبيدي : ز ك ، الزهري : س .

وسوء العشرة مع الاهل ، وعجزه عن حاجتها ، مع ضربها وأذاه اياها ، وانه اذا حدثته سبها ، واذا مازحته شجها ، واذا غضب اماشجها فى رأسها أو كسر عضوا من أعضائها ، وهو معنى « فلك » ، ومنه قيل للمنهزمين « فل » ، أو شق جلدها أو طعنها ، وهو معنى « بجك » ، أو جمع ذلك كله لها ، من الضرب والجرح وكسر الاعضاء ، أو الكسر بالخصومة ، وموجع الكلام ، وأخذ مالها .

غريب قول الثامنة

قولها « زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ،
الزرنب ضرب من الطيب معروف عند العرب قال الشاعر :

يا بابى أنت وفوك الاشنب كأنما ذر عليه الزرنب
أو زنجبيل فهو عمرى «222» أطيب

واختلف أصحاب النبات من القدماء والمتأخرين فى صفته ، فقال بعضهم : هى شجرة عظيمة بجبل لبنان بالشام ، لا تثمر ، لها ورق طويل بين الخضرة والصفرة ، يشبه ورق الخلاف ، ورائحته كرائحة الأترج ، وتستعمل ورقه وقضبانه ، وقال أكثرهم انها حشيشة دقيقة طيبة الرائحة ، وقال بعضهم : تشبه ورق الطرفاء صفراء كرائحة الأترج من الافواه الطيبة ، ولهذا استعملها العطارون ، وتخلط بالطيب لعطريتها ، وتسمى أرجل الجراد لشبهها بها ، وليست من نبات أرض العرب وان «223» ذكروها .

«222» عمري : زم ، عمر : ك ، عندي : س .
«223» وان : س ، وان كانوا : ز ك .

معناه :

هذه تصف زوجها بلين الجانب للاهل ، وحسن الخلق والعشرة معهن «224» ، كمس الارنب لليانة مجسها ، ولدونة وبرها ، أما تشبيهها اياه بريح الزرنب ففيه تأويلات : احدها أنها أرادت بذلك طيب ثنائه فى «225» الناس وانتشاره ، والثانى أنها أرادت طيب جسده وعطر أردانه ، والثالث أنها أرادت لين عريكته ، وحسن خلقه ، فيكون بمعنى الفصل الاول . ثم وصفته بالشجاعة والحزامة وأكدت ما تقدم من وصفه بلين الجانب مع الاهل بقولها : « وأغلبه والناس يغلب » ، وهذا مثل ما وقع فى الحديث ان الاعشى الحرمازى المازنى أنشد النبى صلى الله عليه وسلم أرجوزة يشكو فيها امرأته ، قال فى آخرها .

وهن شر غالب لمن غلب

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بذلك ويقول وهن شر غالب لمن غلب (59) ، ومنه قول معاوية : يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام .

«224» معهن : ز ك ، لهن : س .
«225» فى : ز ك ، من : م س .

---

(59) اخرجه الامام احمد فى مسنده ، فى ضمن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن الاعشى الحرمازى عبد الله بن الاعور (6 : 201 — 202) .

غريب قول التاسعة

« رفيع العماد » أصله عماد البيـــت ، وهى العيـــدان التى تعمد بها البيوت ، وجمعه عمد وعمد ، وأعمدة ، وقولها « طويل النجاد » النجاد : حمائل السيف ، والنادى : مجتمـــع رجـــال الحى ومجلس مشورتهم وحديثهم ، ويقال ندى ومنتدى ، قال الله تعالى (فى ناديكـــم المنكـــر «226») وقـــال (واحســـن نـــديـــا «227») .

مـــعـــنـــــــاه :

قولها « رفيع العماد » وصفته بالشرف فى نسبه ، والسؤدد فى قومه ، واستعارت لرفعة بيت حسبه المعنوية رفعة العمـــاد من بيت المسكن المرئية ، كما قال :

فامـــا بيـــتكم ان عـــد بيـــت فطال السمـــك واتسع الفنـــاء
وامـــا اســـه فعلـــى قديـــم من العادى ان ذكـــر البنـــاء

وقد قيل فى قول السموءل بن عادياء :

لنـــا جبل يحتلـــه من نجيره منيف يرد الطرف وهو كليـــل

«226» سورة العنكبوت ، الآية 29 .
«227» سورة مريم ، الآية 73 .

رسا اصله تحت الثرى ، وسما به

الى النجم فرع لا ينال طويل

انما عنى به شرفهم وحسبهم ، وقيل : أراد حصنه الفرد الابلق ، وقد قيل ان معنى قولها « رفيع العماد » على ظاهره ، وانما أرادت عماد البيت نفسه ، اذ هى عادة بيوت الاشراف وأهل السؤدد ، وقال ابن ابى أويس : أرادت أنه رفيع البيت ، طويل من الرجال ، وقد روى : « طويل العماد » ، فيكون طوله اما لطول ساكنه وامتداد قامته ، كما أشار اليه ابن أبى اويس ، أو لكرمه واظهار بيته ليراه الوارد ، ويهتدى برفعة سمكه له القاصد «228» ، أو لجلالة مكانه ، وسعة ثرائه ، وحاجته الى اعلاء سمائه «229» ، وتوسعة أرجائه ، ليحمد لكثرة «230» خيره ، وجماع غاشيته ، ومنتابى بره ، الا ترى قول أم زرع « بيتها فساح » ، وعلى هذا حمل من قال هذا قول الخنساء :

طويل النجاد ، رفيع العما د ، ساد عشيرته امردا

وعليه حمل ثعلب قول الاعشى :

طويل النجاد ، رفيع العما د ، يحمى المضاف ، ويعطى الفقير

وقد وصف أبو الطيب خيمة سيف الدولة فقال :

وتركز فيها القنا الذبل

«228» برفعة سمكه له القاصد : س ، بارتفاع سمكه القاصد له : ز .
«229» سمائه : س ، بنائه : ز .
«230» لكثرة : ز ، كثير : س .

وذموا بضد هذا ، فقال بعضهم :

اذا دخلوا بيوتهم أكبوا على الركبات من قصر العماد

وقال آخر :

قصار البيوت لا ترى صهواتها من اللؤم جثامون عند الثرائد

وقد يكون تريد بالعماد البيت ، ومعنى رفعته اشرافه لموضع مرتفع ، ليقصده الاضياف ، ثم وصفته بالكمال فى صورته ، وامتداد «231» القامة فى بنيته ، وعرضت لذلك بقولها :

« طويل النجاد » فان الطويل القامة يحتاج الى تطويل نجاده ، وهذا مما تمدح «232» به الشعراء ، وتذم بضده ، قال عقيل بن علفة «233» المدنى «234» :

طويل نجاد السيف وهم كأنما

تصول «235» اذا استنجدته بقبيل

وقال أبو خراش :

طويل نجاد السيف ليس بحيدر

اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل

وقال مروان بن أبى حفصة :

قصرت حمائله عليه فقلصت

«231» وامتداد : ز ك ، وامتدادة : م س .

«232» تمدح : س ، تتمادح : ز ، تمادح : ك .

«233» علفة : ك س ، علبة : ز وهو تصحيف .

«234» المدني : ك ، ـ : ز س .

«235» تصول : س ، تطول : ك .

ولقد تأنق قينها «236» فأطالهـا

وقيل معنى قولها « رفيع العماد » أى طويل ، قال المبرد : يقال رجل طويل العماد اذا كان معمدا «237» طويلا ، ومنه حديث يزيد بن أبى سفيان عند موته : قد علمت ــ يعنى قريشا ــ أنا أصبحهم وجوها ، وأطولهم عمودا ، وأسعدهم جدودا ، فعلـى هذا يكون « طويل النجاد » تأكيدا لما تقدم ، وفى ضمنه أنـه صاحب سلاح وشكة (60) ، فلهذا اقتصرت من دلائـل طولـه على طول نجاده ، دون غير ذلك من ملابسه ، ثم وصفته بالكرم فى سجيته ، والجود بذات يده وكنت عن ذلك بقولها « عظيـم الرماد » ، وذلك ان من كثر ضيفانه ، ونحره لهـم واشتـواؤه وطبخه اطعمتهم كثرت ناره ، وكثر رماده ، فهذا تأويل حسن ، وقد أكثرت فى هذا الشعراء فقال بعض العـرب وهو زيـاد بن حمل من أناشيد ابى تمـام :

كم فيهم من فتى حـلو شمائله جم الرماد اذا ما أخمد البرم

وفيه تأويل آخر ذهب اليه الخطابى : ان تكون نـاره لا تطفـأ ليلا ولا نهارا ، ليهتدى اليه «238» الضيفان ، كما قال الشاعر :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

«236» قينها فأطالها : ز م ك ، قيلها فطالها : س وهو تصحيف .
«237» معمدا : ز م ك ، معمرا : س وهو تصحيف .
«238» اليه : م س ، له : ز ك .

(60) الشكة (بكسر الشين وفتح الكاف المشددة) : هى السـلاح ، وقيل : الشكة ما يلبس من السلاح .

وكانت عادة أجواد العرب وقود النيران فى ظلــم الليــل ، على مشارف الارض لينتابها الضيفان ، وربمــا رفعت على الايــدى منها الاقباس ؛ قال الشاعر :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه
فتاه ، وجوز «239» الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارا ثقوبا ضرامها　　تليح الى السارى هلم الى القدر

وقـــال الآخـــر :

ومستنبح قال الصدى مثل قوله　　حضأت له نارا لها حطب جزل
وقمت اليـــه مسرعا فغنمتـــه　　مخافة قومى أن يفوزوا به قبل

حضأت وحضوت النار اذا حركت جمرها ، وقال الآخر :

وانى لادعو الضيف بالضوء بعدما
كسى الارض نضــاح الجليــد وجامده

ثم أكدت ذلك بقولها « قريب البيت من الناد » ، تريد بذلك أنه ينزل بين ظهرانى الناس ، ومجتمــع الحى ، ومقصــد الــوارد وطالب الضيافة ، لتكثر أضيافه ، ولا يتوارى بأطــراف الحلــل وأغــوار المنــازل ويبيـــعــد عــن ســمــت الـــوارد ، فــرارا من القــاصــد ، ومــلاذا مــن الــطــارق ، لــئــلا يهتدوا الى مكانه ويستبعدوا موضعــه ، فيصدفــون عنـــه ، ويميلون الى غيره ، قال زهير :

يسط البيوت لان يكون مظنة　　من حيث توضع جفنة المسترفد

«239» وجوز : ك ، وجور : م س . والجوز وسط الشىء ومعظمه .

أى يتوسط البيوت ليكون معلما لضيافة طالب الرفد . وقـــال ابن هـــرمــــــة :

أغشى الطريق بقبتى ورواقها   واحل فى نشز الربـــا فاقيـــم

وقـــال طـــرفـــة :

ولست بمحلال التلاع لبيـــته   ولكن متى يسترفد القوم ارفد

وقـــال آخــــــر :

له نـــار تشب على يفــــاع «240»
اذا النيـــران ألبســـت القنـــاعـــا

أى سترت بوقودها فى الغيطان وتلاع الاودية ، وقنعت بذلك عن أن تظهر ، وفى قولها أيضا « قريب البيت من النـــادى » معنى آخر دلت به على شرفه وزعامته ، وذلك أن الاندية انما يجتمع فيها لقرب «241» أبيات السادة ومنازل الزعماء ، الذين يؤتى اليهم ويجتمع بهم . وقولها : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينـــام ليلة يخاف » ، وصفته بكرم النفـــس وشبعهـــا ، ونزاهتـــهـــا وايثارها ، وقلة همه بالاكل وشرهه له ، وانه اذا أضيف واحتفل فى اكرامه ، وأكثر من اطعامه ، لم يكن همه شبع بطنه ، واكتفى بأيسره ، واقتصر على ما يقيم صلبه ، ويرد قوته منه ، ولـــم يظهر الحرص على مال غيره وطعامه ، والجشع للاكثار من أكله

«240» يفاع : م ك ، بقاع : ز ، يقاع : س وهما تصحيف ، واليفــــاع : ما ارتفع من الارض .
«241» لقرب : ز ، بقرب : س .

واغتنامه ، بل اخذ منه ما يسد جوعته ، وتجـافى عن الاكثـار منه ، وخاف معرته ، كما قال حاتم :

لقـد كنت اختار القرى طاوى الحشـا
محـافظـة من أن يـقـال لئـيـم

وكمـا قـال دريـد :

تراه خميص البطن والزاد حاضر
كثيـر ويغـدو فى القميـص المقـدد

وكما قـال الآخـر :

أقسم بطنـى فى بطـون كثيـرة
واحسو قراح «242» الماء والماء بارد

وقـال حـاتـم :

اكف يدى عن أن ينال التماسها   أكف صحابى حين حاجتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا
من الجوع أخشى الـذم أن أتضلعـا
وانى لاستحيى رفيـقى أن يـرى
مكان يدى من جانب الزاد افرعا «243»
وانـك مهما تعـط بطنـك سؤلـه
وفرجك نـالا منتهى الـذم أجمعـا

وقال طرفة يمدح نفسه ، ويهجو غيره بضده :

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه   وان أعطه أترك لقلبى مجثما

«242» قراح : ز ك ، قداح : م ، اقداد : س وهو غلط .
«243» افرعا : م ، اقرعا : ز ك ، افرغا : س .

وقال عروة بن الورد يذم «244» :

يعد الغنى من دهره كل ليلـــة   أصاب قراها من صديق ميسر

وهذه كانت وصايا العقلاء ، وخلق الانبياء والحكماء ، وأشراف العرب ، فقد حدثنا أبو الحسن على بن مشـــرف الانماطى مـــن كتابه ، قال : حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد ، حدثنـــا أبو محمد ابن النحاس ، حدثنا حمزة بن محمد الحافـــظ ، حدثنـــا احمد بن شعيب ، حدثنا محمد بن سلمة ، حدثنـــا ابن وهـــب ، أخبرنى معاوية بن صالح ، قال سمعت يحيى بن جابـــر يحدث عن المقدام بن معدى كرب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما وعاء شر من بطن » ، وفى غير هذه الرواية : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، حسب المسلم اكلات ــ وفى غير هذه الرواية : لقيمات ــ يقمن صلبـــه ، فان كان لا محالـــة فثلـــث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (61) ، ويـــروى عـــن بعض الحكماء مثله ، وقال : ودع الثلث للتفكر ، اشارة لقولهم : البطنة تذهب الفطنة . ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تأكل شبعا فوق شبع ، فانك ان تقذفه للكلب خير لك من أن تأكله ، ونحوه قول الطرماح أنشده القتبى :

«244» عروة بن الورد يذم : ز ، عروة بن الورد : م ك ، غيره : س .

---

(61) عن المقدام بن معدى كرب الكندى قـــال : سمعـــت رســـول اللـــه صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ، حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه » . (مسند الامام احمد 4 : 132) والاكلة (بضم الهمزة) اللقمة . ورواه أيضـــا الترمذى فى ابواب الزهد ، باب، ما جاء فى كراهية كثرة الاكل .

يمسى ويصبح جوفه من قوته وبـــه لمختلف الامور مجــار
وبيــيت جلهم يكــت كأنـــه وطب يكــون انـــاه بالاسحار

وقـــال حميـــد الارقـــط :

أتانا فلم يعدله سحبان وائل بيـــانا وعلما بالذى هو قائـــل
فما زال عنه اللقـــم حتى كأنه من العى لمـــا ان تكلم باقـــل

وقد يحتمل أن يكون معنى « يضاف » أى ينزل بـــه الضيفان ، يقال ضفت الرجل اذا نزلت به ، وأضفته أملتـــه الى ضيافتى ، تقول : فهـــو لا يشبع لايثارهم بما عنده وتقديمهم على نفسه ، قال الله تعالى (ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) «245» ، وكما قـــــال :

طويل نجاد السيف يصبح بطنه خميصا وحاديه على الزاد حامد

وقد جمع هذه المعانى بعض شعراء العرب فقال :

وزاد وضعـــت الكـــف فيـــه تأنـــســـا
ومـــا بى لولا انســـة الضيف من أكـــل
وزاد رفعـــت الكـــف عنـــه تكـــرمـــــا
اذا ابتـــدر القـــوم القليـــل من البقـــل
وزاد أكلنـــاه ولم نـنـــتظر بـــه غـــدا
الا ان بخـــل المرء من أســـوأ الفعـــل

«245» سورة الحشر ، الآية 9 .

كذا أنشده وفسره صاحب الحماسة ، وقد يصـــح أن يكـــون : الثقل ، قال الحربى : الثقل طعام القرى ، وأنشد :

ما ذاق ثقـــلا بعد عام أول

ثم وصفته بالحذر والحزم وحماية الذمار احيان الخوف ، وأوقات الذعر ، وانه ممن لا يكل الامر الى غيره وينـــام ، بـــل يباشره بنفسه ، ويلقاه بحشاشته ، كما قـــال :

غير زميـــل ولا نكس وكل

غريب قول العاشرة

المزهر : العود الذى يضرب به ويغنى فيه ، والمسارح : المراعى البعيــدة ، يقــال سرحت الابــل فسرحــت الــلازم والمتعدى واحــد ، قال الله تعــالى : (حين تريحــون ، وحين تسرحون) «246» ، والمبارح : نحو منه ، وهى حيث تبرح ، والمهالك : جمع مهلكة .

عــربــيــتـــه :

قــولهــا « مــالــك ومــا مــالــك » ، مــا هــاهــنــا استفهام فيه معنى التعظيم والتهويل والتعجب ، وهذا كلــه من معانى « ما » كما قيل :

لامــر مــا تدرعــت الــدروع

وحقيقة الكلام ما مالك ؟ ومــا هــو ؟ أى أى شىء هــو ؟ ما أعظمه وأجله وأكرمه ! ، ومثلــه قولــه تعالى « الحاقــة ، مــا الحاقــة «247» » ، و (القــارعــة ، مــا الــقــارعــة

«246» سورة النحل ، الآية 6 .
«247» سورة الحاقة ، الآية 1 — 2 .

«248») أى الحاقه أو القارعة أى شىء هى ؟ ما أعظمها وأهولها ! وكذلك قوله (ما أصحاب اليمين «249») و (ما أصحاب الشمال «250») وشبهه ، أى ما أعجب أمرهم وأهوله واعظمه فى النعيم أو العذاب ! ولكن تكرير الاسم أدخل من الكناية فى باب التهويل والتعظيم ، كما أن اللفظ المبهم واستعماله هنا أعم وافخم من التصريح والتفصيل ، ومنه قول الشاعر :

ياسيدا ما أنت من سيد   موطأ الاكناف رحب الذراع

واعراب قولها : أن « مالكا » مبتدأ أول ، و « ما » فى موضع رفع بالابتداء أيضا ، و « مالك » الثانى خبره ، والثالث مبتدأ ثالث ، وما بعده خبره وعليه تعرب الآيات المتقدمة ، الا أن الجملة الثانية فيها فى موضع خبر للمبتدأ الاول ، وجاز ذلك وليس فى الجملة ما يعود على المبتدأ الاول لان المعنى ما هم ؟ أى أى شىء هم ؟ فـ « هم » يعود على المبتدأ ، فهو كلام محمول على معنى « ما » ، لا على لفظه ، وقولها « مالك خير من ذلك » زيادة فى الاعظام ، وتفسير لبعض الابهام ، وانه خير مما أشير اليه من ثناء وطيب ذكر ، أو فوق ما اعتقده فيه من سؤدد وفخر ، وان قدره يربى على كل قدر ، وكنت بذلك اذ كان كالحاضر من قولها أو عقدها ، ويحتمل أن تعنى بـ

«248» سورة القارعة ، الآية 1 — 2 .
«249» سورة الواقعة ، الآية 27 .
«250» سورة الواقعة ، الآية 41 .

« خير من ذلك » أى المثنى عليه قبل ، وانه أجمع منه لخصال السيادة والفضل .

معنـــــاه :

هذه وصفت زوجها بالكرم ، وكثرة الضيافة ، والاستعداد للضيفان ، والمبالغة فى برهم واكرامهم ، ومعنى قولها « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك » ، أى انه لاستعداده للضيفـــان ، بلحومها والبانها وكرم خلقه ، لا يوجههن نهـــارا الا قليـــلا ، ولكنهن يبركن بفنائه ، فان فاجأه ضيـــف وجدهـــا حاضرة ، فيقريه من لحمها ولبنها ، ولم يجدها غائبة عنه فيـــتـــباطأ فيما يكرمه به مدة طلبها ، كما قال بعض بنى ضبة :

ومختبط قد جـــاء اوذى «251» قرابـــة
فمـــا اعتذرت ابلـــى عليـــه ولا نفسى
حبسنـــا ولـــم نسرح لكى لا يلومنـــا
على حكمـــه صبـــرا معـــودة الحبـــس
فطاف كمـــا طاف المصـــدق وسطهـــا
يخير منها فى البوازل «252» والسدس

وقـــال آخـــــر :

واموالنا وقف على مبتغى القرى   رواهن للمستنبحين وللجـــمم

وقـــــال آخـــــر :

«251» او ذي : ز م س ، او ذو : ك .
«252» البوازل : زم س ، البواقل : ك .

ونولفها «253» فى السنين الفناء   اذا لم يجد مكسبا كاسب

أى ثابتة مقيمة للمعتفين ، ومثله قول أم زرع فى وصف مالـــه « على الجمم محبوس » ، وسيأتى تفسيره ، وهذا قول أبـــى عبيد والاكثر ، وقال بعضهم : ان كانت لا تسرح الا قليلا من النهار فهى هالكة هزالا ، وان كان سرحهن بالليل فقــد ضــاع أضياف الليل ، والمعنى انها قليلة المسارح لقلة الابل ، وكثيرة المبارك لكثرة ما تثار فتحلب ثم تبرك ، فلكثرة مـــا يفعل هــذا بها تكثر مباركها ، وقال يعقوب بن السكيت : أى مباركها على الحقوق والعطايا والحمالات والاضياف كثيرة ، ومراعيها قليلة ، أى انها تكثر اذا بركــت «254» لمن ينـتــابها «255» مــن الضيفان وطلاب «256» الرفد ، وأنشد يعقوب عليه من قول عــروة بن الورد :

يريح على الليل قربان ماجد   كريم ، وما لى سارحا مال مقتر

قال : يقــول اذا راحــت بالعشـــى راح فيهـــا الاضيـــاف ، واذا سرحت بالنهار رئيت قليلة لانه لا أحد فيها منهم ، ونحوه لابن الانبارى ، وقال اسماعيل بن أبى اويس عن أبيه : معناه أن ابله كثيرة فى حال بروكها ، قليلة اذا سرحت لكثرة ما ينحر منها للاضياف فى مباركها ، وهذا نحو قول بعض العرب :

«253» ونولفها : س ، ونوليها : ز .
«254» بركت : ز ك ، تركت : م س .
«255» لمن ينتابها : ز ك ، بمن شابها : م س .
«256» طلاب : ز ك ، طلب : م س .

الى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بـواق صحائح

لنـا حمد أربـاب المئـين ، ولا يـرى
الى بيتنا مال مع «257» الليل رائـح

ويكون على رواية من روى « عظيمات » من هذا المعنى ، عبر عن الكثرة بالعظم ، وقد يكـون معنى « عظيمات المبـارك » كناية عن سمنهن وعظم جثثهن ، فعبر بعظم مباركهن عن ذلك ، وقد يكون معنى « قليلات المسارح » عبـارة عن قلـة الامكنة التى ترعى فيها من الارض ، وأنها لا تبعـد فى المرعى فتكثـر مسارحها ، واكن رعيها أبدا بقرب المنزل وحول الفناء ، وبحيث لا يبعد طلبها متى احتيج الى نحرها ، ويزول اعتراض المعترض بهزالها لقلة رعيها ، فقد يكون فى قرب منازل أربابها ما يغنيهـا لخصبه وكثرة كلئه ، ومعنى قولها « اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » أى انه مما كثرت عادتـه بانـزال الضيفان واطعامهم وسقيهم وضرب المعازف عليهم ونحره الابل ، لذلك صارت الابل اذا سمعت المعازف عرفت بجرى عادتها أنهـا تنحر ، هذا معنى قول ابى عبيد وغيره ، ويؤيـد هذا التأويـل قولها فى الطريق الآخر « اذا سمعن صوت الضيف » ، وقيل : المـراد أنهـا اذا سمـعـت المزاهر أيقنت بالهلاك ، لمـا اعتاده من نحرها اذا سمع الغناء وانتشى وهبت فيه الاريحية ، وهـذا لا تعتـاده الابـل وتفـهمـه الا مـع الـتـكـرار والاستمرار ، وقد يحتمل أن يكون هذا استعارة لكثرة النحر ،

«257» مع : زك ، من : م س .

وترادف الحفاوة والبر ، وان كانت لم ترد فهم الابل لهلاكها ، ولكن لما كان ذلك منه يوافق اهلاكها ، ويوقن من يعقــل بــه ، اضيف ذلك اليها ، اذ هو واقع بها على ضرب من الاستعارة ، وهذا النحو كله من فصيح الكلام وبديع البيــان ، وهو نـــوع يسميه أهل النقد والبلاغة : الارداف والتتبيع ، وهو أبلــغ فى الوصف ، كما سنذكره بعد ، ومنه فى معنى مـــا نحن فيه ومثاله قـــول الشاعـــــر :

ومستـــنبح تهوى مساقط رأســـه
الى كل شخـــص وهو للسمـــع أصـــور
حبيـــب الى كلب الكريم منـــاخه
بغيـــض الى الكومـــاء والكلب أبصـــر

وذلك أن الكلب ينعم فيما يلــغ فيه مما ينحــر لـــه ، ويأكل من سقاطتها وعظامهـــا ، فمتى رأى ضيفـــا أحب نزولـــه لذلـــك ، والكوم تبغضه لانها تشقى بنزوله بالنحر والعقر ، فعبـــر عن النعمة والشقاء بالحب والبغض ، وعبـــر عن جـــود الموصوف ونحره للاضياف بما هو من توابعـــه واردافـــه ، فان بغـــض الكوماء له تبع لنحرها بسببه ، ومحبة الكلب له ردف لتنعمـــه معه ، وكل ذلك تبع لاكرام ربها للضيفان ، وكناية عن جوده ، فكان هذا التشبيب أبلغ من قولها : اذا ضــــرب المزهر تحـــزن «258» ، أو : اذا نزل به ضيف نحرن ، ومثل هذا مـــا أنشده

«258» تحزن او : ز ، نحرن اى : م ك ، نحره و : س .

الحربى «259» لايــاس بن سلمة الاسلمى يمدح النبــى صلى الله عليه وسلم :

وابيك خيــرا ان ابــل محمد عزل تنــاوح ان تهب شمال

واذا رأين لدى الفنــاء غريبة فاضت لهن على الخدود سجال

فترى لهــا زمــن القتــال على الثرى

رخما وما تحيى «260» لهــن فصــال

قوله « عزل » أى غير ممتــنعة ، كالاعــزل الذى لا سلاح معه فيمنعه ، ويقول اذا هبت الشمال وجاء الشتاء والقحط تنــاوح بعضها الى بعض لعادتها بالذبح حينــئذ «261» ، واذا رأت غريبا طرق بكت لعلمها أنها تذبح له ، وليــس يحيى لهــا فصال لكثرة ذبح أمهاتهــا ، واذا كان زمــن الخصب وطلب النــاس الدخول اذ لا يطلبونهــا ولا يقــدرون على ذلك زمــن «262» القحط والشدائد لشغلهم بأنفسهم لذلك كانت لهذه الابــل البان كثيرة تسيل على الارض حتى كأنها رخم لبياضها

تــنـبـيــــه :

قال أبو سعيد النيسابورى : لم تكن تعرف العرب العــود الا من خالط الحضر منهم ، والذى نذهب اليه أنه المزهر ، وهو الذى يزهر النار للاضياف الطراق فاذا سمعــت صــوت ذلــك ومعمعان النار أيقنت بالعقر .

«259» الحربى : س ، البحترى : ز .
«260» تحيى : م س ، يحيى : ز ك .
«261» حينئذ : ز ، ـــ : ك س .
«262» زمن : س ، من : ز .

قـال القاضى رضى الله عنـه :

ولا نعرف احدا رواه « المزهر » كما قاله النيسابورى ، وان كان يصح ، لان زهور السراج والنار تلالؤ سناها ، والذى رواه الناس كلهم « المزهـر » وهو الصواب ، لا مـا قالـه ان شاء الله . وقولـه « ان العـرب كانـت لا تـعـرف العـود الا من خالط الحضر منهم » فمن أخبره أن مالكا المذكور لـم يخالط الحضر ؟ ، وقد ذكرنـا فى بعض طرق هـذا الحديث ان قرية من قرى اليمن وذكر أنه اجتمع بها احدى عشرة امرأة ، والقرى هى الحواضر والمدن . قال الله تعـالى « رجـل مـن القريتين عظيم «263» » وفى الطريق الآخر أنهن من قريش ، وأنهن من أهل مكة كما قدمناه ، مع أن اشعار العرب جاهليهـا واسلاميها ، بدويها ، وحضريها ، قـد ذكرت فيهـا المزاهـر وأشباهها ، قال الاعشى :

جالس حوله الندامى فمـا ينـ ـفك يؤتى بمزهـر مندوف

كذا أنشده «264» أبو عبيد وغيره ، وهى احالة من الروايـة وغلط ، والشعر : « يؤتى بموكد محذوف » ، يعنى الزق وبعده :

وصدوح اذا يهيجهـا الشـر ب تـرقت فى مزهـر مندوف

وقـال أيضـا :

اذا قلت غمى «265» الشرب قامت بمزهر
يكـاد اذا دارت بـه الـكـف ينطـق

«263» سورة الزخرف ، الآية 31 .
«264» انشده : س ، اسنده : ز .
«265» غمى : م س ، غنى : ز ك .

وقـــــال :

ومسمعتان وصناجــة «266» تقلــب بالكــف أوتــارهــا
وبـــربطنـــا معمـــل دائـــم فقد كـــاد يغلـــب اسكارهـــا
وشاهدنـــا الورد والياسميـ ـــن والمسمعـــات بقصابهـــا
ومزهرنـــا معـــمـــل دائـــب فأى الثلاثة ازرى «267» بها
ترى الصنج يبكى له شجوة «268»
مخافـــة أن ســـوف يـــدعى بهـــا

وقـــــال :

ومستجيب اصوت الصنج يسمعه اذا ترجع فيه القينة الفضل

ولكثرة ذكره لهذا سمى الاعشى صناجة العرب ، وقال الأقيشر :

وبربط يجاوبه صنج اذا ما ترنما

وقـــال امرؤ القيـــس :

وان أمس مكروبا فيارب قينة منـــعمـــة أعملتـــهـــا بكـــران
لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجش اذا مـــا حركته يـــدان

والكـــران والمـــزهـــر همـــا عـــودا الـــغـــنـــاء ، وكـــذلـــك البربط ، والصنج آلة له رومية ، وقال علقمة بن علاثة :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم

وقال برج بن مسهر الطائى :

وفينـــا مسمعـــات عند شـــرب

وقـــال ابـــن الطثريـــة :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

«266» وصناجة : س ، بصناجة : ز .
«267» ازرى : ز ، ازوا : م ، ازوى : ك ، اذو : س .
«268» شجوة : س ، نجوة : ز ، شجره : ك .

وقد يكون فيه وجه ثالث يقطع اعتراض ابى سعيد وغيره ويكون أشبه بالحال ، وهو أن يراد بالمزهر الدف المربع بوجهين ، وهكذا وقع تفسير المزهر لجماعة من قدماء الفقهاء والعلماء ، وقاله أصبغ بن الفرج (62) وابن حبيب فى واضحته ، فان صح أن هذا الاسم عربى غير مولد ، فعلى هذا لا ينكر ضرب الاعراب لها ، وعادتهم اطراب الضيفان بها وقد روى بيت الاعشى المتقدم بمزهر مجدوف أى مقطوع قد قطعت أكارع «269» جلده ، هكذا فسروه ، وهذا ينبىء أنه الدف الذى وصفناه ، وصحيح الرواية ما قدمناه ، ورأيت صاحب « لحن العامة » قال : ويقولون لبعض الدففة مزهر ، وانما المزهر العود الذى يضرب به ، فدل قوله أنه ليس بعربى .

ومعنى قولها فى الرواية الاخرى « كثيرة المسالك ، قليلة المبارك » ، فان لم يكن وهما من الرواية فمعناه أنها كثيرة فى حال سرحها ورعيها ، قليلة فى مباركها لكثرة ما نحر منها ، أو انها «270» كثيرة مسالك سبل الخير «271» والمعروف ، أى يوجهها ويسلك بها كل مسلك من

«269» اكارع : ز م ك ، اصارع : س .
«270» او انها : م ك ، وانها : ز س .
«271» الخير : م س ، البر : ز ك .

(62) هو ابو عبد الله اصبغ بن الفرج بن سعيد . دخل المدينة يوم توفى مالك ، وصحب ابن القاسم وابن وهب واشهب ، له كتاب « الاصول » و « تفسير غريب الموطأ » ، وتوفى بمصر سنة 225 هـ .

المعروف ، من رفد ومعونة وحمل وضيافة وحمالة دين ودية وصلح ونحو ذلك ، كما قال بعض بنى العنبر :

فلم أر مثل الابل مالا لمقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

ومنه حديث على رضى الله عنه وقد سأل ابا الفرزدق غالب بن صعصعة عن اباه فقال : يا أمير المومنين ذعذعتها «272» النوائب ، وفرقتها الحقوق ، فقال على عليه السلام : ذلك أفضل سبلها ، وكان غالب قبل ذا ابل كثيرة ، ويكون قولها فى هذه الرواية «273» : (كثيرة المسالك «274» ، قليلة المبارك) ، كناية عن قلة بقائها فى ملكه ، وبروكها بفنائه ، اكثرة خروجها عن يده ، والله أعلم . ويكون معنى قولها على الرواية الاخرى : « كثيرة المسارح ، قليلة المبارح » ، ان لم يكن وهما أى انها فى ذاتها كثيرة فهى كثيرة المسارح لذلك وهى مع ذلك قليلة المبارح ، أى لا تبرح وتبعد عن قرب منزله لما قدمناه ، والموفق الله .

وقولها فى رواية ابن الانبارى « وهو امام القوم فى المهالك » ، فيه تأويلات : قيل أرادت بالمهالك الحروب ، تصفه بالشجاعة ، وانه لثقته بشجاعته يتقدم ولا يتخلف ، كما قال الشاعر :

«272» ذعذعتها : س ، ضعضعتها : ز ، ولعل الصواب الاول ، والذعذعة : التفريق .
«273» فى هذه الرواية : ز ك ، فى الرواية الاخرى : م س .
«274» كثيرة المسالك : م س ، ـــ : ز ك .

وكتيــبة سفع الوجوه بواسل كالاسد حين تذب عن أشبالها

قد قدت «275» أول عنفوان رعيلها

فلفــفــتــها بكــتــيــبة امثـــالهـــا

وقـــال الآخـــــــر :

يغدو امامهم فى كل مربـــأة طلاع أنجدة فى كشحه هضـــم

وقيل بل أرادت أنه هاد فى السبل الخفية عليهم بالطرق ، والبيداء : الدوية ، والمهالك : المهامى والمفاوز ، وسميت مهالك لاهلاكها لسلاكها ، وفى تسميتها مفازة ثلاثـــة وجـــوه ، قيـــل هى «276» بمعنى الهلاك أى مهاكة ، يقال فـــوز الرجـــل اذا هلك كما قــــــال :

اذا ما ثوى كعب وفوز جرول «277»

وقيل سميت مفازة على طريق التفاؤل ، ليفـــوز سالكها ، كما قالوا للديغ سليم ، وقيل بل سميت مفـــازة لان من قطعهـــا وجاوزها فاز من الهلاك ، فوصفت هذه زوجها على هذا التأويل بمعرفته بالهداية فى المفاوز والقفار ، فهو يتقدم القـــوم لذلك ، قـــــال علقمـــة :

وقد اقود امام القوم «278» سلهبة

يهدى بهـــا نسب فى الحـــى معلـــوم

وقـــــال آخــــــــر :

ولقد هديت القوم فى ديمومـــة فيها الدليـــل يعض بالخمس

«275» قدت : ز ك ، قدن : م س .
«276» هى : س ، هو : ز م ك .
«277» جرول : ز ك ، جدول : س .
«278» القوم : س ، الحى : ز .

تفسير قول الحادية عشرة

عـــربيـــتـــــــه :

قوله : « قالت الحادية عشرة » على صحيح الرواية فى هذا الحديث ومعروفها هو المشهور الجارى على منهاج كلام العرب ، باثبات العلامتين فى « الحادية » وفى « عشرة » ، ولك اسكان شين عشرة وكسرها (63) على اللغتـــين ، ولا تكـــون الحادية عشرة الى تاسعة عشرة الا مفتوحة الاول والآخر ، لان الحادية مع عشرة كالكلمة الواحدة ، كحضرموت وبعلبك ، كما فعلـــوا باحدى عشرة سواء ، وكذلك لو لم تدخـــل على الحادية الالـــف واللام لم تكن الا مفتوحة عند سيبويه ، وأما يعقوب فحكى هنا جواز الرفع والخفض الى تسعة عشر «279» ، على تقديـــر حادية احدى عشرة ، ولم يجزه مع الااف واللام ، وكذلك لـــو

«279» تسعة عشر : س ، تســـع عشرة : ز ، تسعـــة عشـــرة : ك وهو غلط .

(63) يجوز اسكان شين « عشرة » ويجوز كسرها اذا كانت مركبة غير مفردة ، كما هنا « قالت الحادية عشرة » ، والاسكان لاهـــل الحجاز والكسر لاهل نجد .

كانت لمذكر عند سيبويه لم يكن فيها الا الفتح ، وحكى الفارسى انه يجوز اسكان الياء فى حادى عشر وثانى عشـــر ، وان كان موضعه نصبا فى الاعراب ، كما قالوا قالى قلى «280» ، وهذا كله على مذهب قولهم هذا خامس وهذه خامسة ، واما من يقول خامسة خمس فيقول قالت الحادية احـــدى عشرة ، والحاديـــة هاهنا معربة غير مبنية ، وقال بعضهم على هـــذا حادية عشرة «281» احدى عشرة ، قال سيبويه وهو القياس ولكنه حذف استخفافا ، لان فيه لفظ احد عشر فدل على مـــا حذف منـــه ، ووقع لبعض شيوخنا فى رواية هذا الحديث : « قالت الحادى عشرة » ولبعضهم « الحادية عشر » وهذا كله خطأ لا مخرج له الا على بعد وتكلف وجـــه .

غـــريـــبـــــه :

قولها « أناس من حلى اذنى » أى حرك اذنـــى بالحلى من القرطة والشنوف ، والنوس حركة كل شىء متدل وسائل ، قال يعقوب : أناس أثقل حتى ناسا أى تدليا واضطربا ، وهذا نحو الاول ، قال ابن الكلبى : سمى ذا نواس أحـــد مـــلوك اليمـــن لضفيرتين كانتا له تنوسان على عاتقه ، ومنه حديث ابن عمـــر أنه دخل على حفصة (64) ونوساتها تنطف ، ومنه الحديث أنه

«280» كما قالوا قالى قلى : م س ، . قلا : ك ، ـــ : ز

«281» على هذا حادية عشرة : س ، على الحادية عشرة : ز .

---

(64) هى أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ، صحابية جليلة ، تزوجها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بعد وفـــاة زوجهـــا الصحابى خنيس بن حذافة السهمى ، توفيت سنة 45 هـ .

كان للعباس (65) ضفيرتان تنوسان على ترائبه ، والحلى جمع ، ويقال بكسر الحاء ، وقرىء فى الكتاب العزيز بهما جميعا ، والحلى واحد وهو كل ما تحلى به من ذهب وفضة وجوهر وشبهه ، وقولها « بجحنى فبجحت » أى فرحنى ففرحت ، قال الراعى :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا اليك ، ولكنا بقرباك نبجح

أى نفرح . هذا قول ابى عبيد ، وقال ابن الانبارى : معناه عظمنى ، ويؤيده قولها : فبجحت الى نفسى ، أى عظمت عندى ، وتأول «282» البيت المتقدم : أى بقرابتنا منك نفخر ونتعظم «283» ، وقال يعقوب : بجحت فخرت ، وقال ابن ابى اويس : معناه وسع على وترفنى ، وقولها « وفرعى » فى رواية من زاده : فيحتمل أن تريد بالفرعين اليدين ، لانهما كالفرعين من الجسد ، تعنى أنه حلى اذنيها ومعصميها ، وقد يحتمل أنها أرادت بالفرعين العنق مع اليدين ، وأقامت اليدين مقام فرع واحد لكونهما جنسا ، وأصل الفرع كل ما ارتفع ، فالرأس واليدان من فروع الجسد ، فاذا حليا فقد حلى فرعاه ، ويحتمل

«282» وتأول : ز ، وتأويل : س .
«283» نتعظم : ز م ك ، نتعاظم : س .

---

(65) هو ابو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل فتح مكة بقليل ، واستسقى به سيدنا عمر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفى بالمدينة سنة 32 هـ .

أن تريد « بفرعى » غديرتيها «284» وقرنى رأسها ، والعرب تسميها فروعا ، قال امرؤ القيس :

وفرع يغشى المتن اسود فاحم

وأضافت النوس اليه كما اضافتــه الى الاذنين لكونــه فيهما ، ولقربه من قرون رأسها ، ولان ما يرخى مع القرون من نواصى الحلى تنوس ايضا ، وقد جرت عادة المترفات بتنظيم غدائــر شعورهن ، وتحلية نواصيهن وقرونهن ، فلعل هذه فعلت مثــل ذلك من فعاهن ، ومن رواه « فرعــى » فيحتمل فــرع «285» الشعر أو الرأس ، قال ابن ابى اويس : حلــى رأسى فلذلــك يتدلى من كثرته وثقــله .

عــربــيــتــــه :

وقع فى بعض الروايات « اذنيــه ، وعضديه ، وفرعيــه واليه » بزيادة الهاء ، وهذه هــاء السكت الملحقــة فى الوقــف وانقطاع الصوت ، وبعضهم يسميها هــاء الاستراحة ، وهى تلحق الاسماء والافعال والحروف لثلاث علل : لصحــة الحركة التى فى آخر الكلمة قبلها وتبيينها ، كقولك : غلاميه ، وماليه ، ولم يغــزه ، ولم يتسنــه عند بعضهم ، وانه بمعنى نعــم ، وانيه «286» ، ولعله ، واشباه هذا ، أو لتمام الكلام المنقوص واستقلاله بها ، كقولك : عيه ؟ وامه ؟ وقه ، ولا تشه ، والوجه

«284» غديرتيها : ز ، غديرتها : س .
«285» فــرع : ز م ك ، فروع : س .
«286» وانيه : ك ، واينه : ز ، وابنه : س .

الثالث : للحاجة عند مد الصوت قبلها فى آخر الكلمة ، وذلك فى النداء والندبة ، وقد الحقوها فى الاسماء غير المتمكنة (66) اذا كان قبلها ألف لضعف الالف ، نحو : هاهناه وهاؤلاه ، ولم يفعلوا ذلك فى المتمكنة وبعد الكنايات ، فقالوا : ضربتكه ، وضربيه «287» ، وابيه ، وغلاميه «288» ، ففرعى واذنى من هذا الباب ، وذلك لخفاء الياء وان ما قبلها ساكن فكانت عندهم اولى ببيان حركتها من غيرها فبينت بالهاء .

معنـــاه :

وصفته بأنه أحسن اليها ، وحلاها ، ورفه عيشها ، وسمنها ، وأراها المسرة فى أحوالها ، ومعنى قولها « ملأ من شحم عضدى » قال أبو عبيد : لم ترد العضد وحده ، وانما أرادت الجسد كله ، لان العضد اذا سمنت سمن سائر الجسد ، ووجه اختصاصها للعضد بذلك — والله أعلم — لأنه أقرب ما يلى بصر الانسان من جسده ، وأول ما يظهر له فيه سمنه ، وفى حديث ابى هريرة : فجعلت أنظر فى عطفى هل سمنت ؟ .

وغريب قولها « وجدنى فى أهل غنيمة » هى تصغير غنم ، وقولها « بشق » والمحدثون يقولون بشق ، قال أبو عبيد :

«287» وضربيه : م س ، وضربته : ز ك .

«288» وغلاميه : س ، وعلايه وعلامايه وعلاميه : ز ، وعلامياه وغلاميه : ك .

---

(66) الاسم المتمكن هو المعرب ، وغير المتمكن هو المبنى . وينقسم المعرب الى متمكن أمكن وهو المنصرف ، والى متمكن غير أمكن وهو غير المنصرف .

بالفتح هو موضـــع ، قال الهروى : وهو الصواب ، قال ابـــن الانبارى : همـــا بالفتح والكسر موضع ، قال ابن أبى اويـــس وابن حبيب : تعنى بشق جبل لقلتهم ، قال ابن ابى اويـــس : وقلة غنمهم .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

كأنه يريد انهم «289» لقلتهم وقلة غنيمتهم حملهم سكنى شق الجبل أى ناحيته أو بعضه ، لان الشق يقـــع على الناحية من الشىء ويقع على بعضه ، والشق أيضا النصف ، فيكون على هذا وعلى ما جاءت به الرواية صحيحا ، وقد يكون هذا التفسير على رواية شق بالفتح ، وهو أليـــق بقولها «290» لقلتهـــم أى شق فى الجبل كالغار ونحوه ، وله وجه آخر ذهب اليه نفطويه ، ورأيته للقتبى ، هو بالحديث أولى وأصح لغة ومعنى : أن الشق بالكسر الشظف من العيش والجهد منه ، قال ابن دريد يقال : هو بشق وشظف من العيش أى بجهد منه ، وعليه تـــأول قول الله تعالى (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس) «291» .

وقولها « فى أهل صهيل واطيط ودائس ومنـــق » ، فالصهيـــل أصوات الخيل ، وعلى رواية « جامل وصاهـــل » أى جمـــال وخيل ، أو اصحاب جمال وخيل .

عـــربـــيـــتـــه :

قولها « وجامل » فالجامل جمع جمل ، وهو اسم للجمـــع غير مكسر ، عليه الواحد ، قال النابغة :

«289» انهم : ز ك ، انه : م س .
«290» بقولهـــا : م ك ، لقولهـــا : س .
«291» سورة النحل ، الآيـــة 7

أجادل يومــا فى شوى «292» وجامل

يريد فى شاء وجمال ، ومثاله من « فاعــل » الذى يــراد بــه الجمع قولهم باقر وطائر وسامر ودائر «293» ودابر «294» وكابر ، ولذلك قالوا كابــرا عن كابــر ، وقــال على «295» : رؤوس كرؤوس الطائــر ، وقال الله تعالــى (مستكبرين بــه سامرا تهجرون «296») ، وقــد يكــون « جامل وصاهــل » أسمــاء فاعلــين للرجــال المــالكــين للجــمــال والخــيــل الصاهلة والطعام المداس ، كما قــال :

فانــك لابن بالضيــف تــامــر

وقـــــال :

كايــنى لهــم يــا أميــمــة ناصــب

أى ذى نصب ، وذو تمر ولبن ، فيكون تقديره : فنقلنى من أهل جمال وخيل أو ذوى جمال وخيــل ، وقولهــا « وأطــيــط » : قال أبو عبيد : الأطيط أصوات الأبــل ، قال يعقوب : الاطيــط الابل (67) وهو زفيرها من البطنــة . ومن أمثالهم : لا أفعــل ذلك ما أطت الأبــل .

«292» شوى : ز م ، شواء : س ، شواى : ك .
«293» ودائر : ز ، ــ : م ك س
«294» ودابر : م ك ، ــ : ز س .
«295» وقال على : س ، وقال . . على : ز
«296» سورة المؤمنون ، الآية 67 .

---

(67) « الابل » : كذا بالاصول ، ولعلها : صوت الابل .

قـال الفقيه القاضي رضي الله عنه :

وأصل الاطبط صوت أعواد المحامل والرحال ، ويشبه «297» أن تريد بالاطيط هذا ، تريد أنهم أصحاب محامل ورفاهة ، لان المحامل لا يركبهـا الا أصحاب السعـة والرفاهية «298» ، وكانت قديما من مراكب العرب ، ثـم ان الحجاج حسنها وزاد فيها ، فلهذا نسب اليه عملها ، (فلهذا قيـل :

أول عبد صنع المحاملا أخزاه ربى عاجلا وآجلا) «299»

وبهذا السبب غلط القتبى أبا عبيد وهو الغالط لما ذكرناه ، وفى الحديث فى ذكر سعة باب الجنة : « ليأتين عليه زمان وله أطيط ـ يعنى صوتـا ـ بالزحـام (68) » ، وفى حديـث غيـره : « وله أطيط كأطيط الرحل » ، قـال الهروى : الاطيط نقيـض صوت المحامل ، وفى الجمهرة : الاطيط صوت الرحل الجديـد والنسع اذا سمعت له صريرا ، وكل صوت يشبـه ذلك فهـو أطيط ، وقال ثعلب : الاطيط نقيض جلود الابل عنـد الكظـة ، و « الدائـس » قال أبو عبيـد : تأولـه بعضهم من ديـاس الطعام ، وهو دراسه ، وأهل العراق يقولون : الدياس ، وأهل الشام : الدراس ، قال ولا أظنها واحدة من هـاتين الكلمتين ،

«297» ويشبه : س ، والاشبه : ز .

«298» والرفاهية : ز س ، والرفاهة : م ك ، وكلاهما بمعنى واحد .

«299» فلهذا قيل . . وآجلا : ز ، ـ : م ك س

(68) هذا الحديث من مسند عتبة بن غزوان رضى الله عنه ، ونصه فى مسند الامام احمد (4 : 174) : « والله لقد ذكر لنا ان ما بين مصارع الجنة مسيرة اربعين عاما ، وليـأتين عليه يوم كظيـظ الزحام » . والكظيظ هو المكتظ ، اى الممتلىء ، الكثيف الزحام .

فان كان كما قيل فأرادت أنهم أصحاب زرع ، قـــال الهـــروى : درس الطعام وداسه واحد ، وحكى عن بعضهم الدائس الاندر ، قال يعقوب : الدائس الذى يدوس الطعام ، وقـــال بعضهـــم : الدائس الطعام الذى أهله فى دياســـه ، وعندهم من الطعـــام غيره ، فخيرهم متصل وقولها « منـــق » فالمحدثون يقولونـــه بالكسر ، قال أبو عبيد : ولا أدرى مـــا معناه ، قال : واحسبه « منق » بالفتح ، فأرادت بـــه من ينقى الطعام ، وحكى الهروى عن بعضهم المنقى الغربال ، وقـــال اسماعيل بن أبى اويـــس : المنق بالكسر نفيق اصوات المواشى والانعام ، تصـــف كثـــرة ماله ، وقال أبو سعيد النيسابورى : هو مأخوذ من نقـــنـــقـــة الدجاج ، يقال أنق الرجل اذا كان له دجاج تنقـــنق ، أى انهـــم أهل طير أيضا ، وقال أبو مروان ابن سراج : ويجوز أن يكون منق بالاسكان ان كان روى ، أى وانعام ذات نقى أى سمان .

مـــعـــنـــــاه :

وصفته انه نقلها من شظف عيش أهلها وتبلغهم بغنيمتهم ، (ــ أو تبلغهـــا هى بغنيمتها ــ على مقتـــضى الروايـــتين ــ) «300» الى أهـــل الثـــروة ، والامـــوال الواســـعـــة ، مـــن الـــخـــيـــل والابـــل والـــرحـــال والـــزرع والـــبـــقـــر ، والـــدواب الـــدائـــســـة الـــكـــثـــيـــرة «301» والـــعـــبـــيـــد والخول ، والآلات المنقية للاطعمة ، المصلحة لهـــا ، والماشية

«300» ما بين القوسين زيادة من نسخة : ز ، ــ : م ك س .
«301» الكثيرة : ز ، ـــ : م ك س .

الكثيرة ، والطير المتنعم بأكلها ، وذلك أن اصحاب الغنم أهل شظف أو كفاف وعدم ثروة ، ومن دعاء العرب : أن كنت كاذبا فحلبت قاعدا ، أى صار مالك غنما يحلبها القاعد ، وبضد هذا أهل الخيل والابل ، وقد قال عليه السلام : « الفخر والخيلاء فى أهل الخيل والابل الفدادين أهل الوبر ، والسكينة فى أهل الغنم » (69) ، فأخبرت هذه بانتقالها من تلك الحالة الى هذه ، ورغد عيشها بالبان هذه المواشى ولحومها ، وغير ذلك من الاطعمة ، لا سيما باشارتها بما «302» يداس وينقى الى الخبز ، وكان أرفع أغذية العرب وأعز أطعمتها ، اذ لا يجده منهم الا الكثير الثروة ومن قارب الارياف والحواضر ، والا فأكثر أطعمتهم انما كانت اللحوم والالبان والتمر ، وعليه تدل أشعارهم . ومن غرابة أكل الخبز وعزته عندهم ما سمى عبد الله بن حبيب العنبرى « آكل الخبز » لاقتصاره عليه ، ورغبته عن غيره ، ولهذا قال كسرى ابرويز لهوذة بن على (70) وقد أعجبه كلامه : ما غذاؤك فى بلادك ؟ قال : الخبز ، فقال

«302» بما : س ، مما : ز .

(69) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى ، والفدادون : جمع فداد ، وهو مالك المئين من الابل .

(70) هو هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو ، الحنفى ، صاحب اليمامة ، وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبيل الاسلام وفى العهد النبوى ، دخل على كسرى فأعجب به كسرى ، كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وأرسل اليه سليط بن عمرو ، فأجاب بأنه ان جعل الامر له من بعده أسلم وسار اليه ونصره ، والا قصد حربه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، ولا كرامة ، اللهم اكفنيه » ، فمات بعد قليل .

كسرى : هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر ، ومن غرابة حديث أبى (71) هريرة «303» قوله : وكنت أسمع أن من أكل الخبز سمن ، فجعلنا نأكل وننظر هل سمنا ، اذ وجدوا خبزة بخيبر «304» الحديث .

وغريب قولها :

« فعنده اقول فلا أقبح » ، أى يقبح قولى على ويرده ، وقولها « أتقمح » قال أبو عبيد : أى أروى حتى لا أحب الشرب ، مأخوذ من الناقة المقامح ، وهى التى ترد الحوض فلا تشرب وترفع رأسها ريا ، ومن رواه « فأتقنح » بالنون فان أبا عبيد قال لا أعرفه ولا أرى المحفوظ الا بالميم .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

وحكى أبو على القالى فى كتابيه «البارع» « والامالى » : يقال قنحت الابل تقنح ، بفتح النون فى الماضى والمستقبل ، قنحا باسكان النون ، وقال شمر : قنحا ، اذا كرهت «305» الشرب بعد الرى ، وأكثر كلامهم تقنحت تقنحا قاله أبو زيد ، وقال نحوه ابن السكيت وأبو حنيفة ، فهما اذا بمعنى ، والميم

«303» ابى هريرة : ز ك ، ابى برزة : م ، ابى بزرة : س ولعل الصواب الاول .
«304» بخيبر : ز ، تخبز : م ك س .
«305» كرهت : س ، تكارهت : ز ك .

---

(71) اختلف فى اسمه واسم ابيه اختلافا كثيرا ، لانه كان معروفا بكنيته لا باسمه ، واصح ما قيل فى ذلك : عبد الرحمن بن صخر ، ويجوز فى « أبى هريرة » التنوين وعدمه ، الا ان الاشهر عند المحدثين منعه من الصرف . وهو اكثر الصحابة رواية للحديث ، توفى سنة 58 هـ أو التى بعدها .

تتوارد مع النون كثيرا ، مثل غيم وغين ، وامتقع وانتقع ، وقال شمر عن أبى زيد : التقنح الشرب فوق الرى ، قال ابن حبيب : هو الرى بعد الرى ، قاله ابن أبى اويس ، وقال أبـــو سعيد : هو الشرب على رسل لكثرة اللبن ، لانها ليست تتاهب غيرهـا الشرب ، انما يناهب عند القلة مخافة عجزه ، وقال يعقــوب : أتقنح : لا يقطع على شربــى ، ومن رواه « اتفتــح » بالفـــاء والتاء فان لم يكن وهما فمعناه عندى التكبر والزهو ، قال ابن دريد : الفتحة التيه والتكبر ، يقال فى فلان فتحـــة ، ومثلـــه فى كتاب العين للخليل ، ويكون هذا التيـــه والكبـــر من الشـــراب لنشوة مسكرة ، كما قال حسان :

ونشربها فتحسبنا «306» ملوكا واســـدا ما ينهنهنا اللقـــاء

وقـــال المنخل :

واذا شربت «307» فانننى رب الخورنـــق والسديـــر

أو راجعا على الجملة لعزتها عنده ، وكثـــرة الخير لديهـــا ، فهى تزهو لذلك ، أو يكون « أتفتح » كنايـــة عن سمـــن جسمهـــا واتساعه ، يقال باب فتح اذا كان واسعا ، وقولها : « أتصبح » أى أنام الصبحة ، وهى نوم أول النهـــار ، وقولهـــا « وآكـــل فاتمنح » أى اطعم غيرى ، يقال : منحــــه يمنحه ويمنحـــه اذا أعطاه ، وأصله من المنحة والمنيحة ، وهو أن يجعـــل الرجـــل للرجل لبن شاته أو ناقته مدة ثم يردها ، ثم جعلت كل عطيـــة منحة ، وجاءت بلفظة « أتفعـــل » التى تقتضى تكـــرار الفعـــل

«306» فتحسبنا : س ، فتتركنا : ز .

«307» شربت : س ، انتشيت : ز ، وكلاهما صحيح .

وملازمته للفاعل ، ومطالبة نفسه أو غيره به ، فكأنها تطلب من نفسها من تمنحه ، أو تحرك لذلك غيرها لتتفضل عليـــه بما فضل من مأكوله لكثرتـــه .

مــعــنـــــاه :

وصفت هذه بر زوجها بها وتدللها عليه وترفيهه لهـــا وكثرة احسانه اليها ، فوصفت أنه لا يرد قولها ، ولا يقبح عليها ما تأتى به من كلام ، لاكرامه اياها ، وميله اليها وعزتهـــا عنده ، وهذا مما يدل على العزة ، كما قال السموأل :

ونُنكر ان شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقول

وانها تنام صبحتها ، ولا تنبه من نومها حتى تنتبه ، ترفيها لها ، ودل من هذا الفصل أن غيرها يقوم بمؤونة بيتها ، ومهنة أهلها ، وان لها من الخدم من يكفيها ذلك ، فلذلك تصبحت فى نومهـــا ، كما قال امرؤ القيس :

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقال الحطيئة :

ولا تقـــوم باعلـــى الفجـــر تنـــتطـــق

أى تشد نطاقها للخدمة ، وانها تشرب حتى لا تجد لـــه مساغـــا فتكره الشرب بعد لتمام ريها ، أو أنهـــا لا يقلـــل مشروبهـــا ، ولا تناهب ، ولا يقطع عليها ، حتى تتم شهوتها فيه ، لكثرتـــه وكرامتها ، كما قال النابغة :

وتســـقى اذا مـــا شئت غير مصـــرد

أو أنها تعتريها لذلك نشوة وتيه ، وأنها تأكل وتتفضل لها فضلات

تمنحها سواها ، وجاءت بفاء التعقيب المقتضية ان اعطاءها ومنحتها كانت بعد أكلها وتمام حاجتها ، أوانها قد سمنت عنده وحسن جسمها .

تنبيه : قال أبو عبيد : ولا أراها قالت ذلك الا من عزة الماء عندهم ، يعنى قولها « أشرب فاتقمح » .

قال الفقيه القاضى رحمه الله :

عنى أبو عبيد رحمه الله أنها لا تفخر بالرى من الماء الا وهو عزيز ، والعجب منه ، وما اضطره الى هذا التأويل ؟ ، وكأنه لا شراب الا الماء ، فأين أنواع اللبن والخمر والنبيذ والسويق وسائر أشربة العرب التى كانوا يستحلونها ويستعملونها «308» من صريف وضريب وصريح ورحيق ونبيذ ومزر وجعة وبتع وفضيخ وطلاء وباذق وسويق (72) ،

«308» ويستعملونها : س ، — : ز .

---

(72) « الصريف » : اللبن الذى ينصرف به عن الضرع حارا . (وهى فى الاصول كلها : ضريف ، بالمعجمة ، وهو تصحيف) . و « الضريب » : الشهد ، بفتح الشين وضمها ، وهو العسل ما دام لم يعصر من شمعه . وعسل ضريب : مستضرب ، اى صار ضربا ، اى غلظ وابيض . و « الصريح » : اللبن اذا سكنت رغوته فأصبح خالصا . و « الرحيق » : صفوة الخمر و «النبيذ» : ما يعمل من الاشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك ، سواء كان مسكرا او غير مسكر . و « المزر » : نبيذ الشعير والحنطة والحبوب ، وقيل : نبيذ الذرة خاصة . و « الجعة » : نبيذ الشعير . و « البتع » : نبيذ العسل . و « الفضيخ » : عصير العنب ، وهو ايضا شراب يتخذ من البسر المفضوخ وحده من غير ان تمسه النار ، و « الطلاء » : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه . و « الباذق » : الخمر الاحمر . و « السويق » : الخمر ، وقيل : السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير .

بل كانوا يذمون بشرب الماء ، ويهجون بــه ، كما قــال بعض الهــــذلـيـــــين :

ومن تقلل حلوبتــه وينكــل   عن الاعداء يغبقــه القراح

أى من قل ماله وجبن عن الغارات ولم يصب المغانــم «309» رجـع شرابــه المــاء القــراح ، لاعــوازه اللبـــن ، وقـــال الآخـــــــر :

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة   وأحسو قراح الماء والماء بارد

أى اوثر اضياف وجيرتى بمطعومى ومشروبى ، واقنع بشظف العيــش وشـــرب المـــاء القـــراح البـــارد . بـــل الـــذى أرادت اللبن وشبهه ، والله أعلم .

وكان عمدة أغذية العرب على اللبـــن وهو القائــم مقــام طعامها وشرابها ، وفى الحديث : « ليس شىء يقوم مقام الطعام والشراب الا اللبن (73) » ، وفى حديث بدر قال : « مـــا رأيت كاليوم ، أمالكم رغبة فى اللبن ؟ » أى فى الغداء ، فيكون من ذلك بأيديكم ابل ذات لبن ، أو مال يتوصل به الى اللبن ، ففيه كان غالبا رغد عيشهم ، وطيب مطعمهم ، فهذا معنى قولها ــ والله أعلم ــ ، اذ لم يذكر فى أكثر الاحاديث سوى المشروب ، وقد

«309» المغانم : م س ، الغنائم : ز ك .

---

(73) اخرجه ابو داود من حديث ابن عبـــاس مرفوعا : « ‹‹ فانـــه ليس شىء يجزىء من الطعام والشراب الا اللبـــن » ، (بـــاب ما يقول اذا شرب اللبن ، من كتاب الاشربة) ، واخرجه الترمذى فى الدعوات ، وابن ماجه فى الاطعمة ، والامام احمد فى مسنـــد ابن عباس (1 : 284) .

يكون قولها « اشرب » كناية عن الشرب والاكل لصحبة احدهما الآخر ، وقد استعملت العرب احدهما مكان صاحبه ، قال الشاعر :

شراب البان وتمر واقط

ولا نحتاج الى هذا ان ثبتت الزيادة المذكورة فى الاكل من قولها « وآكل فاتمنح » .

وغريب قولها فى أم أبى زرع :

« عكومها رداح » ، قال أبو عبيد وغير واحد من الائمة : العكوم الاحمال والاعدال والهنات التى تجمع الاطعمة والمتاع ، واحدها عكم ، والرداح الطعام الكثير الحشو ، قال الهروى : الثقيلة ، ومنه قيل للكتيبة الواسعة : رداح ، اذا كانت ثقيلة السير لكثرة من فيها ، ويقال للمرأة : رداح ، اذا كانت عظيمة الاكفال ، ثقيلة الاوراك ، وجفنة رداح عظيمة ، وجمل رداح عظيم ، وقال ابن حبيب فيما قرأته مضبوطا فى كتابه ولم أروه سماعا : انما هو دراح ، أى ملاء ، كذا سمعت ابن أبى اويس يقول : وليس كما قال شارح العراقيين ، الرداح غير هذا .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

ما قاله أبو عبيد وغيره صحيح معروف ، ومعناه ظاهر ، ولا أدرى لم أنكره ابن حبيب ، وهو بنفسه معنى ما فسره هو به مع مساعدة سائر الرواة لما قاله أبو عبيد ، فان روايتهم كلهم رداح ، لا كما قاله ابن حبيب عن ابن ابى أويس : دراح ، لم يذكرها غيره ولا شرحها سواه ، ولا سمعناها من شيخ ،

ولا وجدت هذه اللفظة فى جماهير اللغة ، وصحاح العربية ، الا أن تكون من قولهم رجل درحاية ، أى ضخم ، حكى ذلك ابـــن دريد قال : وهو من الدرح وهو فعل ممات ، وأنشد :

عكــوك اذا مشى درحـــايه

وفى كتاب العين : الدرحاية القصير ، وقال يعقوب : الدرحايـــة القصير الكثير اللحم ، الا أن يكون قد وهم عليه ، وانمـــا أراد رداح بكسر الراء وانكر فتحها فقط ، ولقولـــه وجـــه ، ويكون رداح هاهنا بمعنى ما قال أبو عبيد لكنـــه جمع رادح «310» كقائم وقيام ، ومنه الحديث : « ان من ورائكم فتـــنا رادحـــة (74) » ، وكذا وجدته مضبوطا عنـــد بعـــض رواة هذا الحديث بكسر الـــراء .

عـــربـــيـــتـــــه :

قولها « عكومها رداح » اعلم أن وجـــه اعـــراب رداح أن يكون خبرا لمبتدا مضمر ، ولا يصح أن يكون خبرا للعكوم لان العكوم جمع واحدها عكم ، والرداح واحد جمعه ردح ، ومنـــه حديث على رضى الله عنه فى وصف الفتـــن : متماحـــلة ردح ، أى طويلة عظيمة ، وقال الشاعر :

الى ردح من الشيزى «311» عليها لباب البر يلبـــك بالشهاد

«310» رادح : ك ، رداح : ز م س وهو غلط .
«311» الشيزى : ز ك ، الشيذى : س .

(74) لم اجده فى المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم . وعزاه ابن منظور الى سيدنا على رضى الله عنه بلفظ : ان من ورائكم فتنا مردحة ، (لسان العرب ، مادة ردح) .

فلا يصح أن يكون « رداح » خبرا للعكوم ، لانــه لا يخبر عن الجمع بالواحد الا على حد من المجاز ، والا أحرفـا مسموعة ، مثل قولهم درع دلاص ، وادرع دلاص ، وقد قيـل دلـص ، وامرأة هجان ونسوة هجان ، وقد قيل هجائن ، وشمال «312» للواحـد والجمـع ، وفلـك للواحـد والجـمـع ، فى احـرف قليلة ، وقيل : منه قولهم : رجل سلم ، وخصم ، وعدو ، وقـوم سلم ، وخصم ، وعدو ، فى أحرف سمعت ، وقد اختلف أهـل العربية فى قوله تعالى « أوليـاؤهم الطاغوت «313» » فقـال بعضهم هو واحد ، وذهب المبرد الى أنه جمع ، وقرأ الحسن : أولياؤهم الطواغيت ، قال سيبويه : هو اسم واحد مؤنث يقـع للجمع كهيئته للواحد ، وقـال الفارسى : هو مصدر كالرغبوت والرهبوت ، كما قـال :

فهـم رضى وهـم عـدل

وأما رأس هذا العلم ومقتدى القوم الخليل بن أحمد فله فى هذه الكلمات مذهب ، فعنده أن هجانا واحد مع الواحد جمـع مـع الجمع ، وانه عنده فى الجميع بمنزلة ظراف ، قـال الفارسى : كأنهم كسروا فعالا على فعال كما كسروا فعلا على فعـل ، فى قولهم فلك للواحد والجمع ، قال فالحركـة التى فى « هجـان » للجمع ليست التى فى المفرد ، فان الحقنـا هذا بمـا ذكرنـاه وادخلناه فى بابه على اختلاف مذاهبهم توجه لكونه مسموعا فى هذا الحديث ، أو نجعل « رداحا » مصدرا كالذهاب والثبـات

«312» وشمال : س ، وشمائل : ز .

«313» سورة البقرة ، الآية 257 .

والطلاق والكمال ، فيكون خبرا للعكوم ، كما قالوا : قوم عدل ، ورضى ، على قول بعضهم انها مصادر ، أو تكـــون على طريق النسبة والاضافة أى عكومها ذات رداح ، كما قال الخليل رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : « السماء منفطر بــه «314» » أى ذات انفطار ، أو تكون أرادت بعكومها الكفل ، فقالت « رداح » وردته على الكفل الذى كنت عنه بالعكوم لعظمه ، فكان « رداح » خبرا له حملا على المعنى اذا «315» كان واحدا ، كما قال :

ثـــلاث شخوص كاعبان ومعصر «316»

فانث حملا على المعنى اذ كن نســـاء ، والا فوجهـــه أن يكون « رداح » خبر مبتدأ مضمر دل عليه مـــا قبله ، وتقديـــر ذلك : عكومها كلها رداح ، أو عكومها كل عكـــم منهـــا رداح ، كمـــا قـــال علقمـــة «317» :

جدورهـــا من أتـــى المـــاء مطـــمـــوم

على رواية من رواه بالجيم ، أى جدورها كل جدر منها أوكلهـــا مطموم ، أى مملوء ، والجدور جمع جدر وهى حواجز الشربات التى تحبس الماء فى أصول النخل ، وأنشد بعض النحاة عليـــه قول الاسود بن يعفر يصف جفنة :

تـــرى جوانبـــها بالشحـــم مفتـــوقـــا

أى ترى كل جانب منها مفتوقا ، ولم تقبـــح هذه المجازات فى

«314» سورة المزمل ، الآية 18 .
«315» « اذا » : كذا بالاصول ، ولعل الاصوب (اذ) .
«316» معصر : ز م ك ، معصم : س ، وهو تصحيف .
«317» علقمة : م س ، علفة : ك .

كلامها لاجل الازدواج والتسجيع ، على حد كلام العرب ومذهبهم فى الاتباع لمناسبة الكلمات ومقابلة المقاطع ، وقولها « فياح » الفياح والفساح بمعنى واحد ، أى بيتها واسع ، يقـال بيـت فسيح وفساح ، ودار فيحاء ، أى متسعة ، وبيت أفيح ، ومنه الحديث فى شدة الحر : « انه من فيح جهنم (75) » ، أى من سعة حرها وانتشاره ، ومن رواه « فيـاح » فعلى بـاب من المبالغـــة .

معـنـــاه :

وصفتها بسعة المال وكثرة الخير والآلات ، وسعة فنـاء البيت وكبره ، وهذا لا يكون الا مع الوجد ، وقد يحتمل أن يكون كنى بالعكوم ورداحتها عن كفلها وعظمه ، كما قالـوا جاريـة رداح ، أى عظيمة الكفل ، وجعل الكفـل عكوما وهـو جمـع لعظمه ، كأن كل ناحية منه عكم ، وكنى بسعة البيت وفسحـة الفناء عن كثرة خيره ، ورغد عيشه ، والبر بنازله ، كما كنـوا بالرحب عن ذلك فى قولهم : مرحبا ، وقالوا : فلان رحب المنزل ، ولا يريدون سعة قطره ، بل كثرة خيره ، ووفور بره ، فيكون لكل فقرة من هذا الفصل معنيـان ، ووقع فى بعـض روايـات شيوخنا فى هذا الفصل : أم زرع ومـا أم زرع ؟ ، فان صحـت هذه الرواية فانها انما وصفت نفسها ، وكذا حدثنا بهـا بعض ثقاة شيوخنا عن ابى العباس العذرى .

(75) رواه الامام مالك واحمد والدارمى والستـة .

وغريب قولها فى ابن أبى زرع :

« كمسل الشطبة » قال أبو عبيد والحربى «318» : واصل الشطبة ما شطب من جريد النخل وهو سعفه ، وهو أن تشق منه قضبان رقاق تنسج منها الحصر ، قال يعقوب : الشطبة السقة (76) من سدى الحصير ، وقال ابن الاعرابى وأبو سعيد النيسابورى : أراد بمسل الشطبة سيفا سل من غمده ، وقال ابن حبيب : الشطبة العويد المحدد كالمسلة ، والجفرة : الانثى من أولاد المعز «319» ، والذكر جفر وهو ابن أربعة أشهر ، كذا قال أبو عبيد وغيره ، وجمعه جفار ، وقال ابن الانبارى : هو من ولد الضأن ، وكذا قال ابن دريد ، قال : وهو الثنى منها ، وفى كتاب العين : الجفر من أولاد الشياه ما استجفر أى صار له بطن ، قال الهروى : الجفر من أولاد الغنم ، فاذا أتى على ولد الغنم أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى قيل له جفر والفيقة : ما يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والفواق : ما بين الحلبتين ، واليعرة العناق ، والذكر اليعر ، وقولها « وتميس » تتبختر ، والنثرة : الدرع ، وهو ما لطف منها ، كذا قال الهروى ، وقال نحوه ابن الانبارى ، قال : هى القصيرة ، وعند الخليل : هى السلسة الملبس ، وقال الثعالبى وثابت : انها الواسعة ومثله النثلة والزغفة والفضفاضة .

«318» والحربى : س ، الحربى : ز .
«319» المعز : ز ك ، العنز : م س .

---

(76) السقة : كذا بالاصول ، ولعلها « السفة » . والسفة : ما يسف من الخوص كالزبيل ونحوه ، أى ينسج .

معناه :

وصفته بأنه مهفهف الخلق ، ضرب اللحم ، ليس ببطين ولا جظ جعظرى جواظ (77) ، وكنت عن ذلك بأن مضجعه الذى ينام فيه فى الضيق كمسل شطبة واحدة اذا سلت من الحصير فبقى مكانها فارغا بين «320» أخواتها ، وهو مما يتمادح به رجال العرب ، أو أنه مثل غمد السيف ، وهو قريب من الاول ، قال أبو سعيد : شبهته بسيف مسلول ذى شطب يمان ، وسيوف اليمن كلها ذات شطب . قال ابن حبيب : عنت انه خفيف المئونة مهفهف ، وقد شبهت العرب الرجال بالسيوف ، فوجه تشبيهها بذلك اما لخشونة جانبها ومضائها «321» ، أو جمال رونقها ولألائها ، أو كمال صورتها فى اعتدالها واستوائها ، كما قال الشاعر :

يشبهون سيوفا فى صرائمهم وطول أنضية الاعناق والامم

وقال آخر :

كان جبينه سيف صقيل

«320» بين : س ، من بين : ز .
«321» ومضائها : س ، او مضائها : ز .

(77) فى هذا اقتباس من الحديث الذى رواه الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر اهل النار : « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » . (رقم الحديث 6580) ، و « الجعظرى » (بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة) : الفظ الغليظ المتكبر ، و « الجواظ » (بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره ظاء معجمة) : مثله . و « الجظ » : قريب منه .

وقـــال آخـــــر :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

وقـــال الاعشـــى :

ويصبح كالسيف الصقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووسائدا

وقالـــت الاعرابيـــة :

أحبـــه بازل عـــــام كالمهنـــد الصمصـــــام

وكذلك أيضا شبهوهم بالرماح ، كما قال :

هما رمحان خطيان كانـــا من السمـــر المثقفة الصعاد

وقـــــال آخـــــر :

مصاليت أمثـــال الرديـــنـــية السمـــر

ثم وصفته بقلة الاكل والشرب ، وهو مما يتمادح بـــه أيضا كما تقدم ، ثم وصفته بأنه صاحب حرب وشكة وخيلاء فى موضـــع الـــقـــتـــــال .

وغريب قولها فى ابنـــته :

« صـــفـــر ردائـــهـــا » فـــالـــصـــفـــر : الـــخـــالـــى الفارغ ، وقولها : غيظ جارتها : أى ضرتها ، ويحتمل أيضـــا أن تكون الجارة بالسكنى ، فالضرة انما سميت جـــارة لمجاورتها ضرتها ، وتسمى الزوجة جارة أيضـــا لمجاورتهـــا الـــزوج ، قـــال الـــشـــاعـــر :

أيـــا جارتـــا بيـــنى فانـــك طـــالقـــه

و « عقر جارتها » فى رواية من رواه ، وكذا أخرجه مسلم فى صحيحه عن الحسن بن على الحلوانى : أى دهش جارتها ، قال

صاحب كتاب الجمهرة : عقر فلان عقرا : اذا خرق من فزع ، قال صاحب كتاب العين : عقر الرجل : اذا دهش ، وقد قال أهل المعانى فى قول الشاعر :

ولثمتها فتنفست كتنفس الظبى العقير

انه الدهش ، وقد يكون أيضا من العقر الذى هو القتل ، من قولهم : عقر الرجل ابله ، أى نحرها ، ومنه : كلب عقور ، وفرس عقير ، وصيد عقير ، واصله من عقر النخل ، وهو قطع رأسها فتهلك ، ويكون هذا بمعنى الرواية الأخرى « حين جارتها » وهى رواية شيخنا القاضى التميمى فى بعض طرق النسائى ، وكذلك قيده بخطه عن أبى على الحافظ ، فالحين الهلاك ، أو يكون من العقر الذى هو الجرح ، قال الخليل : العقر كالجرح ، ومنه قولهم : سرج معقر «322» اذا كان يعقر ظهر الدابة ، أى يجرحه ، ومن معناه ما تقدم فى قولهم كلب عقور أى يجرح ، وصيد عقير أى مجروح ، ومن رواه « عبر جارتها » حكى ذلك الانبارى والهروى ، وهى رواية الهيثم بن عدى ، فمن العبرة التى هى البكاء ، أو العبرة التى هى الاعتبار ، أى أن ضرتها تبكى حسدا لما تراه منها من خلق أو خلق ، أو تعتبر من ذلك ، قال ابن الانبارى : معناه أن ضرتها ترى منها ما يعبر عينيها «323» أى يبكيها ، قال وفيه معنى آخر : انها ترى من عفتها ما تعتبر به ، ومن رواه « غير

«322» معقر : م س ، معقار : ز ، معقرا : ك .
«323» عينيها : س ، عينها : م ك .

جارتها » وكذا رويناه فى بعض الاحاديث المنثورة «324» عن ابى بكر محمد بن عبد الله الفقيه من رواية ابى سلمة المنقرى ، فهو من الغيرة ، قال الخليل : غار الرجل غيرة وغيـــرا «325» فهو غيران ، فكأن الهاء حذفت وابدلت من الالف ياء ، وقد حكى غيره : الغيرة والغير والغار بمعنى ، والغير أيضا مصدر غـــار أهله ، أى مارهم ، قاله ابن دريد . ومن رواه « حيـــر » فمن الحيرة ، وكذا وقع فى كتاب النسائى عند بعضهم ، وأراه هكذا عند ابن الاحمر القرشى ، قال صاحب العين : حار بصره يحار حيرا وحيرة اذا نظر الى الشىء فعشى وتحيـــر ، واستحـــار اذا لم يهتد لسبيله فهو حيران ، وهذه الالفاظ كلها بمعنى متقارب من الرواية المشهورة ، أعنى « غيـــظ جارتهـــا » ، ومن رواه « حبر » بالباء ، وكذا وجدته فى بعض الاصول ولم اروه ، فان صح فهو من معنى قولها قبل : « طوع أبيهـــا وأمهـــا وحبـــر جارتها » أى مسرة مجاورتها ، ولا تكون الجارة هنـــا الضرة ، لكن المجاورة فى المحل والمنزل ، فهى مسرورة بما تـــراه من جمالها وعفتها ، أو بما توليها من احسانها ونعمتهـــا ، والحبرة السرور ، ومنه قوله تعالى « فى روضة يحبرون «326» » ، والحبر والحبار الاثر ، قالوا : ومنه سمى السرور ، لان اثـــره يظهر فى وجه صاحبه .

«324» المنثورة : س ، المشهورة : ز .
«325» وغيرا : س ، وغارا : ز .
«326» سورة الروم ، الآية 15 .

معناه :

وصفتها بأنها ممتلئة الجسم ، كثيرة اللحم ، وعبرت عن ذلك بامتلاء كسائها ، لانها لا تمتلىء الا لعظم جسمها ، وكمال شخصها ، وكثرة لحمها ، ونعمة جسمها ، وهذا مما يمدح به النساء ، ويذمن بضده ، قال امرؤ القيس :

وبيت عذارى يوم دجن ولجته   يطفن بجماء المرافق مكسال
سباط البنان والعرانين والقنا   لطاف الخصور فى تمام ولكمال

وقال غيره :

ومخملة باللحم من دون ثوبها   تطول القصار والطوال تطولها

وقال الحرمازى «327» فى ضده :

لا يعجب المرء منها حين يعجلها
من دون أثوابها عرض ولا طول
كأنها مشجب شكت مآشره «328»
أو طائر من بنات الماء مهزول

وقال الآخر :

فى كل عضو لها قرن تصك به
جنب الضجيع فيضحى واهى الجسد

وفى المثل : لو قيل للشحم أين تذهب ؟ لقال : اصلح العوج ، وعابوا ما خرج منه عن الحد المستحسن ، فعابوا الفرضاخة ،

«327» الحرمازى : ز ك ، الحرمازنى : م س ، ولعل الصواب الاول ، والحرمازى : هو اعشى بنى حرماز واسمه كهمس .
«328» مآشره : س ، مآسره : ز .

والمفاضة ، والعفضاج ، والعضنكة ، والجأنب (78) ، ومدحوا المبتـلة ، والخدلجة ، والبرهرهـة ، والعبهـرة ، والدرمـاء ، واللفاء (79) ، وعابوا الدميمـة (80) ، والقصيرة ، ومدحـوا الطويلة والعطبـول ، والفارعـة ، والخرعبـة ، والممشوقة ، والمهفهفة (81) ، قال الشاعر :

طويلة خوط المتن عند قيامها ولى بطويلات المتون ولـوع

وقـال الآخـر :

وانت التى حببت كل قصيرة الى ، وما تدرى بذاك القصائر

اردت قصيـرات الحجـال ولـم أرد

قصار الخطى ، شـر النسـاء البحاتـر

---

(78) « الفرضاخة » : العريضة الغليظة كثيـرة اللحـم عريضـة الثديين . و « المفاضة » : العظيمة البطن المسترخيـة اللحـم . و « العفضاج » : مثله . و « العضنكة » : العجزاء اللفاء الكثيرة اللحم المضطربة ، وقيل : هى التى ضاق ملتقى فخذيهـا مـع ترارتها وذلك لكثرة اللحم ، والترارة السمن . و « الجأنب » : القصيـرة .

(79) « المبتلة » : التامة الخلق التى انفرد كل شىء منهـا بحسنه . و « الخدلجـة » : الريـاء الممتلئـة الـذراعين والساقـين . و « البرهرهة » : السمينـة التى لهـا بريـق من صفائهـا . و « العبهرة » : الممتلئة الرقيقة البشـرة الناصعة البيـاض . و « الدرماء » التى لا تستبين كعوبها ولا مرافقها لكثرة اللحـم فهى غير ناتئة ، وهو دليـل السمن . و « اللفـاء » : ملتفـة الفخذين ، أى ضخمة الفخذين مكتنزة .

(80) « الدميمة » : القبيحة .

(81) « العطبول » : الجميلة الفتيـة الممتلئـة الطويلـة العنـق . و « الفارغة » : الطويلة . و « الخرعبة » : الشابـة الحسنة الجسيمة فى قوام . و « المشوقة » : حسنة القوام قليلة اللحم . و « المهفهفة » : الخميصة البطن الدقيقة الخصر .

وقال عروة بن الزبير : ما عشقت من امرأة قط الا شرفها ، قيل طولها ، وقيل حسبها ، ثم وصفتها بعظم الروادف ، وقيام الصدر ، وحسن بنية الكتفين ، وضمور البطن ، واندماج الخصر ، بقولها « صفر ردائها » أى ان رداءها كالفارغ الخالى منها ، اذ لا يمس من جسمها شيئا ، فردفها وكتفاها تمنع مسه من خلفها شيئا من جسمها ، ونهداها يمنعانه أن يمس شيئا من مقدمها ، وقد قال الآخر :

ابت الروادف والثدى لقمصها — مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشى تناوحت — نبهن حاسدة وهجن غيورا

وذهب الهروى الى ان معنى قولها : « صفر ردائها » أى انها ضامرة البطن ، والرداء ينتهى الى البطن ، وقال أبو الحسن ابن ابى معشر النحوى : « صفر ردائها » تصفها بأنها خفيفة موضع الاردية «329» ، وهو أعلى بدنها ، و « ملء كسائها » تقول : ممتلئة موضع الازرة وهو أسفل بدنها ، ونحوه لابن ابى اويس ، وهذا كما قال الآخر :

تساهم ثوباها ففى الدرع رادة — وفى المرط لفاوان ردفهما عبل

وكما قال ابن الطثرية :

عقيلية أما ملأت ازارها — فدعص ، واما خصرها فبتيل

ويؤيد هذا المعنى ما وقع فى بعض الروايات « ملء ازارها » فى موضع « كسائها » ، فجاء مطابقا للبيتين ، فان الازار هو ما ائتزر به ، والمرط : كساء من صوف مربع كان النساء يأتزرن

«329» الاردية : س ، الردية : ز م ك .

به ، وقد يكون من غير الصوف ، وقال ابن دريد : المرط ملحفة يؤتزر بها ، فاستبان من هذا ان الكساء والازار هاهنا بمعنى المرط في البيت ، ثم أكدت الثناء عليها بأنها خير نسائها ، أى نساء وقتها أو قومها ، وانها لتمام حسنها وتشابه خلقها فى الكمال وخلقها : غيظ جارتها ، أى ضرتها ، أو مجاورتها ، وان ما تراه من ذلك يغيظها وتغار له ، وتحار منه ، وتعتبر حتى لا تهتدى لامرها ، ولا تستقيم لسبيلها ، ويكاد بصرها يعشى اذا نظرت الى جمالها وكمالها ، اذ ليست كذلك ، ويعقرها ويبكيها حسدا لها ، وغيرة بها ، فيكون معنى يعقرها : اما يهلكها حبدا ويسبب حينها ، أو يجرح لذلك قلبها ويبكيه «330» ، على ما تقدم من تفسير عقر ، ويكون معنى هذه الالفاظ كلها متشابها ان شاء الله تعالى .

فقهه :

فى هذا الحديث جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال اذا كن مجهولات ، فبنت أبى زرع وان كانت منسوبة فهى فى حكم المجهولة ، لبعد وقتها ، وفناء زمنها ، ومجهلة عينها وابيها ، والذى يمنع من ذلك : وصف النساء المعينات بحضرة الرجال ، وان يذكر من أوصافهن على التفصيل ما لا يجوز للرجال اشفاف النظر اليه ، أو توصف عوراتهن وما لا يجوز اطلاع الرجال والنساء عليه ، وقد قال عليه السلام :

«330» يبكيه : م س ، ينكيه : ك .

« لا تصف احداكن جارتها الى زوجها حتى كأنه يراها (82) » . وزجر عليه السلام « هيت » المخنث ، ويقال « ماتع » المخنث ، والقصة لهيت أشهر ، ومنعه الدخول على نسائه اذ سمع منه من وصفه لبادية بنت غيلان الثقفية ما سمع ، فقال له : لقد غلغلت النظر يا عدو الله ، وفى رواية الا أرى هذا يعلم ما هاهنا ، ثم نفاه عن المدينة لذلك الى الحمى (83) . وكراهة

(82) رواه البخارى فى باب لا تباشر المراة المراة فتنعتها لزوجها من كتاب النكاح ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المراة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر اليها » . ورواه أبو داود فى باب ما يؤمر به من غض البصر من كتاب النكاح (رقم 2150) . ورواه الترمذى فى الاستئذان ، والنسائى ، والامام أحمد (رقم 3609 ، 3668 ، 4175) .

(83) روى البخارى فى باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المراة من كتاب النكاح ، عن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عندها وفى البيت مخنث ، فقال المخنث لأخى أم سلمة عبد الله ابن ابى أمية : ان فتح الله لكم الطائف غدا ادلك على ابنة غيلان ، فانها تقبل باربع وتدبر بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هذا عليكم » . ورواه البخارى أيضا فى المغازى وفى اللباس . ورواه مسلم فى باب منع المخنث من الدخول على النساء الاجانب من كتاب السلام ، وادخل فى الباب حديث عائشة قالت : كان يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث ، فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة ، قال : فدخل النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة ، قال : اذا اقبلت اقبلت باربع ، واذا ادبرت ادبرت بثمان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا أرى هذا يعرف ما هاهنا ، لا يدخلن عليكن » . قالت : فحجبوه . ورواه الامام مالك فى الاقضية ، وابو داود فى الادب ، وابن ماجه فى النكاح وفى الحدود .

قال ابن حجر : وزاد ابن الكلبى فى حديثه : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله » ، ثم أجلاه عن المدينة الى الحمى .

النبى صلى الله عليه وسلم لما سمع منه ونهيه عنه لوجوه : احدها : ما ذكرناه من وصف ما وصفه من النساء من أجسامهن وعوراتهن بين النساء والرجال مما لا يجوز الاطلاع عليه . والوجه الثانى : انه أنكر عليه غلغلة النظر الى أن وصل منه الى معرفة ذلك مما لا يباح للنساء ، فكيف للرجال ؟ . والثالث : انهم كانوا يعدونه من غير اولى الاربة من الرجال الذين يجوز لهم الاطلاع على ظواهر محاسن النساء ، فلما رآه يقصد من أوصاف النساء الى ما يستحسنه الرجال دل ذلك على أن عنده اربة فى النساء وميلا الى ما يرغبه الرجال ويميلون اليه ، وقولها « طوع أبيها ، وطوع امها » أى انها بارة بهما ، غير خارجة عن رأيهما ، وهذا يدل على عفتها وعقلها ، ومن رواه « زين » فمعناه أن من له مثل هذه البنت فى كمالها وجمالها يتزين بها ويتجمل ، قال الله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » «331» .

وغريب قولها « برود الظل » أى انها حسنة العشرة ، كريمة الجوار ، يقال فلان يأوى الى ظل فلان ، اذا كان تحت اكرامه وعزه وحمايته ، كأنه استراح اليه استراحة المستجير «332» بالظل «333» ، والظل يعبر به عن العز ، حكاه ابن دريد ، وهذا يؤيد رواية من روى « حبر جارتها » ، وقولها « وفى الال » أى العهد ، قاله ابن الانبارى

«331» سورة الكهف ، الآية 46 .
«332» المستجير : ز ، المستحر : م ك ، المستريح : س .
«333» بالظل : س ، للظل : ز ك .

والهروى ، و « الال » أيضـا القرابـة ، قـال الله تعالـى : (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة «334») أى قرابة ولا عهدا عند بعضهم ، وقولها « كريم الخل » أى الخليـل والصاحب ، وقد تصفها بشرف الزوج فهو خلها ، وقد تريد بـ « الخل » هنا المخاللة والصحبة ، قال الحربى : يقال فلان كريم الخـلة والخل والمخاللة أى الصحبة .

عـربـيـتـه :

ذكر « برودا وكريما ووفيا » ، والموصوف به مؤنث لانها ذهبت به مذهب التشبيه ، أى هى كرجل بهذه الصفة ، قاله ابن «335» الانبارى وأنشد عليه لعروة بن حزام :

وعفـراء «336» عنـى «337» المعـرض المتوانى

وفيه وجه آخر : على تقدير الحمل له على مذكـر محـذوف ، كأنها قالت هى شخص أو شىء برود الظل وكذا وكذا «338» ، وقد حمل عليه معنى بيت عروة المذكور .

مـعـنـاه :

وصفتها بحسن الصحبة والرعاية لمن صحبها وجاورها ، وكرم العشرة معهم وعزهم فى جوارها ، وانها ذات خل كريم ،

«334» سورة التوبة ، الآية 10 .
«335» ابن : ز س ، ــ : م ك .
«336» عفراء : ز ك ، عقراء : م ، عضراء : س .
«337» عنى : ز ك ، اعنى : م س .
«338» وكذا وكذا : س ، او كذا : ز ، او كذا كذا : م ك.

وزوج شريف ، ان فسرنا الخل بالخليل ، اوانها كريمة المخاللة والمعاشرة ان كانت كنت بالخل عن ذلك ، وانها وفية لعهود الزوج والجار ، وصولة لمن بينها وبينه ذمة أو سبب .

غريب قولها فى جارية ابى زرع : « لا تبث حديثنا » أى لا تنشره وتظهره ، يقال بثثت فلانا سرى ، أى أظهرته له واطلعته عليه ، واصله النشر ، قال الله تعالى « كالفراش المبثوث » «339» ، ومن قال (تنث) بالنون : فمعناه تظهر ، يقال نث الحديث ينث ، قال ابن الاعرابى : النثاث المغتاب ، وقال ابن حبيب : النث والبث بمعنى ، ويؤيده «340» ما ورد مفسرا فى الحديث الآخر قولها « ولا تخرج حديثنا » ، و « تبثيثا » «341» مصدره ، ومن رواه « تفتيشا » «342» فمعناه استقصاء على حديثهم ونما بهم . وقولها « ولا تنقث ميرتنا تنقيثا » قال ابو عبيد : التنقيث : الاسراع فى السير ، أى لا تذهب به وتخون فيه ، وهذا مثل قوله فى الرواية الثانية « تنقل » ، واصله من قولهم : تنقثت العظم ، اذا استخرجت ما فيه ، وقال النيسابورى : التنقيث اخراج ما فى منزل أهلها الى غيرهم ، وهما متقاربان ، وقال ابن حبيب : معناه لا تفسده ولا تفرقه ولا تسرع فيه ،

«339» سورة القارعة ، الآية 4 .

«340» ويؤيده : س ، ويعضده : م ك ، وبعضه : ز وهو تصحيف .

«341» تبثيثا : ز ك ، تنثيثا : م س ، ولعل الاول أولى .

«342» تفتيشا : ز ، تغشيشا : ك ، تفشيشا : م س ، ولعل الاول اصوب .

وليس من الاسراع فى السير ، والتنقيث من الفساد والتفرقة ، وقال ابن السكيت : تنقيثا أى نقلا ، وقال ابن ابى اويس : لا تسرق ، وعلى رواية من قال تغث «343» فمعناه تفسد ، وكذلك روى « تفسد » مفسرا فى الحديث الآخر ، ومنه حديث ابى بكر : ان مما صغر عندى هذا الفتح وغثته «344» على بكاء الحى على القبيل ، قال ثابت : أى أفسده ، واصله من العثة «345» ، وهى السوسة ، يقال عثت الصوف اذا أكلته .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

فعلى هذا أيضا يصح معنى « تغث » أى تأكل أكل فساد كما تفعل السوسة (84) ، وقولها فى رواية الزبير « تفسد ميرتنا تقشيشا » «346» فمعناه عندى قريب من الاول ، أى لا تفسد ميرتنا بالنقل والخيانة والاحتجان والاسراف فى أكلها ، قال الخليل رحمه الله : أقش القوم وانقشوا اذا اختلطوا ، قال : والقش والاقشاش طلب الاكل ، قال ابن دريد : والتقشيش مثله ، قال : وقش ما على الخوان اذا أكله أجمع ، قال : وقششت الشىء قشا اذا جمعته ، وحكى الثعالبى عن الليث : القش والتقشيش طلب الاكل من هنا وهنا . و « الميرة » ما يمتاره البدوى من الحضر

«343» تغث : ز ، تعث : س .
«344» غثته : ز ، عثته : س .
«345» العثة : م ك ، الغثة : ز ، العشته : س وهو غلط .
«346» تفشيشا : س ، تعشيشا : ز . ولعل الصواب : تقشيشا .

(84) « تغث » : بالغين المعجمة ، اما « العثة » التى هى السوسة : فبالعين المهملة . تامل .

من دقيق «347» وغيره ، فمعانى هذه الالفاظ وان اختلفت متقاربة ، وقولها « ولا تملأ بيتنا تعشيشا » فمن رواه بالعين المهملة فمعناه أى انها مصلحة للبيت ، مهتبلة بتنظيفه والقاء كناسته وابعادها منه ، وليست ممن تضم كناسته وسقطه هاهنا وهاهنا ، وتتركها مجتمعة فى أماكن منه كأنها الاعشاش ، هكذا فسر هذا المعنى بعضهم ، وقال ابن ابى اويس عن أبيه : أرادت انها تقم بيتنا ولا تدع فيه القمامة والقشب فكأنه عش طائر فى قذره وقشبه . وقال الهروى : لا تفسد ميرتنا تعشيشا «348» ، معناه أنها لا تخوننا فى طعامنا فتخبأ فى هذه الزاوية شيئا وفى هذه شيئا كالطيور اذا عششت عششة فى مواضع شتى ، وقال الخطابى : هو مأخوذ من قولهم عشش الخبز اذا فسد ، يريد انها تحسن مراعاة الطعام ، وتتعاهده بأن تطعم منه أولا فأولا طريا ، ولا تغفله فيفسد ، ومن قال « تغشيشا » بالغين المعجمة فهو من الغش ، قال الهروى : وهو بمعنى الاول ، وقال ابن السكيت : هو من النميمة ، وقولها « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » أى لا تستخرجها استخراجا ، والنجيثة ما يخرج من البئر من تراب .

معناه :

وصفتها بالامانة على السر «349» والمال ، والقيام

«347» دقيق : س ، طعام : ز .
«348» لا تفسد ميرتنا تعشيشا : س ، ـــ : ز . ولعل الصواب اثباتها .
«349» السر : س ، الاهل : ز .

بمصالح خدمتهم ، والنصح لهم ، وانها لا تفشى لهم حديثا ، ولا تبذر لهم طعاما ، ولا تخون فيه ، ولا تنقله الى غيرهم ، ولا تفسده ، ولا تسيء صنعته وتضيعه ، ولا تدخل بينهم الضغائن ، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم .

وغريب قولها فى ضيف أبى زرع « فى رتع ورى » أى تنعم «350» . قال الله تعالى (نرتع ونلعب «351») (85) وأكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة ، وقولها : « طهاة أبى زرع » أى طباخوه ، قال أمرؤ القيس :

فظل طهاة اللحم من بين منضج

وقولها « لا تفتر » أى لا تسكن ولا تضعف فى خدمتها ، والفتور السكون ، والفتور الضعف ، وقولها « ولا تعدى » أى لا تصرف ، قاله ابن الانبارى ، يقال «352» عداه عن الشيء

«350» تنعم : س ، لهو : ز .
«351» سورة يوسف ، الآية 12 .
«352» يقال : س ، قال ابن دريد : ز .

---

(85) قوله تعالى : « نرتع ونلعب » بنون المضارعة فى الكلمتين ، وباسكان العين فى « نرتع » : على رواية حفص عن عاصم . والمعنى من الرتع ، اى الاكل والشرب ما شاء الانسان فى خصب وسعة ، أو هو الاكل والشرب رغدا فى الريف ، واكثر تفاسيره ترجع الى اللهو والمسرة كما قال القاضى عياض رحمه الله .
أما رواية ورش عن نافع فهى : « يرتع ويلعب » بياء المضارعة فى الكلمتين ، وبكسر العين فى « يرتع » والمعنى فيها من الرعى .

يعدوه اذا صرفه عنه ، قال ابن دريد «353» : ويقال العداء والعدواء الشغل يعدوك عن الشيء ، وقولها « تقدح » أى تغرف والمقدحة المغرفة ، قاله الهروى وغيره ، « وتنصب » ترفع على النار ، قال ابن دريد : نصب القوم السير اذا رفعوه ، وكل شيء رفعته فقد نصبته ، والمنصب شيء من حديد تنصب عليه القدور ، وقد يكون النصب من التعب من قولهم عيش ذو منصبة أى كد وتعب ، وقولها فى ماله « على الجمم معكوس » الجمم جمع جمة وهم القوم يسألون فى الدية ، قاله ابن الانبارى ، وأنشد :

نضرب فى الهيجا ونعطى فى الجمم

و « معكوس » أى مردود معطوف ، و « العفاة » ، السائلون ، و « محبوس » موقوف عليهم .

معناه :

وصفت توسعته على ضيفانه فى المأكول والمشروب ، واكرامهم بما يطربهم ويلهيهم ويسرهم ، وانه جواد كريم ، لا ينقطع اطعامه ، ولا تغب قدوره ، ولا تستريح طهاته ، وان ماله محبوس على السؤال والطالبين ، موقوف على مبتغى الرفد وقاصدى النيل ، مردود عليهم .

وغريب قولها « والاوطاب تمخض » : الاوطاب تختص بأسقية اللبن ، وتسمية غير اوعية اللبن بها على ضرب من

«353» ابن دريد : س ، الخليل : ز .

المجاز والمشابهة ، واحدها وطب ، وجمعه المعروف وطاب فى الكثرة وأوطب فى القلة ، وقد جمعوا اوطبا على اواطب ، وأما اوطاب فنادر . تنبيه : ذكر ابو سعيد النيسابورى أن جمع وطب على أوطاب فى هذا الحديث منكر فى العربية ، لان فعلا لا يجمع على أفعال .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

لم يقل ابو سعيد شيئا ، اما انكاره أن يجمع وطب على أوطاب فى العربية فهذه عربية صحيحة ، منقولة عن أفصح العرب ، وبأصح الطرق ، فحكاها النبى صلى الله عليه وسلم أو حكتها عائشة بحضرته ، ورواها فصحاء التابعين ، ولا يحكون لحنا ، وذكروها عن عرب عاربة وجاهلية بائدة قولها حجة ، وليتنا وجدنا مثل هذه الطرق فى أكثر اللغة ، ولا يقال فى مثل هذا منكر ولا خطأ ، ولكنه يقال نادر ، وكيف وأئمة هذا الشأن يخالفونه ؟ قال الخليل : جمع الوطب وطاب واوطاب ، وحكى مثله ابن دريد فى الجمهرة ، وأما قوله فان فعلا لا يجمع على أفعال ، فغير مسلم ، فقد جمع فعل على أفعال فى حروف معلومة ، قالوا : ازناد وأفراخ وأفراد واجداد ، وانف وآناف ، ورفغ وارفاغ ، ورأد وأرءاد ، حكاها سيبويه ، قال : وقد يجىء فى فعل افعال مكان افعل ، كما قال الشاعر :

وزندك أثقب ازنادها

قال سيبويه : وليس ذا بالباب فى كلام العرب ، يعنى انه ليس بالمطرد ، ومثله :

وأمسـت على آنـافـهـا غبـراتهـا

قال : والقياس فى فعل أفعل فى القليـل ، وفى الكثـير فعـال أو فعول ، وما سوى ذلك فلا يعلم الا بالسمع ، وحكى الفـراء : احلاق جمع حلق ، وفى الحديث الصحيح : « على أنقاب المدينة ملائكة (86) » ، جمع نقب ، واما ما كان عينـه يـاء أو واو من باب فعل فجمعه فى القليل افعال ، نحو أسـواط وأثـواب وأنواع وأقواس وألواح وأبيات وأقيـاد وأشيـاخ وأعيـار وأعيان ، وهو باب مطرد كثير مستعمـل معروف فى المعتـل ، وهو فى الصحيح نـادر ، وقـد قالـوا أهـل واهـال وارض واراض ، ومثله أجفان وأشكال ، وحكى بعضهم حمل وأحمال وحبر وأحبار ، وقد يقال ان أفعالا هاهنا محمـول على فعـل ، فقد قالوا حبر أيضا ، وقالوا حمل ، كما حملوا أشعارا وأنهارا على فعل من شعر ونهر ، فلا ينكر ما جاء على هذا اذا سمـع كما قال سيبويه رحمه الله ، وقد رأيت فى بعض روايات هـذا الحديث فى أصل قديم من كتاب النسائى رواية حمزة الحافـظ والاطاب تمخض ، مبشور الواو مصلحا ، فان صحـت هـذه الرواية ولم تكن وهما واسقاطا ، فهـى على الاصـل وجمـع وطاب ، ثم ابدل الواو همزة ، كما قالـوا اشـاح ووشـاح ، ووعـاء واعـاء ، ووكـاف واكـاف ، ووقـاء واقـاء ، ووسادة واسادة والله تعالى أعلم . ووقع فى رواية يعقوب بـن

(86) رواه البخارى فى باب لا يدخل الدجال المدينـة من كتاب الفتن ، عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « على انقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » . واخرجه ايضا فى فضائل المدينة . ورواه مسلم ومالك واحمد

السكيت فى زيادة غريبة وقعت فى بعض نسخ الالفاظ له : « والوطاب تمخض » على الاصل ، حدثنا بهذه الزيادة «354» شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان النحوى عن خاله ابى محمد غانم بن وليد ، وفى أصله قرأت ومنه نقلت ، عن ابى عمر السهمى بسنده الى يعقوب .

معناه :

قولها « فخرج من عندى ابو زرع والاوطاب تمخض » يحتمل أنها أرادت تبكير خروجه من منزلها ، وغدوه لذلك ، لانه وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم ومهنهم ، وانطوى أثناء ذلك كثرة خير داره ، وغزر لبنه ، وان عندهم منه ما يشرب صريحا ومخيضا ، ويفضل عن حاجتهم ، حتى يمخضوه فى الاوطاب ويستخرجوا زبده وسمنه كما قالت : « فنقلنى الى أهل صاهل وجامل ودائس ومنق » ، ومن هذا حديث الحجاج وقد سأل وافدا عليه عن الغيث ، فقال له : كانت سماء ولم أراها ، وسمعت الرواد تدعو الى زيادتها ، وسمعت قائلا يقول : هلم أظعنكم ، الى محلة تطفأ فيها النيران ، وتشتكى فيها النساء ، وتنافس فيها المعزى ، قال فلم يفهم الحجاج مراده ، فاعتل عليه ، وقال له : انما تخاطب أهل الشام فأفهمهم ، فقال : اما طفء النيران فاخصب الناس وكثر الزبد والسمن واللبن ، فاستغنوا عن النار للخبز ، واما تشكى النساء فان المرأة تربق بهمها ، وتمخض لبنها ، فتبيت ولها أنين من

«354» الزيادة : ز م س ، الرواية : ك .

عضديها ، فى حديث طويل ، ويحتمل أن تريد أنـــه خـــرج فى استقبال الزمن وطيبه وربيعه ، ووقت يمخـــض الناس ، وان خروجه اما اسفر أو غيره كان فى هذا الزمان ، فتكون الفائدة فى الاحتمال الاول تعريفها بخروجه عنها بكـــرة من النهـــار ، وفى الاحتمال الثانى اعلامها بوقت خروجه عنها فى «355» فصول الزمان ، وقولهـــا « معهـــا ولـــدان كالفهديـــن » وفى روايـــة « كالصقرين » وصفت ولديها بالفهدين أو الصقرين لاســـــر خلقهما ، واكتناز اجسامهمـــا ، واحتاجـــت الـــى ذكـــرهـــما هاهنا ــ والله اعلم ــ لتتبه أن ذلك كان احد أسباب تزويـــج ابى زرع لها ، لان العرب كانت ترغـــب فى الاولاد ، وتحـــرص على النسل وكثرة العدد ، وتستعد لذلك بالنساء المنجبـــات فى الخلق والخلق ، فيحتمل أن أبا زرع لما رأى هـــذه المـــرأة ، واعجبه خلقها ، وولداها ، لكمال خلقهما ، وظهور مخايل النجابة فيهما ، حرص عليهـــا ، وقال اسماعيـــل بن ابـــى اويـــس : « كالفهدين سارين حسنين نفيسين » ، ومن رواه « أخواها » خلاف المشهور والاصح والاكثر من الروايات ، فان حمل على ظاهره كان أمدح لها ، وأدل على صغر سنها ، ونهود ثديهـــا ، كما قال الهذلى :

لهـــا كنيـــة عمرو وليس لهـــا عمـــرو

ويؤيده قوله فى رواية غندر « فمر بجارية شابة » «356» وقد يتأول فيجمع بينه وبين رواية من روى أنهما ولداها بأن يجعلا

«355» فى : م س ، من : ز ك .
«356» شابة : ز م س ، ــ : ك .

أخوين لها فى حسن الصورة ، وكمال الخلقة ، وقولها « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » ذهب بعضهم الى أنه أراد ثدييها ، ورد هذا أبو عبيد قال : وليس هذا موضعه ، وانما أراد أنها ذات كفل عظيم ، فاذا استلقت نتأ الكفل بها عن الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمان ، ويؤيد تأويل أبى عبيد ما ورد فى أحد (87) الروايات المتقدمة « يرمى من تحت خصرها بالرمانتين » ولا يقال فى الثديين « يرميان » ، ويعضده أيضا ما وقع مفسرا فى حديث ابى معاوية عن هشام الذى قدمناه ، وقولها فيه « فمر بجارية يلعب معها أخواها ، وهى مستلقية على قفاها ، وأخواها معهما رمانة يلعبان بها ، يرميان بها من تحتها ، فتخرج من الجانب الآخر ، من عظم أليتها » ، ففسر الامر كما تراه ، فان سلمت هذه الرواية من علة ارتفع الاحتمال ، على أن هذا الكلام بعيد من نمط كلام أم زرع جدا ، ويعضد التأويل الآخر قولها فى الرواية الاخرى « يلعبان من تحتها » و « من تحت صدرها » وقوله فى رواية غندر « يلعب من تحت درعها برمانتين » ، ولان العادة لم تجر بلعب الصبيان ورميهم بالرمان تحت اصلاب امهاتهم ، وكيف تجلس هذه المرأة لهم وتستلقى حتى يشاهد منها الرجال هذا ومنهم ؟ ، وأيضا فان حمل الرمانتين بالالف واللام على ما وقع فى بعض الروايات على رمانتين من الرمان لا يجوز فى العربية ، لان رمانتين من

(87) « أحد » كذا بالاصول ، والاولى : « احدى » .

الرمان نكرتان ولا يصح أن يدخل فيها الالف واللام ، ولا يصح أن تريد رمانتين من الرمان معهودتين ، والاشبه أن يكون المراد بهما النهدين ، ويكون قوله « يلعبان من تحت خصرها ، أو صدرها أو درعها » : أى أن ذلك مكان الولدين لا مكان الرمانتين ، وان ولديها كانا فى حضنيها ، أو حفافى جنبيها ، وتشبيهه النهدين بالرمانتين يدل على نهودهما وكعوبهما ، وذلك لصغرها ، وفتاء سنها ، وانها بعد ممن لم تسن وتترهل وتهبل فتتكسر «357» ثدياها وتتدلى ، وليسا يشبهان حينئذ بالرمان ، وذهب الداوودى الى أن معنى هذا : أى يرميان من تحتها اذا رقدت على جنبها لرقة خصرها ، والكلام فيه على ما تقدم .

وقولها : « وكل بدل أعور » فهذا مثل ، ومعناه أن البدل من الشىء لا يقوم مقام المبدل منه ، وانه دونه وانزل منه ، وقولها « أعور » أى معيب ردىء ، وليس من عور العين ، حكى ثعلب : الاعور الردىء ، قال : والعرب تقول للردىء من كل شىء أعور ، وللانثى عوراء ، ومنه قالوا كلمة عوراء ، أى قبيحة ، قال الشاعر :

اذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ، ولو شاء لانتصر

وقال الكميت :

ولا استعذب العوراء يوما فقالها

«357» فتتكسر : س ، فتنكسر : ز ، ولعل الصواب بياء المضارعة بدلا من التاء ، وتتدلى : لعل الصواب فيها : يتدليا .

فلخبرت أن هذا البدل لم يسد مسد أبى زرع كما فسرته بعد هذا ، و « السرى » بالسين المهملة الرجل السيد ذو السرو ، أى المروءة ، قال الحربى فى تفسيره : سخيا ، والسرى من كل شىء خياره ، ويقال بالشين المعجمة أيضا ، والجمع سراة وشراة ، حكاهما يعقوب ، وحكى لنا شيخنا أبو الحسين ابن سراج رحمه الله عن ابى على القالى : أن الشراة بالشين المعجمة أيضا الردىء فهو من الاضداد ، والشرى أيضا «358» بالشين المعجمة الفرس الذى يستشرى فى سيره ، أى يلج ويمضى بلا فتور ولا انكسار ، قال ثابت : شرى البعير فى سيره اذا اسرع ، ومنه شرى البرق اذا كثر لمعانه ، وشرى الامر اذا تفاقم وترامى ، وقال معمر : معناه جاد «359» السير ، وقال يعقوب : فرس شرى خيار فائق ، ومن روى « اعوجيا » فهو منسوب الى فرس اسمه «360» أعوج ، هو من الخيل العراب المشهورة التى تنسب العرب اليها جياد الخيل ، وهما فرسان : احدهما فرس كان لكندة ثم تصير لسليم ثم لبنى هلال بن عامر ، قال ابن خالويه وكان لبعض الملوك ، يعنى من كندة ، فغزا بنى سليم فقتلوه وأخذوا فرسه ، وقال ابو العباس المبرد : اعوج فرس لغنى ، وقيل لبنى كلاب ، قيل وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن

«358» والشري ايضا : س ، وقال الخليل الشري : ز ، والشري : ك .

«359» جاد : س ، حاد : ز .

«360» اسمه : س ، اسمها : ز ، وكلاهما صحيح لان الفرس تطلق على الذكر والانثى .

تشتد عظامه فاعوجت قوائمه ، وقيل بل اعوج ظهره ، وامه سبل فرس كانت لغنى مشهورة ايضا ، وهذا هو أعوج الاصغر ، واما اعوج الاكبر فمشهور أيضا ، وهو ولد فرس اسمه ارا الهجرس «361» ، والهجرس ولد فرس اسمه الدينار ، والدينار ولد زاد الراكب فرس لسليمان بن داوود عليهما السلام ، من بقية الخيل التى خرجت له من البحر ، وكان أعطاه لقوم وفدوا عليه من جرهم ، وقال لهم تصيدوا على هذا الفرس ما شئتم ، فكان لا يفوته شىء ، فسمى زاد الراكب ، قال ابن خالويه : واليه تنسب أكثر الافراس المشهورة ، ذكر لنا ذلك كله الاستاذ أبو عبد الله ابن سليمان ، وبعضه عن غيره ، وذكر مثله ابن لهيعة الاخبارى فى كتاب الحلائب والجلائب و « الخطى » الرمح ، نسب الى الخط ، وهو موضع من ناحية البحرين ، تأتى الرماح اليها من الهند ، ثم تفرق من الخط الى بلاد العرب فينسب اليه ، ولا يصح قول من قال ان هذا الموضع ينبت الرماح ، وقيل ان سفينة فى أول الزمان مملوءة رماحا قذفها البحر مرة الى هذه الناحية ، فخرجت رماحها فيها ، فنسبت اليها ، وقيل الخط الساحل ، وكل ساحل خط ، حكاه صاحب الجمهرة عن بعض اللغويين ، قال والخط سيف البحرين وعمان ، و « أراح » من الرواح ، ومعناه أتى بها للمراح ، وهو موضع مبيت الماشية ، ولهذا سماها بعد « رائحة » ،

«361» ارا الهجرس : م ، اريى الهجرس : ز ، ارى الهجرس : ك ، ارا المبحرس : س .

وقال ابن ابى اويس : تقول غزا فأتى بنعـم كثيرة ، والنعم الابل خاصة ، جمع لا واحد له من لفظه ، وذكر بعضهم أنـه ينطلق أيضا على جماعة المواشى اذا كان فيها ابل ، والانعام المواشى من الابل وغيرها ، وقد قيل ان النعم والانعام بمعنى واحد ، والنعم تذكر وتؤنث ، قال الله تعـالى « ومن الانعـام حمـولـة وفـرشـا «362» » ، ثـم قـال « ثمـانـيـة أزواج «363» » فذكر أنواع الماشيـة ، ووقـع فى بعـض الروايات « نعما » جمع نعمة ، والاشهر « نعمـا » بالفتـح ، والثرى الكثير من كل شىء ، يقال ثرى بنو فلان بنى فـلان أى صاروا أكثر منهم ، ويقال اثرى الرجـل اذا كثـر مالـه ، وقوله « ميرى أهلـك » أى صليهم بالميـرة وهى الطعـام ، وأصله من امتيار البوادى من الحواضر

عـربـيـتـه :

قولها « نعما ، أو نعما ثريا » والنعم مؤنثـة ، وجـاء بـ « ثرى » الذى هو وصف للمذكر ولم يأت فيه بعلامة تأنيـث فيقول « ثرية » ، وكذلك يلزم على القول بتأنيث النعم ، ولكن وجهه ان كل ما ليس بحقيقى التأنيث غلك وجهان فى اظهار علامة تأنيثه فى الفعل واسم الفاعل والصفة أو تركهـا ، وكذلـك فى جموع من المذكـر والمؤنث الحقيقى ، كما قـال الله تعالـى

«362» سورة الانعام ، الآية 142 .
«363» سورة الانعام ، الآية 143

(وقال نسوة «364») و (قالت الاعراب «365») وقـــال : (رجالا كثيرا «366») و (أعجــاز نخــل منقعــر «367») وقال الـشــاعــر :

طويــلا سواريــه شديــدا دعــائمــه

وقـــــال :

لـئـيــم مآثره ، تعدد «368»

كما لو قال : كثيرة ومنقعرة وطويلة وشديدة ولئــيمة الوجهــان جائزان ، واما على رواية « النعم » والقول بأنها مذكرة فهــو الوجه ولا يحتاج فيه الى كلام .

مـعـنـاه :

وصفت هذا الرجل الذى تزوجتــه بالســؤدد فى ذاتــه ، والسعة فى ذات يده ، وانه صاحب حرب وركوب ، وبالاحسان اليها ، والتفضل على أهلها «369» ، ثم أخبرت انه مع هذا كله لم يقع عندها موقع أبى زرع ، وان كثيره دون قليل ابى زرع ، فكيف بكثيره ؟ وان حال هذا الآخر عندها معيب اذا اضافته الى حال أبى زرع ، مع اساءة أبى زرع لها أخيرا فى تطليقها ،

«364» سورة يوسف ، الآية 30 .
«365» سورة الحجرات ، الآية 14 .
«366» سورة النساء ، الآية 1 .
«367» سورة القمر ، الآية 20 .
«368» تعدد : ز ، ممد : س وهو غلط ، والتعدد : الجبان اللئيـم القاعد عن المكــارم .
«369» على اهلها : س ، عليها : ز .

والاستبدال بها ، ولكن حبها له بغض اليها الناس بعده ، ولهذا كره أولو الرأى تزويج (88) امرأة لهـا زوج طلقهـا ، لميـل نفسها اليه ، وقالوا : لا تتزوج حنانة ولا أنانة ولا منانة ، ففى الحنانة وجهان : احدهما التى لها زوج فهى تحن اليه ، والثانى الولد ممن قبلك ، فهى أيضا كثيرة الحنين اليه ، مشتغلة به عنك ، والانانة : الكثيرة الامراض ، فهى تئن أبدا ، فلا يصفو عيشك معها لذلك ، والمنانة : التى لها مال تمن به عليك ، وقولهـا « وأعطانى من كل رائحة » ويروى « وآتـانى من كل سائمـة زوجا » ، وآتـانى واعطانى بمعنـى واحـد ، والسائمـة : الـراعـيـة ، والـرائحـة : أصـلـه الآتـيـة وقـت الرواح ، وهو آخر النهار ، ومنه سمى المراح ، وهو موضـع مبيتها ، والرواح ضد الغدو ، وفى الحديث : « لغدوة فى سبيل الله اوروحة (89) » ، وفيه : « كالطير تغدو خماصـا وتـروح بطانا (90) » ، وقد وجد للعرب استعمالـه فى النهـار كلـه ، حكاه الهروى وغيره ، وعليه حمل الشافعى وغيره حديث رواح

(88) « تزويج » كذا بالاصول ، والاولى : « تزوج » .

(89) رواه البخارى فى باب الغدوة والروحة فى سبيل الله من كتـاب الجهاد ، عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبـى صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيـا وما فيها . ثم رواه من طريق ابى هريرة ، ورواه مسلم ايضا .

(90) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم 7420 ، ولفظه : « لو انكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير : تغـدو خماصا ، وتروح بطانا » . رواه الامام احمد ، والترمذى وابن ماجه فى الزهد ، والحاكم فى الرقائـق ، والنسائى ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا .

الجمعة (91) ، ويقال تروح القوم وراحوا اذا ساروا أى وقت كان ، ومن رواه « وأراح على من كل سائمة زوجين ، ومن كل آبدة اثنين » ، فالآبدة : أصلها «370» المتوحشة ، والجمع أوابد ، يقال أبدت تابد وتأبد اذا توحشت ، ومنه : كلمة آبدة ، ورماه بآبدة أى بكلمة غريبة لم يعهد مثلها ، والاوابد : الوحش ، قال امرؤ القيس :

قيد الاوابد هيكل

وقد تشبه بها الابل المؤبلة «371» والنعم المهملة .

عربيته :

ومن رواه « من كل ذى رائحة » فعلى قوله ذا صباح

«370» اصلها : ز ، ـــ : م ك س .

«371» المؤبلة : ز ك ، الطويلة : م س ، ويقال للابل « مؤبلة » اذا كانت للقنية .

---

(91) حديث رواح الجمعة هو ما رواه الجماعة الا ابن ماجه ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وقد حمل الشافعى وغيره « الرواح » المذكور فى هذا الحديث على التبكير فى الذهاب للجمعة قبل الزوال ، فيكون قد فسر الرواح باستعماله فى النهار كله . اما المالكية فقالوا ان المراد بالساعات خمس لحظات لطيفة اولها زوال الشمس وآخرها قعود الخطيب على المنبر ، فيكون قد فسروا الرواح باستعماله فى العشى الذى هو ضد الغدو .

وذات يوم ، فكأنه دعم للكلام وصلة لـــه ، والا فذى أصلهـــا ألا تضاف الا الى الاجناس ، كقولك ذو مال وذو علم ، ولا تضاف الى الصفات فتقول ذو عالم ولا ذو عاقل ، لانه يكتفى بذكـــر الصفة عنها ، بخلاف الجنس الذى لا تصف به اذا أردت الوصف الا بذى ، أو بتصريف اسم صفـــة منـــه ، فادخلـــت « ذى » لتتوصل بها الى الوصف بالاجناس ، ولاجل ذلك لم تضف الى صفة مشتقة ، وانما تضاف الى ظاهر غير صفة ، ولا أعلم لهذه اللفظة مثلا فى كلام العرب .

مـــعـــنـــاه :

أرادت بقولها هذا كثرة ما أعطاها من جميع مـــا يروح الى منزلها ويرعى بفنائها «372» ، من ابل وبقـــر وغنـــم وعبـــيد ودواب ، وانه اعطاها أصنافا من ذلك ولم يقتصر على الفرد فى ذلك «373» ، حتى ثناه وضعفه احسانا اليها ، وتكرما عليها ، وانه صاحب صيد وقنص يروح بها مثنى مثنى ، ويضيفها الى ما اكتسب واقتنى ، و « الزوج » يقـــع على الواحد ويقـــع على الاثنين ، ولذلك قالوا زوجان ، ولكن لا يقـــع على الواحـــد الا اذا كان معه آخر ، قاله الهروى ، وقال ابن دريد : الاثنان زوج وزوجان ، والزوج : الصنف ، ومنه قوله تعالى (أو يزوجهـــم ذكرانا واناثا) «374» وقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة «375»)

«372» ويرعى بفنائها : ز ، ـــ : م ك س .
«373» الفرد فى ذلك : ز ، ـــ : م ك س .
«374» سورة الشورى ، الآية 50 .
«375» سورة الواقعة ، الآية 7 .

أى اصنافا ، وانكر ابن الانبارى أن يسمى الاثنان زوجا ، وانما يقال لهما زوجان .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » : تطييبا لنفسها ، ومبالغة فى حسن معاشرتها ، لما ذكرته أم زرع من حسن صحبته لها ، وشكرته فى «376» جماع حاله معها ، ثم استثنى من ذلك الامر المكروه منه ، بقوله عليه السلام « انه طلقها وانى لا اطلقك » تتميما لتطييب نفسها ، واكمالا لطمأنينة قلبها ، ورفعا للايهام ، لعموم التشبيه بجملة أحوال أبى زرع ، اذ لم يكن فيها ما يذم سوى طلاقه لها ، ومثله قوله عليه السلام فى الرواية الاخرى « فى الالفة والرفاء لا فى الفرقة والخلاء » ، أى فى الاتفاق لا فى الافتراق ، لان الرفاء هو من باب الالفة والاتفاق ، والخلاء من باب الفرقة والطلاق ، قال أبو عبيد : يكون الرفاء بمعنيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، ومنه رفء الثوب ، لأنه يضم بعضه الى بعض ، ويكون الرفاء من الهدوء والسكون ، وقال أبو زيد : الرفاء الموافقة ، وقيل الرفاء المال ، حكاه المفضل عن اليمامى فى منتخبه ، وقيل الرفاء السرور ، وقال ابن الانبارى : الخلاء المباعدة والمجانبة ، وكأنه مأخوذ من خلاء الابل ، وهو كالحران للدواب ، ومنه حديث النبى صلى

«376» فى : ز ك ، من : م س .

الله عليه وسلم يوم الحديبية : « ما خلأت القصواء (92) » ، لا سيما وقد ورد فى رواية ابى معاوية الضرير ما دل أن الطلاق لم يكن من قبل أبى زرع واختياره فانه قال « فلم تزل به أم زرع حتى طلقها » ، وقول عائشة رضى الله عنها « بأبى أنت وأمى ، بل أنت خير لى من أبى زرع » : جواب مثلها فى فضلها وعلمها ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبرها انه لها كأبى زرع لأم زرع لفرط محبة أم زرع له واحسانه لها ، أخبرته هى أنه عندها أفضل ، وهى له أحب من أم زرع لأبى زرع .

عربيته :

قوله عليه السلام : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » أى أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، كما قال بعضهم فى قوله تعالى « كنتم خير أمة » «377» أى انتم ، وكان زائدة ، قالوا : «378» مثله قوله تعالى (من كان فى المهد صبيا «379») أى هو فى المهد ، وقوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها «380») أى أنت عليها ، و (صدقت أم كنت من الكاذبين «381») ،

«377» سورة آل عمران ، الآية 110 .
«378» قالوا : ز ، ــ : ك س .
«379» سورة مريم ، الآية 29 .
«380» سورة البقرة ، الآية 143 .
«381» سورة النمل ، الآية 27 .

---

(92) رواه البخارى فى باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط ، من كتاب الشروط ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وعلق هذه الفقرة من الحديث فى كتاب الجهاد . ورواه ابو داود والامام احمد .

وفى بعض هذا اختلاف ، قالوا : ومنه قوله فى الحديث : « كن أبا ذر (93) » . وقد يحتمل عندى هذا غير ما قالوه ، وانشدوا :

وجيـــران لنـــا كانـــوا كـــرام

وقد يصح أن تكون « كنت » هاهنا على بابهـــا فى النقص والاستعمال وافادة زمان محصل ، أى كنت لك فى سابق علــم الله وقضائه كأبى زرع لأم زرع ، فى احسانه لهـــا ، ومحبـــتها فيه ، ويتوجه هنا فيها أيضا وجه ثالث : وهو ان تكون « كان » على بابها ، ثم يراد بها الاتصال ، أى كنت لك فيمـــا مضى من صحبتى لك وعشرتى اياك كأبى زرع وانا كذلك لا اتبدل عنه ، كما قالوا فى قول مرة بن محكان السعدى :

أنـــا ابن محكان اخوالى بنو مطر
انمى اليهم وكانوا معشرا نجـــبا

أى كان من مضى منهم نجيبا ومن بقى كذلك ، وفى الكتاب العزيز (وكان الله سميعا بصيرا) «382» ، و (ان الله كان عليمـــا حكيما) «383» و (انه كان حليما غفـــورا) «384» فى أمثلـــة

«382» سورة النساء ، الآية 134 .
«383» سورة النساء ، الآية 11 .
«384» سورة الاسراء ، الآية 44 .

(93) رواه ابن هشام فى السيرة ، فى « غزوة تبوك » .
وابو ذر هو جندب بن جنادة ، من بنى غفار ، صحابى جليل ، قديم الاسلام ، اصدق الناس لهجة ، وكان كريمـــا لا يدخـــر من المال قليلا ولا كثيرا . توفى سنة 32 هـ .

كثيرة ، وهو تعالى كان فى الازل كذلك ، وكذلك هو جل اسمه ، وعليه حمل بعضهم قوله تعالى (كنتم خير أمة) «385» و (من كان فى المهد صبيا) «386» .

«385» سورة آل عمران ، الآية 110
«386» سورة مريم ، الآية 29 .

فقــه

قال المهلب ابن أبى صفرة (94) الفقيه : فيــه من الفقــه جواز التأسى بأهل الاحسان من كل أمة ، الا ترى أن أم زرع أخبرت عن أبى زرع بجميل عشرته فامتثله النبى صلــى اللــه عليــه وسلم

قال الفقيه القاضى أبو الفضل رضى الله عنه :

وهذا عندى غير مسلم ، لأنا لا نقــول ان النبى صلى الله عليه وسلم اقتدى بأبى زرع ، بل اخبر أنــه لهــا كأبى زرع ، وأعلم ان حاله معها مثل حال ابى زرع «387» ذلــك ، لا على التأسى به ، وأما قوله بجواز التأسى بأهــل الاحسان من كل أمة فصحيح ما لم تصادمه «388» الشريعة .

وفيه من الفقه جواز قول المرء لصاحبه : بأبى أنت وامى ،

«387» ابى زرع : س ، ــ : ز م ك .
«388» تصادمه : م س ، ترده : ز ، تضاده : ك ، وكلها بمعنى .

(94) هو ابو القاسم المهلب بن احمد بن اسيد ابن ابى صفرة التميمى ، المالكى ، من اهل العلم الراسخين فى الفقــه والحديث والعبــادة والنظر ، اختصر صحيح البخارى ، وشرح الموطأ ، وهو غيــر المهلب ابن ابى صفرة امير البصرة ، توفى سنة 433 هـ .

وفداك أبى وأمى ، وهما بمعنى واحد ، وقد قاله النبى صلى الله عليه وسلم لسعد (95) رحمه الله والزبير (96) رضى الله عنهما وغيرهما ، وهو من معروف كلام العرب ، وقاله أبو بكر وغيره للنبى صلى الله عليه وسلم (97) ، وكذلك قولهم : جعلت فداك ، ونفسى فداؤك ، وقاله أبو طلحة (98) وأبو ذر

---

(95) قول النبى صلى الله عليه وسلم لسعد : « ارم ، فداك ابى وامى » : رواه البخارى فى باب المجن ومن يترس بترس صاحبه ، من كتاب الجهاد ، عن على رضى الله عنه ، وفى مناقب سعد ابن ابى وقاص ، من ابواب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، عن سعد ، ورواه الامام احمد (1 : 124) .

وسعد هو سعد ابن ابى وقاص مالك بن اهيب القرشى الزهرى ، فاتح العراق ، واول من رمى بسهم فى سبيل الله ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفى سنة 55 هـ .

(96) قول النبى صلى الله عليه وسلم للزبير : « فداك ابى وامى » : قاله له حينما اتاه بخبر بنى قريظة ، رواه البخارى فى باب مناقب الزبير بن العوام ، من ابواب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن الزبير . ورواه الامام احمد (1 : 164).

والزبير هو ابن العوام بن خويلد الاسدى ، ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم ، واحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفى سنة 36 هـ .

(97) قول ابى بكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب ، وفى مناقب ابى بكر ، وقاله ابو بكر ايضا للنبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بعد ان جاء وكشف عن وجهه وقبله ، رواه الامام احمد (1 : 5) .

(98) رواه البخارى فى باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب . واخرجه ايضا فى الادب المفرد (رقم الحديث 802) ، والامام احمد (3 : 261) .

وابو طلحة هو زيد بن سهل بن الاسود النجارى الانصارى ، صحابى ، من الشجعان الرماة ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان جهير الصوت ، توفى سنة 34 هـ .

(99) ورافع بن خديج (100) للنبى صلى الله عليه وسلـــــم (101) ، وفى شعر حسان :

فان أبى ووالــده وعرضى   لعرض محمد منكم فداء «389»

وفيه الرد على من لم يجز قول هذا ، وما يحكى من انكاره عن الحسن ، ومن قال بقوله ، وانه لا يفدى احد بمسلم ، وان النبى صلى الله عليه وسلم انما قاله لأن ابويه مشركان . وهذه عائشة رضى الله عنها أبواها مسلمان ، وقد قالته له صلى الله عليه وسلم . وما روى من كراهية عمر لقول القائل لــه جعلنى الله فــداك ، وكراهــة النبى صلى اللــه عليــه وسلـم مثـل ذلك من الزبير من قوله جعلنى الله فداءك يـــا رســول اللــه ،

«389» فداء : س ، وقاء : ز .

---

(99) رواه ابو داود فى كتاب الادب (رقم 5226) ، والبخارى فى الادب المفرد (رقم الحديث 803) ، وكــذا رواه البخارى فى الرقـــاق ومسلم فى الزكاة .

(100) هو الصحابى رافع بن خديـــج بن رافـــع الانصــــارى الاوسى الحارثى ، كان عريف قومه بالمدينة ، وشهد احدا والخندق ، توفى ســنـــــة 74 هـ .

(101) ومما روى ايضا فى تفدية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رواه الامام احمد ان عمر فدى النبى صلى الله عليه وسلم بالاب والام (5 : 355) ، ومــا رواه الامام احمــد ان ابا هريرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك ابــى وامى (2 : 335 ، 355) ، ومــا رواه البخـــارى فى الادب المفرد ان بريدة قال للنبى صلى الله عليه وسلم : جعلت فداك (رقم الحديث 805) ، ومـــا رواه الترمذى فى الشمائـــل ، باب ما جاء فى عيش رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، ان ابا الهيثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيـــه وامـــــه .

وقوله له : ما تركت اعرابيتك (102) بعد : وقد ضعف الطبرى هذه الآثار ، وتأول انكارها ان صحت ، وبجواز ذلك قال هو وغيره .

وفيه من الفقه شكر المرأة احسان زوجها ، وهكذا ترجم أبو عبد الرحمان النسائى على هذا الحديث ، وخرج فى الباب معه حديث ابن عمر : لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها ، الا ترى أم زرع كيف شكرت فعل زوجها بها «390» ، ثم انظر عائشة رضى الله عنها بعد كيف شكرت للنبى صلى الله عليه وسلم واعترفت بأنه خير لها من أبى زرع لأم زرع .

وفيه من الفقه تقريظ الرجل فى وجهه بما فيه اذا علم ان ذلك غير مفسد له ، ولا مغير نفسه ، والنبى صلى الله عليه وسلم مظنة كل مدح ، ومستحق كل ثناء ، وان من أثنى عليه بما أثنى فهو فوق ذلك كله ، وقد ورد فى الاثر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الثناء الا من مكافىء (103) ، قال

«390» بها : ز ، ــ : ك س .

---

(102) روى هذا الاثر عن الزبير الطبرانى كما قال ابن حجر فى فتح البارى ، باب قول الرجل جعلنى الله فداك ، من كتاب الادب .

(103) رواه الترمذى فى الشمائل عن سيدنا على رضى الله عنه فى صفة خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (شرح جسوس 2 : 187) .

القتبى : معناه : الا أن يكون ممن أنعم عليه صلى اللـه عليـه وسلم فيكافئه الآخر بالثناء ، ورد هذا ابن الانبـارى وقـال : هذا غلط ، لا ينفك احد من انعام رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، لأن الله تعالى بعثه للناس كافة ، وهداهم ورحمهم به ، فكلهم تحت نعمته ، والثناء عليه فرض لا يتم الاسلام الا به ، وانما المعنى : لا يقبل الثناء الا من رجل عرف حقيقة اسلامه ممن لا ينبز بنفاق ، وقيل : « مكافىء » مقارب فى مدحه ، غير مفرط فيه ، كما قال عليه السلام : « لا تطرونى كمـا اطـرت النصارى عيسى (104) » .

وفيه من الفقه جواز ترفيـة المتزوج بلفـظ الرفـاء على ما كانت عليه عادة العرب لقوله عليه السلام كنت لك كأبى زرع لأم زرع «391» فى الالفة والرفاء فيستفاد من هذا اللفظ ـ ان لم يصح النهى عنه ـ جواز قوله للمتزوج ، لأنه اذا قاله احد الزوجين لصاحبه فما يمنع أن يقوله الاجنبى لأحدهما ؟ .

وقد اختلف العلماء فى هذا ، فروى جوازه ، قال عبد الملك بن حبيب : واستحبوا تهنئة الناكح والدعاء له ، وكان مما يقال : بالرفاء والبنين ، بارك الله لك ، ولا بأس بالزيادة على هذا من

«391» لام زرع : ز ، ـ : ك س .

---

(104) رواه البخارى عن عُمر ، باب واذكر فى الكتاب مريم ، من كتاب احاديث الانبـياء .

ذكر السعادة وما احب من خير ، وحكى عن شريح انه قال لمتزوج : بالرفاء والبنين (105) ، وكرهه آخرون ، فروى عن عقيل ابن أبى طالب أنه تزوج امرأة فقالوا له بالرفاء والبنين ، فقال قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لكم ، وبارك فيكم (106) » ، ذكره النسائى ، وفى رواية « عليكم » مكان « فيكم » ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم النهى أن يقال للمتزوج بالرفاء والبنين ، حدثناه القاضى أبو عبد الله التميمى وغيره ، قالوا حدثنا أبو مروان بن سراج ، حدثنا أبو القاسم الزهرى ، حدثنا أبو زكرياء بن عائذ قال : حدثنا احمد بن خالد ، حدثنا على بن عبد العزيز ، قال : حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، حدثنا هاشم «392» بن القاسم عن شيخ سماه ، عن الحسن عن عقيل بن ابى طالب

«392» هاشم : ز ك ، هشام : م س .

---

(105) اخرجه ابن ابى شيبة وعبد الرزاق ، كما قال ابن حجر عند باب كيف يدعى للمتزوج ، من كتاب النكاح . وشريح هو ابو امية شريح بن الحارث ، من اشهر القضاة الفقهاء فى صدر الاسلام ، ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية ، توفى سنة 78 هـ .

(106) رواه النسائى والطبرانى كما قال ابن حجر ، ورواه الامام احمد (1 : 201 ، 3 : 451) .

وعقيل هو ابو يزيد عقيل ابن ابى طالب عبد مناف بن عبد المطلب ، الهاشمى القرشى ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صحابى ، فصيح اللسان ، اعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وانسابها ، توفى سنة 60 هـ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم (107) ، واختلف فى توجيهه : فحكى المفضل بن سلمة (108) فى كتابه « الفاخر » فيه وجهين : احدهما أن ذلك كان لأن العرب كانت تعتقد بقولها ذلك اجتماعا لا فرقة فيه ، وهذا ليس كذلك ، والثانى انه كلام ليس فيه ذكر الله ، والله أعلم ، وذكر هذا الحديث الطبرى والخطابى ، قال الطبرى : الا أن الحسن راوى حديث عقيل بن أبى طالب لم يسمع منه ، وقد حدث به غيره فلم يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال الطبرى : والذى اختاره ما صحت به الرواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رفأ الرجل يتزوج قال : بارك الله لك وبارك عليك ، قال : والزيادة غير محظورة ، وقد ذكر أبو داود (109) والترمذى هذا الحديث من طريق أبى هريرة وزاد فيه : « وجمع بينكما فى خير » .

اخبرناه هشام بن احمد الفقيه رحمه الله قراءة عليه ، قال حدثنا أبو على الحافظ ، قال : حدثنا أبو عمر ابن عبد البر ، قال : حدثنا أبو محمد ابن عبد المؤمن ، قال : حدثنا أبو بكر ابن

---

(107) ورواه ايضا الامام احمد (1 : 201 ، 3 : 451) . وللامام احمد روايتان لهذا الاثر ، ذكر كلتيهما فى كلا الموضعين : احداهما ان النهى عن الترفية مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ، والاخرى ان النهى موقوف على عقيل رضى الله عنه .

(108) هو ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، لغوى اديب ، من كتبه « البارع » فى اللغة ، و « الفاخر » فى ما تلحن به العامة ، و « الاستدراك على العين للخليل بن احمد » وغيرها ، توفى نحو سنة 290 هـ .

(109) باب ما يقال للمتزوج ، من كتاب النكاح (رقم 2130) .

داسة ، قال : حدثنا أبو داود السنجى «393» ، حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن سهل «394» ، عن أبيه ، عن أبى هريـــرة ، أن النبى صلى الله عليـــه وسلـــم .... الحديـــث ، وترجم البخارى (كيف يدعى للمتـــزوج) وادخل حديث عبـــد الرحمان بن عوف وقول النبى صلى الله عليه وسلم وقـــد رأى عليه أثر صفرة : ما هذا ؟ قال : انى تزوجت امـــرأة ، قـــال : « بارك الله لك ، أولم ولو بشاة » . وقد روى عن معاذ بن جبل شهد النبى صلى الله عليه وسلم املاك رجل من الانصار فقال : « على الألفة والخير والطيـــر الميمـــون والسعـــة فى الـــرزق ، بارك الله لكم (110) » .

وفيه من الفقـــه جـــواز المـــزح فى الاحايـــين واباحـــة المداعبة مع الاهل ، وبسط الوجه واللسان مع جميـــع النـــاس بالكلام الحلو السهل ، فهو من حسن العشرة وطيب النفـــس ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ، وروى عنه أبو هريرة قال : قالـــوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انك تداعبنا ، قال : انى لا أقـــول الا حقـــا (111) ،

«393» السنجي : ز ، السجرى : ك .
«394» بن سهل : ك س ، عن سهل : ز .

(110) قـــال ابن حجر : اخرجه الطبرانى بسنـــد ضعيف ، واخرجه فى الاوسط بسند اضعف منه ، واخرجه ابو عمـــرو البرقـــانى فى كتاب معاشرة الاهلين من حديث انس ، وزاد فيـــه « والرفـــاء والبنين » ، وفى سنده ابان العبدى وهو ضعيف .
(111) رواه الامام احمد (2 : 340) ، والترمذى فى البر ، وفى باب مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمائل .

ورويت عنه احاديث مشهورة فى ممازحته بـــلالا وأبـــا عميـــر وخواتا وزاهرا وأنسا وعائشة وغيرهم (112) ، وقال لعجوز : ان الجنة لا تدخلها العجوز (113) ، وقال لامـــرأة سألتـــه عن زوجها : أهو الذى بعينه بياض ؟ ، وقال لآخر : لاحملنك على ابن الناقة (114) ، وقال لجابر : فهلا بكرا تداعبها وتداعبك ،

---

(112) روى الترمذى فى بـــاب مـــزاح النبى صلى الله عليه وسلم فى الشمائل عن انس بن مالك قال : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لى صغير : « يا ابا عمير ، ما فعل النغير » ؟ ورواه البخارى فى باب الكنيـــة للصبى وقبل ان يولـــد للرجل ، من كتاب الادب . وابو عمير هو كبشـــة بن طلحة بن زيد ، اخو انس من امه .

وروى ايضا عن انـــس ان النبى صلى الله عليـــه وسلم اتى زاهرا يوما وهو يبيع متـــاعه ، واحتضنـــه من خلفـــه ، ولا يبصره ، فقال (اى زاهر) : من هذا ؟ ارسلنى ، من هذا ؟ فالتفت ، فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يألـــو ما الصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقـــول : « من يشترى هذا العبد » ؟ ، فقال : يا رسول الله ، اذن والله تجدنى كاسدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن عند الله لست بـــكـــاســـــد » .

وروى ايضا عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ذا الاذنين » . يعنـــى يمـــازحـــه . ورواه ابـــو داود (رقـــم 5002) .

(113) قولت تبكى فقال : « اخبروها انها لا تدخلها وهى عجوز » . رواه الترمذى فى الشمائل عن الحسن البصرى مرسلا . وروى الخبر الذى بعد هذا ابن ابى حاتم وغيره ، كما فى شرح الشمائل لجسوس (2 : 34) .

(114) فقال : يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل تلـــد الابـــل الا النـــوق » ؟ . رواه الترمذى فى الشمائل عن انس .

ويروى : تلاعبها وتلاعبك (115) ، فى اخبار معروفة كلها دالة على تواضعه وانبساطه للناس وتحببه ، وقد روى القاسم بن سلام فيما حدثنا به جماعة من شيوخنا باسانيدهم عن عكرمة يرفعه ان «395» النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ، وذلك أن «396» مع المزح والانبساط التحبب والقبول لا سيما مع الأهل والاصحاب ، وقد مدح بمثله الاشراف والكرام ، كما قال الشاعر :

هو الظفر الميمون ان راح أو غدا   به الركب والتلعابة المتحبب

ويحكى مثله عن جماعة من الصحابة والائمة مثل على وابن ثابت وابن سيرين والشعبى وغيرهم ، ولا أعلم احدا منع

«395» ان : ز ك ، الى : م س .
«396» ان : ز ك ، — : س .

---

(115) رواه البخارى فى باب تزويج الثيبات ، من كتاب النكاح ، ورواه ابو داود فى باب فى تزويج الابكار ، ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه . والرواية فى كتب الحديث : « تلاعبها وتلاعبك » ، اما رواية « تداعبها وتداعبك » والتى قدمها القاضى عياض فى الذكر فلم اجدها ، وقد قال ابن حجر عند شرحه لرواية « تلاعبها وتلاعبك » : (زاد فى رواية النفقات « وتضاحكها وتضاحكك » ، وهو مما يؤيد انه من اللعب ، ووقع عند الطبرانى من حديث كعب بن عجرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل فذكر نحو حديث جابر وقال فيه « وتعضها وتعضك » ، ووقع فى رواية لابى عبيدة « تذاعبها وتذاعبك » بالذال المعجمة بدل اللام) . ولم اجد فى العربية « ذاعب ، يذاعب » ، والظاهر ان رواية ابى عبيدة رويت بالمعنى ووقع فيها تصحيف فرويت بالذال المعجمة بدل الدال المهملة ، ولعل رواية « تداعبها وتداعبك » بالدال المهملة قد وقعت للقاضى عياض فى احدى رواياته للحديث ، والله اعلم .

الدعابة «397» مع الاهل والانبساط مع الحامة «398» وأهل البيت ، وقد قال عمر رضى الله عنه : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى ، فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس فى أهله وأزمتهم اذا جلس مع القوم .

وأما ما روى فى ذم المزاح والنهى عنه مثل ما حدثناه القاضى محمد بن اسماعيل ، عن أبى الوليد هشام بن محمد بن مسلمة ، عن ابى محمد ابن النحاس ، عن أبى سعيد ابن الاعرابى ، عن محمد بن عبد الله الحضرمى ، حدثنا ابن نمير ، حدثنا المحاربى ، عن ليث ، عن عبد الملك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تمار أخاك ولا تمازحه (116) » ، وحدثنا احمد بن محمد الخولانى اجازة ، عن ابى عمر الطلمنكى ، عن احمد بن عون الله ، عن ابى سعيد ابن الاعرابى ، عن أبى داود ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمان ، حدثنا شعيب بن اسحاق ، عن ابن أبى ذئب ، عن عبد الله بن السائب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه جادا لاعبا (117) » ، وقول عمر بن عبد العزيز : اياك والمزاح

«397» الدعابة : م س ، المداعبة : ز ك .
«398» « الحامة » : كذا بالاصول ولعله تصحيف ، ولعل الصواب : « الخاصة » .

(116) ورواه الترمذى فى البر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(117) رواه ابو داود فى باب من يأخذ الشىء على المزاح ، من كتاب الادب ، (رقم 5003) والامام احمد (4 : 221) .

فانه يجر القبيحة ، ويورث الضغينة ، وقول خالد بن صفوان : المزاح سباب النكى ، فليس هذا من المزاح المحمود المباح ، فان ما يهيج الضغائن ويعد من السباب والكذب أو يتسلط «399» به على عرض رجل أو ماله فليس هو من المزاح المحمود ، ولا هو من جنس ما مازح «400» به النبى صلى الله عليه وسلم ، فانه ليس فى «401» مزاح النبى صلى الله عليه وسلم شىء زائد على خفض الجناح ، وبسط الجانب ، وجلب التودد ، ومن ذهب الى أنه يسقط الهيبة كما قال اكثم بن صيفى فلعله فى الاكثار منه ، والتخلق به ، حتى يؤدى الى سقوط المروءة واستشعار سمة السخف والمجانة ، وانما المحمود منه ما قل وندر ، واستجمت به النفس عند كلالها ، كما قدمناه فى أول الكتاب وبيناه ، أو بسطت به «402» نفس الغير عند انقباضها كما شرحناه ، وقد قال أبو الفتح البستى :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة يجم ، وعلله بشىء من المزح

ولكن اذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطى «403» الطعام من الملح

وأما قول من قال : انما سمى المزاح

«399» يتسلط : س ، تسلط : ز ك .
«400» مازح : ز س ، مزح : ك .
«401» فى : ز ك ، من : م س .
«402» به : ز ك ، له : م س .
«403» تعطي : ز ك ، يعطى : م س .

مزاحا لأنه زاح عن الحق ، فلا يصح لفظا ولا معنى ، أما المعنى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا ، وأما اللفظ فان «404» الميم فى المزاح أصلية ثابتة فى الاسم والفعل ، ولو كان أصله كما قال كانت زائدة ساقطة من الفعل ، وأنشد أبو عبيد فى ذمه لبعضهم ٠

أما المزاحة «405» والمراء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق

انى بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاور جارا ولا لرفيق

وانشدت أنا فى هذا المعنى مما قلته قديما ، وهو من المتشابه القوافى :

اذا ما بسطت بساط انبساط
فمنه «406» فديتك فاطو المزاح

فان المزاح كما قد رآه «407»
أولوا العلم قبل عن الحلم زاحا

وفيه من الفقه ان المشبه بالشىء لا ينزل منزلته فى كل شىء ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد شبه نفسه النفيسة فى

«404» فان : ز س ، فلأن : م .
«405» المزاحة : ك س ، المزاح : ز ، ولعل الصواب الاول لضرورة الوزن .
«406» فمنه : ز م س ، فعنه : ك .
«407» رآه : س ، راى : ز ك .

صحبة «408» عائشة رضى الله عنها بأبى زرع ، ومن فعل أبى زرع معها الطلاق ، فلم يكن لازما ، ولو أن رجلا ذكر امرأة له قد طلقها فوصفها لزوجة أخرى له بأوصاف كثيرة جيدة أو رديئة ، ثم ذكر انه طلقها ، ثم قال للاخرى : وانت مثلها ، ولم ينو مثلها فى الطلاق ، لم يلزمه الطلاق ، وحمل على مراده فى التشبيه «409» لها فيما تقدم ذكره ، ولم يلزمه طلاق حتى ينوى مثلها فى الطلاق ، أو يكون لم يذكر شيئا من الاولى سوى الطلاق ، مثل أن يقول : فلانة طالق أو قد طلقتها أو فلان طلق زوجه فلانة ، ثم يقول لزوجة له أخرى : وانت مثلها ، فهذا يلزمه الطلاق نواه أو لم ينوه اذا قامت عليه باللفظ بينة ، اذ لا احتمال لقوله سوى الزام الطلاق .

تنبيه : ذكر بعض من تكلم على معانى الحديث ان فى هذا الحديث من الفقه قبول خبر الواحد ، قال : لان أم زرع أخبرت بما أخبرت فامتثله النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الفقيه القاضى رضى الله عنه :

هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد ولا قبوله ، والنبى صلى الله عليه وسلم لا نقول انه امتثل حال أبى زرع فى احسانه لام زرع ، بل قد كان كذلك ، وانما أخبر عائشة أنه لها مثل أبى زرع لأم زرع ، الا تراه كيف قال : « كنت لك »

«408» صحبة : ز س ، صحبته مع : ك .
«409» فى التشبيه : س ، من التشبيه : ز .

فاخبر عن حالة «410» كائنة ثابتة ، وان كان انما تأسى بشيمة أبى زرع ، كما قال المهلب قبل ان فيه التأسى بأهل الاحسان من كل أمة ، فليس هذا من باب قبول خبر الواحد ، لان التأسى بمحاسن الاخلاق شيمة أهل الفضل ، وامتثال محاسن السير من شمائل «411» اولى العدل «412» ، وخبر الواحد من باب آخر ، مأخذه ومستنده الى صاحب الشرع ، وقبوله وامتثال مقتضاه حكم طريقه عند أهل التحقيق القطع ، وفيما المعنا به من القول كفاية لا يحتمل أكثر منها الوسع .

«410» حالة : ز س ، حال : م ك .
«411» شمائل : ز م ك ، شيم : س .
«412» العدل : س ، العقل : ز .

بيان

ونحن الآن نفى بما وعدنا به من ذكر ما اشتمل عليه هـذا الحديث من ضروب الفصاحة ، وفنون البلاغـة ، والابـواب الملقبة بالبديع فى هذه الصناعة ، من لفظ رائق ، ومعنى فائق ، ونظم متناسب ، وتأليف متعاضد متناسق ، وبالجملة فكلام هؤلاء النسوة فى الروايات المشهورة «413» من الكـلام الفصيـح الالفـاظ ، الصحيـح الاغـراض ، البلـيـغ الـعـبـارة ، البديع الكنـاية والاشارة ، الرفيع التشبـيـه والاستعـارة ، وبعضهن أبلغ قولا ، واعلى يدا وأكثر طولا ، وأمكـن قـاعدة وأصلا ، وكلام بعضهن أكثر رونقـا وديباجـة ، وأرق حاشية وأحلى مجاجة ، وبعضهن أصدق فى الفصاحة لهجة ، وأوضح فى البيان محجة ، وأبلغ فى البلاغة والايجاز حجة ، فانت اذا تأملت كلام أم زرع وجدته مع كثرة فصوله ، وقلة فضولـه ، مختـار الكلمات ، واضح السمات ، بين «414» القسمات ، قـد قدرت الفاظه قيس معانيه ، وقررت قواعده وشيدت مبانيه ، وجعلت

«413» فى الروايات المشهورة : ز ، ـــ : م ك س .
«414» بين : م س ، مجلو : ز ، نير : ك .

لبعضه فى البلاغة موضعا ، وأودعته من البديـــع بدعـــا ، واذا لمحت كلام التاسعة صاحبة العماد والنجاد والرمـــاد ، الفيـــتها لأفانين البلاغة جامعة ، ولعلم البيان رافعة ، وبعصـــا الايجـــاز والقصد قارعة ، واعتبر كلام الاولى فانه مع صدق تشبـــيهه ، وصقالة وجوهه ، قد جمع من حسن الكلام أنواعا ، وكشف عن محيا البلاغة قناعا ، وقرن بين جزالة الالفاظ «415» وحـــلاوة البديـــع ، وضم تفاريـــق المناسبـــة والمقابلـــة ، والمطابقـــة والمجانسة ، والترتيب والترصيع ، فاما صدق تشبيـــهها فعلى ما شرحناه قبل ، والتشبيه احـــد أنـــواع «416» البلاغـــة ، وابدع أفانين هذه الصناعة ، وهو موضـــوع «417» للجـــلاء والكشف ، والمبالغة فى البيان والوصف «418» ، والعبارة عن الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقيـــر بالخطيـــر ، والشىء بما هو أعظم منه وأحسن ، أو أخـــس وأدون ، وعـــن القليل الوجود بالمألوف المعهود ، وكل هذا لتـــأكيـــد البيـــان ، والمبالغة فى الايضاح ، فانظر أين قول القائل : الذيـــن كفـــروا أعمالهم لا ينتفعون بها من قوله تعالى (الذين كفـــروا اعمالهـــم كسراب بقيعة «419») الآية ، وتأمل بون مـــا بين الموضعين من البيان ، وفرق ما بين الكلامين فى «420» الايضـــاح ، وان

«415» الالفاظ : م س ، اللفظ : ز ك .
«416» انواع : س ، ابواب : ز .
«417» موضوع : ز ، موضع : س .
«418» الوصف : س ، الرصف : ز .
«419» سورة النور ، الآية 39 .
«420» فى : ز ك ، من : م س .

كان الغرض واحدا والموضوع سواء ، وكذلك قول امرأة : زوجى بخيل لا يوصل الى شىء مما عنده ، وبين كلام هذه المرأة المتكلم عليه ، ووجه بلاغة التشبيه ما فيه من الجلاء والايضاح ، كما قدمناه ، وأكثر تشبيهات الكتاب العزيز من هذا النمط ، كقوله تعالى (مثل نوره كمشكوة فيها مصباح «421») الآية ، و (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء «422») الآية ، أو لما فيه من المبالغة والغلو ، وهو من أبواب البلاغة ، ومرجعه الى البيان والايضاح ، كتشبيه الشىء بما هو أعظم منه وأكبر ، نحو قوله تعالى (وله الجوار المنشئات فى البحر كالاعلام) «423» ، أو أفضل منه واحسن ، كقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) «424» ، أو أحقر منه وأدون ، كقوله (كمثل الكلب) «425» الآية ، أو لما فيه من التخريج والتوليد لغريب الشبه ومخيلة «426» المثال ، وهو وجه بلاغته ، كقول المعرى فى كف الثريا :

كان يمينها سرقتك شيئا ومقطوع على السرق البنان

وقد يقع تشبيه الشىء بالشىء تشبيها مجردا ، لضرب من الشبه ، ليس فى شىء من الابواب المتقدمة ، كقول امرىء القيس :

«421» سورة النور ، الآية 35 .
«422» سورة يونس ، الآية 24 .
«423» سورة الرحمن ، الآية 24 .
«424» سورة الرحمن ، الآية 58 .
«425» سورة الاعراف ، الآية 176 .
«426» مخيلة : س ، تحلية : ز .

كان قلــوب الطيــر رطبــا ويــابســا
لدى وكرهــا : العناب والحشف البــالى

لكنه يلحق بنوع التوليد والتخريج ، الذى بلاغته الفطنــة لادراك التشبيه لا غير وصدقه فيه ، وان كان لبعضهم فى هــذا البيت مقال لا ارتضيه ، ولا بد أن يكون التشبــيه صادقــا من الوجه الذى وقع به التشبيه ، والا اختــل بــه الكلام ، وهــذه المرأة قد شبهت بخل زوجها ، وانه لا ينال ما عنده ، مع شراسة خلقه ، وكبر نفسه ، بلحــم الجمل الغــث ، على رأس الجبــل الوعث ، فشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل ، وبعد خيره ببعد اللحم على رأسه ، والزهد فيما يرجى منه لقلته وتعذره بالزهد فى لحم الجمل الغث ، فاعطت التشبيه حقــه ، ووفتــه قسطه ، وهذا من تشبيه الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، والحقير بالخطير ، ومما جاء فى كلام صواحبها من التشبيه قول الثالثة : « أنــا منه «427» على مثل حد السنان المذلــق » ، فصدقت التشبيه لأنها اخبرت ان حالها معه من الخوف وعدم الاستقرار كمن هو على مثل حد السنان المحدد : اما أن تحيد عنه فتهلــك سقوطا ، أو تثبت فيهلكها ، فبينت بهذا التشبيه قولها قبل « ان اسكت اعلق ، وان انطــق اطلــق » ، وكذلــك وجــه «428» تشبيه الاخرى زوجها بليل تهامة ، وغيث غمامة ، وهذا كله من تشبيه الخفى بالجلى ، والمتوهم بالمحسوس ، وهو من بــاب المبالغة والغلو ، ومثل هذا قــول أم زرع « مضجعــه كمســل

«427» انا منه : ز ، ــ : م ك س .
«428» وجه : ز ، ــ : م ك س .

شطبة » ، فهو من باب الغلو ، الى سائر ما عندهن من التشبيهات ، فكلها حسان بينات ، قد تقدم الكلام عليها في مواضعها ، وقول الثامنة « المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » تشبيه أيضا ، ولكن بغير أداة التشبيه ، فان التشبيه على ضربين : بأداة وهي الكاف وكأن ومثل وشبه واخواتها ، وبغير أداة التشبيه ، ومثله قول أم زرع « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » على تأويل انهما النهدان ، ومثله قول الرابعة « والغيث غيث غمامة » ، فهذا تشبيه بغير آلة التشبيه ، كقوله تعالى : « تمر مر السحاب «429» » وكقول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها   سمو حباب الماء حالا على حال

ثم انظر حسن نظم كلامها وتطارده ، واخذه حقه من المؤالفة والمناسبة في الالفاظ ، التي هي رأس الفصاحة ، وزمام البلاغة ، فانها وازنت الفاظها ، وماثلت كلمها ، وقدرت فقرها ، وحسنت اسجاعها ، فوازنت في الفقرة الاولى لحم برأس في الثانية ، وجمل بجبل ، وغث بوعث ، في الرواية الواحدة ، و « قحر » « بوعر » ، في الرواية الاخرى ، فافرغت كل فقرة في قالب أختها ، ونسجتها على منوال صاحبتها ، ومن هذا الباب في القرآن العزيز في حسن التأليف ومناسبة الالفاظ ومقابلة الكلمات كثير ، كقوله تعالى : (اذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور «430») وقوله : « فاثرن به نقعا ،

«429» سورة النمل ، الآية 88 .

«430» سورة العاديات ، الآية 9 — 10 .

فوسطن به جمعا «431» » على أن هذا داخل فى باب الترصيع ، ومنه قول السادسة « ان أكل اقتف ، وان شرب اشتف ، وان هجع التف » ، وقول الخامسة : « ان خرج اسد ، وان دخل فهد » ، وقول الرابعة : « لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سئامة » ، وقول الثامنة « المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب » ، فهذا كله من حسن النظم ، ومناسبة اللفظ ، وهو باب آخر من البديع يسمى المناسبة ، ومنه قول التاسعة « رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد » ، فكل لفظة على وزن صاحبتها ، وكقول أم زرع « أناس من حلى اذنى ، وملأ من شحم عضدى » ، وقولها « صفر ردائها ، وملء كسائها » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه لعائشة : « فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء » ، وقولها « ارقد فاتصبح ، واشرب فاتقمح ، وآكل فاتمنح » ، وقول العاشرة « قليلات المسارح ، كثيرات المبارك » .

وفى كلام الاولى نوع ثالث من البديع يسمى « الترصيع » ، وقد يسمى بالموازنة وبالتسميط وبالتضفير وبالتسجيع ، وهو أن تتضمن الفقر أو بيت الشعر مقاطع اخر بقوافى متماثلة ، غير فقر السجع وقوافى الشعر اللازمة ، فيتوشح بها القول ، وينفصل بها نظم اللفظ ، كما أتت هذه « بجمل » فى وسط الفقرة الاولى ، و « جبل » فى وسط الفقرة الاخرى ، ففصلت بذلك الكلام ، على حد من المقابلة ،

«431» سورة القارعة ، الآية 4 — 5 .

أثناء السجعين اللذين «432» هما « غث ووعث » ، فجاء لكل فقرة سجعان متماثلان متقابلان ، ومثله قول أم زرع فى احدى الروايات « لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تغث طعامنا تغثيثا » ، فان التزام الثاء فى « تبث وتنقث وتغث » ترصيع لمقاطع اسجاع هذه الفقر ، وقول الثامنة « شجك أو فلك أو بجك أو جمع كلا لك » ، ومنه فى الحديث قول على رضى الله عنه : « انه انقى لثوبك ، وأتقى لربك » .

وفى طيه باب رابع من البديع ، وهو مجانسة جمل بجبل ، وهو ان لم يجانسه فى كل حروفه فقد جانسه فى اكثرها ، وقد اختلف أرباب البلاغة والنقد فى هذا النوع اذا لم يكن مشتقا من أصل واحد : فسماها بعضهم « مجانسة » تغليبا للاكثر . واما أبو الفرج قدامة فسمى هذا النوع «مضارعة » ، وهذا مثل قول أم زرع أيضا « رجلا سريا ، ركب شريا » وقولها « بيتها فساح ، وفناؤها فياح » ، وقول الثانية « عجره وبجره » ، وقول أم زرع « تعشيشا وتغشيشا » ، وأما التجنيس الحقيقى فهو أن يكون فى الكلام لفظتان احداهما مشتقة من الاخرى ، كقوله تعالى « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم «433» »

«432» السجعين اللذين : ز م ، السجعتين اللتين : س ، السجع الذي : ك

«433» سورة التوبة ، الآية 127 .

و « يمحق الله الربا ويربى الصدقــات » «434» ، أو بمنــزلة المشتق كقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والابصــار) «435» وقوله (واسلمت مع سليمان) «436» وقولــه صلى الله عليــه وسلم : (اسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله) (118) ، وقال امرؤ القيس :

لقــد طمــح الطمــاح من بعد أرضــه

فى أمثلة كثيرة ، أو تكون لفظتــان على صيغــة واحدة ، مختلفة المعانى ، كقوله عليه السلام : (الظلــم ظلمات يــوم القيامة) (119) ، ومن قول من تقدم فيه قول الافوه الاودى :

واقطع الهوجل مستأنسا بهوجل عيرانــة عنتريس

وقريب من هذا الباب قوله تعالى (وجوه يومئــذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) «437» ، وولع المحدثون والمتأخرون بعد بــه «438» حتى اكثروا منه ، فمن مقصر ومجيد ، كقول البستى :

سمى وحمى بنى سام وحام فليس كمثله سام وحــام

وقــول الــطــائــى :

ان الصفائح منك قد نضدت على ملقى عظام لو علمت عظام

«434» سورة البقرة ، الآية 276 .
«435» سورة النور ، الآية 37 .
«436» سورة النمل ، الآية 44 .
«437» سورة القيامة ، الآية 22 — 23 .
«438» بعد به : ز م ، بعذ به : س .

(118) رواه البخــارى والترمذى فى المنــاقب ، ومسلــم فى فضائــل الصحابة ، والدارمى فى السير ، والامام احمد عن ابن عــمر (2 : 20) .
(119) رواه مسلم فى البر ، والامام احمد عن ابن عمر (2 : 92) .

وقـــول الـــخـــطـــابـــى :

وكـــان عقـــابى فى سلـــوك عـــقـــاب

وكان ابو الفتح البستى يسمى مـــا كان على صيغة بيـــت الافوه بـــ (المتشابه) ، واخترع قـــوم من المتأخرين أنواعـــا غريبة سموها (تجنيس التركيب) كقول المعرى :

مقاليـــتا مقاليـــتـــا . ومطايـــا مطايـــا

وهو نوع متكلف من غير حدود البلاغة ، ولكن ربما يندر منـــه المستحسن ، كقول الميكالى «439» :

تمت محاسنه فما يزرى بهـــا   مع فضلـــه وسخائه وكمالـــه
الا قصور وجـــوده عن جوده   لا عون للرجل الكريم كمالـــه

وقول البستى : فهل لمنهاجى من هاجى ، وقوله : فدعنى فـــان يقينى يقينى ، وقول الآخر :

الى أجـــلى مشى قدمـــى   أرى قدمى أراق دمـــى

والحقوا به أيضا (تجنيس التصحيـــف) ، وهو مشاركـــة «440» صورة الحرف فى الخط دون اللفظ ، وهذا لا يدخـــل فى باب البلاغة المستجادة ولا المتكلفـــة أصـــلا ، ولا فى شىء من حدود الكلام ولا «441» صناعته ، اذ لا يقرع السمع منـــه لهجة ، ولا يقوم له فى النطق حجة ، وقد رأيـــت ابـــا منصور

«439» الميكالي : ز ك ، المكيالي : س .
«440» مشاركة : س ، مشاكلة : ز .
«441» ولا : س ، ولا فى : ز .

الثعالبى قد عد هذا الباب فى باب «442» التجنيس ، وذكر فيه قوله تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنـــون صنعــا) «443» واشباها لهذا من الكلام ، وليس عندى من هذا الباب ، وهـــو من الباب الاول الذى سماه قدامة بالمضارعة ، وهو التجنيس فى أكثر الكلمة أو بعضها ، وذكر فى هذا الباب قول بعضهم : النار فى الفتيلة كالتعادى للقبيلة ، وقول بعضهم : الصب مع الضب ، وسجــف وسخــف ، وصجـــاصــح وضحـــاضــح ، وشبه هذا ، فلم يحسن هذا ، ولم يقل شيئــا لاجــل صـــورة الحروف ، اذ لاحظ لهذا كما قلنـــاه فى الفصاحة ، ولاحظ له من التجنيس ، وانما حسن لوزن الكلمتين ، واتفـــاق أواخرهمـــا ، وقرب مخـــارج أوائلهمـــا وأواسطهمـــا ، فهـــذه هى أنـــواع التجنيس ، الا أن قدامة بن جعفـــر كان يسمى اتفـــاق صيغتى اللفظ باختلاف المعنى الذى من جنس بيت الافـــوه بالطبـــاق ، والناس كلهم على خلافه ، وقد رد قولـــه هذا الاخفش وابـــو القاسم الآمدى وغيرهما ، وحكوا أن مذهب الخليل والاصمعى خـــلافــــــه .

ثم أتت هذه المرأة فى كلامها بنوع خامس من البديـــع ، وهو المسمى بالمطابقة عنـــد الجمهور ، وهـــو مقابلـــة الشىء بضده ، فقابلت الوعر بالسهل ، والغـــث بالسمين ، فى الفقرتين الاخيرتين ، وهو مما يحسن الكلام بمقابلته ، ويروق بمناسبته ، لا خلاف بين ارباب النقد فى ذلك ، وانما اختلـــفوا فى تلقيبـــه ،

«442» فى باب : س ، من باب : ز .
«443» سورة الكهف ، الآية 104 .

فكان قدامة يخالف فيه أيضا ، ويسمى هـذا (المتـكافىء) ، وخالفه فى هذا الجميع ، ولا يكون هذا النوع عنده متكافئـا الا اذا كانت الكلمة وضدها الحقيقى ، كما وقع هاهنـا من مضادة السمن للهزال والسهولة للوعورة ، ومثل السواد مع البياض ، والنطق مع السكوت ، فاما اذا لم يكن له بضد حقيقى ، ولا جاء معه على طرفى نقيض بين ، ولكن على حـد مـا من التقـارب كالبياض مع الحمرة ، والسواد مع الضوء ، فبعضهم يجعـله (طباقا) ، وبعضهم يسمى الاول بطباق محض ، وهذا بطباق غير محض ، وبعضهم يسمى هذا (مخالفا) ، والاول (مطابقا) ، ومن الباب الاول قول الله تعالى (ان ينصركم الله فـلا غالب لكم ، وان يخذلكم) «444» الآية ، وقوله تعالى (تحسبـهم جميعا وقلوبهم شتى) «445» ، وقول النبى صلى الله عليـه وسلم لعائشة فى هذا الحديث (فى الالفة والرفاء ، لا فى الفرقة والخلاء) ، فطابق الالفة بالفرقة ، التى هى ضدهـا ، والرفـاء بالخلاء ، ومثله قول أم زرع (صفر ردائها ، وملء كسائها) ، فصفر ضد ملء ، ومثله قول الثالثة (ان انطق اطلق ، وان اسكت اعلق) ، فطابقت انطق باسكت الذى هو ضده ، وقـول الرابعة (لا حر ولا قر) ، وقول الخامسة (ان دخل فهـد ، وان خرج أسد) ، فدخل وخرج طباق فى اللفظ ، وأسد وفهد طبـاق من جهة المعنى ، ولكنـه لا يسمـى طباقـا ويسمـى مقابلـة ، ومنه قول العاشرة (كثيرات المبـارك ، قليـلات المسارح) ،

«444» سورة آل عمران ، الآية 160 .
«445» سورة الحشر ، الآية 14 .

ومثال الوجه الثانى مقابلة وعث ـ على رواية من رواه ـ بسهل ، وانما ضد وعث الصلب أو اللبد ، وضد السهل الوعر أو الحزن ، وان كان قد روى أيضا (ليس بلبد) ، وهذا ضد (وعث) فيكون طباقا حقيقيا ، ومن هذا الباب قول أم زرع (اشرب فاتقمح ، وآكل فاتمنح) ، فجاءت بالاكل والشرب لتقاربهما وتناسبهما ، وكذلك قولها (تشبعه ، وترويه) ، وقولها (ملء كسائها ، وصفر ردائها) ، فجاءت بالرداء والكساء لمناسبتهما ، وقول السادسة (ان أكل ، وان شرب) .

وفى كلام هذه المرأة اعنى الاولى من الفصاحة وفنون البلاغة نوع سادس من البديع ، وهو حسن التفسير ، وغرابة التقسيم ، وابداع حمل اللفظ على اللفظ ، والمعنى على المعنى ، فى المقابلة والترتيب ، وذلك فى قولها (لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقى) ، فانها فسرت ما ذكرت ، وبينت حقيقة ما شبهت ، وقسمت كل قسم على حياله ، وفصلت كل فصل من مثاله ، وجاءت للفقرتين الاوليين بفقرتين مفسرتين ، وقابلت (لا سهل فيرتقى) بقولها (لا سمين فينتقى) ، وهذا يسمى (المقابلة) عند أهل النقد ، لا سيما على رواية وقعت فى النسائى ، بتقديم (لا سمين) ، فيكون أول تفسير لأول مفسر ، وهو قولها : (كلحم جمل) ، والثانى للثانى ، فحملت اللفظ على اللفظ ، وردت المقدم الى المقدم ، والمؤخر الى المؤخر ، فتقابلت معانى كلماتها ، وترتبت ألفاظها ، ومثاله

قوله تعالى (لا فيها غول ، ولا هم عنهـا ينزفون) «446» ، علـى مـا قـدمنـاه أول هـذا المجـمـوع ومـثـالاتـه بما يغنى عن اعادته ، ولا أعلـم فى كلام صواحبها له مثـالا ، الا فى التفسير من قول الرابعة (زوجى كليل تهامـة ، لا حـر ولا قر ، ولا مخافة ولا سآمة) ، فانهـا أجـادت التفسيـر ، وحسنت التعبير ، بـل «447» قوله صلى الله عليـه وسلـم لعائشة (كنت لك كأبى زرع لأم زرع ، فى الالفـة والرفـاء ، لا فى الفرقة والخلاء) من هذا .

ومما فى كلام هذه المرأة من بديع البلاغة نوع سابع ، وهو التزام ما لا يلزم فى سجعهـا ، وبعضهم يجعلـه احـد انـواع الترصيع فى قولهـا (فيرتقى ، وينتقى) ، فالتزمت القاف والتاء فى كل سجـع قبل القافية ، وقافيـة سجعها الألف المقصورة ، وكذلك قولها فى الرواية الاخرى « ينتقل ، ويتوقل » ، فقافيتهـا اللام والتزمت قبلها القاف ، وهذا نوع زيادة فى تحسين الكلام وتماثله ، واغراق فى جـودة تشابهـه وتناسبـه ، ولهـذا فى الاسجاع والقوافى طلاوة وديباجة ، يشهد الطبع لـه ، ويجده الذوق ، وعلته المشابهة والمناسبة لا سيما عند المقاطع وفصـل الكلام ، وهو موجود للمتقدمين نظما ونثرا ، وأولع به المتأخرون ولوعا كثيرا ، فمن مجيـد ومقصر ، وبالجملة فـلا يحسن منـه ومن جميع ما مخضنا «448» القول عنه الا مـا ساقه الطبع ،

«446» سورة الصافات ، الآية 47 .
«447» بل : ك ، بلى : ز س .
«448» مخضنا : ز م ، محضنا : ك ، حصلنا : س .

وقذف به الخاطر ، دون تكلف ولا مقاساة «449» ، ووجد لفظه تابعا لمعناه ، منقادا له ، موضوعا عليه ، غير مرغم فيه «450» ، ولا منافر له ، وقد جاء من مليح الالتزام فى كتاب الله تعالى فى فواصله ومقاطع آياته مـــا لا شىء فى الحسن والفصاحة وقـــلة التكلف مثله ، كقوله تعالى (والطور، وكتاب مسطور) «451» و(فلا اقسم بالخنس ، الجوار الكنس) «452» (والليل وما وسق ، والقمر اذا اتسق «453») و « فاما اليتيم فلا تقهـــر ، وأمـــا السائل فلا تنهر «454» و (أمرنـــا مترفيها ، ففسقوا فيهـــا) «455» » و « ما انت بنعمة ربك بمجنون ، وان لك لأجرا غير ممنون «456» » وقوله (فاذا هم مبصرون ، واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » «457» وقوله (كلا اذا بلغت التراقى ، وقيل من راق ، وظن أنه الفـــراق ، والتفت الساق بالساق ، الى ربك يومئذ المساق) «458» ، فى اشياء كثيرة ، والقرآن منزه عن أن يقال انه مسجع ، أو على اسلـــوب من اساليـــب كـــلام العرب ، ولكن الفاظه عربيـــة ، وبلاغته جامعة لمحاسن البلاغة ، معجزة بانفرادها ، على الصحيح من اقوال أهل الحق ، ومثالــه

«449» مقاساة : ز م س ، معاناة : ك .
«450» فيه : ز ك ، له : س ، له فيه : م .
«451» سورة الطور ، الآية 1 — 2 .
«452» سورة التكوير ، الآية 15 — 16 .
«453» سورة الانشقاق ، الآية 17 — 18 .
«454» سورة الضحى ، الآية 9 — 10 .
«455» سورة الاسراء ، الآية 16 .
«456» سورة القلم ، الآية 2 — 3 .
«457» سورة الاعراف ، الآية 202 — 203 .
«458» سورة القيامة ، الآية 26 — 30 .

من كلام صواحبها قول أم زرع (واشرب فاتقنح ، وآكل فاتمنح) ، وقولها فى وصف ابنه (الجفرة ، ثم اليعرة ، ثم النثرة) وقولها أيضا فى وصف الخادم فى بعض الروايات (ولا تغش طعامنا تغشيشا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا) ، وقولها (رجلا سريا ، ركب شريا) ، ثم ذكرت بعد ذلك (ثريا) ، وقول السابعة (شجك ، أو فلك ، أو بجك ، أو جمع كلا لك) ، وقول السادسة (اقتف ، والتف ، واشتف) ، وقول الثامنة (أرنب ، وزرنب) ، فروى سجعها الباء ، والتزمت قبلها حرفين الراء والنون ، وجاء فى كلام التاسعة (مالك ، وذلك ، ثم مهالك ، وهوالك) فالتزمت اللام فى أكثر سجعها ، وفى كلام الثالثة (اطلق ، واعلق ، ومذلق) فالتزمت اللام المشددة قبل قاف سجعها ، ومثل هذا الالتزام هو المحمود ، لما فيه من عدم الكلفة .

وفى قول هذه الاولى أيضا نوع ثامن من البديع يسمى (الايغال) ، ويسميه قوم (بالتبليغ) ، وهو ان يتم كلام الشاعر قبل البيت ، أو الناثر قبل السجع ان كان كلامه مسجعا ، أو قبل الفصل والقطع «459» ان لم يكن كذلك ، فيأتى بكلمة لتمام قافية البيت ، أو السجع ، أو مقابلة الفصول والقطع ، يفيد معنى زائدا كقول امرىء القيس :

كان عيون الوحش حول خبائنا . البيت (120)

«459» والقطع : ز ك ، والمقطع : م س .

---

(120) وتمام البيت :

وارحلنا ، الجزع الذى لم يثقب

فشبه عيون الوحش بالجزع ، فتم قوله ، ثم قال : الذى لم يثقب ، فزاده كمالا ، وقول ذى الرمة : رسوما كاخلاق الرداء ، فتم ، ثم قال : المهلهل ، فافاد اغياء ، فكذلك هذه لو اقتصرت على تشبيه زوجها بلحم جمل ، على رأس جبل ، لاكتفت ببعد مناله ، ومشقة الوصول اليه ، والزهد فيه ، وهو غرضها ، لكنها زادت بسجعها (غث ، ووعث) معنيين بينين ، وبالغت فى القول ، وافادت بزيادتهما التناهى فى غاية الوصف ، وكان من هذا الباب قوله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية «460») وقوله (كعصف مأكول) «461» ، فخاوية ومأكول ضرب من الايغال ، ومنه قوله تعالى (كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة) «462» ، فان التشبيه اكتفى بقوله (حمر مستنفرة) ، وانتهى : مستنفرة ، فلما قال (فرت من قسورة) بالغ فى وصف النفار ، وأوغل فى الاغياء فيه بذلك ، ومثله قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) «463» ، وقوله (فجعلناه هباء منثورا) «464» ، فان (القديم ، ومنثورا) افادا زيادة فى الوصف بعد اكتفاء المعنى بما تقدم قبل واستقلاله .

وفى قول الثالثة — سوى ما تقدم ذكرنا له فى كلامها وكلام الثانية والرابعة من مناسبة ومطابقة والتزام وتشبيه — اشارة الى الاستعارة بقولها (اعلق) ، فان الشىء المعلق ليس

«460» سورة الحاقة ، الآية 7 .
«461» سورة الفيل ، الآية 5 .
«462» سورة المدثر ، الآية 50 — 51 .
«463» سورة يس ، الآية 39 .
«464» سورة الفرقان ، الآية 23 .

بمطمئن الثبوت والقرار فى السفــل ولا فى العلــو ، وهــو بين الحالين ، ولهذا قيل : علقت هذا الامر ، أى تركتــه مــرددا بين الامضاء والترك ، وقيل للمرأة اذا لم تكن مطلقــة ولا مراعــاة الصحبة (معلقة) تشبـيهــا بالشىء المعلــق ، والاستعارة فى الحقيقة نوع من التشبيه ، الا انها قد انفصلت عنه فى الصيغة واللقب ، وقد فصل أبو الحسن الرمانى بينهما بأن التشبيه لــه أداة ، يريد حروف التشبيه ، ولا اداة للاستعارة ، والحق مــا قال غيره : ان الفرق بينهما غير هذا ، اذ قد يكــون التشبيــه بأداة وبغير أداة ، بل ان التشبيه مبقى على وضعه ، ممثل به ، والاستعارة منقولة عن موضوعها ، مستعملة استعمال غيرهــا للابانة ، وقد اشار الى هذا الرمانى ايضا ، والاستعارة باتفاق من أهل البلاغة ارفع درجات البديع ، واعلــى محاسن الشعر ، وآنق منظر الكلام ، واعجب تصرفات البليغ ، ولهــا موقــع فى الابانة لا يقعه سواها ، ومنزع فى الايجاز والاختصار لا يوجد فى غير بابها ، فانظر ما بين قولك : كثر شيــب رأسى ، وقولــه تعالى « واشتعل الرأس شيبا » «465» ، وبين قولك : تذلــل لهما ، وقوله « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » «466» ، وبين قولك : انتشر ضوء الفجر حتى غابت النجوم ، وقول ذى الــرمــة :

ولــف الثــريــا فى مــلاءتــه الفجــر

وبين قولك : فرس سابق الاوابــد حتى كأنها مقيــدة لــم

«465» سورة مريم ، الآية 4 .
«466» سورة الاسراء ، الآية 24 .

تسابقــه ولا جرت معه حين جرى ، من قول امرىء القيــس :
« قيد الاوابد هيكل » «467» ، وكذلك انظــر قــول التاسعــة
(رفيع العماد) على من جعله الحسب ، أين هو فى باب «468»
البلاغة من قولها لو قالت : زوجى حسيب أو شريف ، وانظــر
ايجاز قولها (أيقن أنهن هوالك) وما تحته من المبالغة فى كثرة
نحره ، واستمرار عادته ، وجلاء ما قصدته من ذلك باستعارتها
لهن اليقين ، وما بينه وبين قولها لو قالت : اذا ضرب المزهــر
نحــرن ، واذا «469» كانت المعــانى فى هذا كلــه واحــدة ،
والمقاصد متفقة ، ولكن للاستعارة فضل بيان وابــلاغ ، وحسن
طلاوة «470» وابداع ، وجودة اختصار فى بعــض المواضــع
وايجاز ، كما ورد فى قول الخامسة (ان دخل فهــد ، وان خرج
اسد) ، فانها استعارت له فى كل واحدة من الحالتين خلق واحد
من هذين الحيوانين ، فجاء كلامها «471» فى «472» غاية من
الايجاز والاختصار ، ونهاية من المبالغة والبيــان ، فان مثــال
قولها (فهد ، واسد) : اذا دخل تغافل وتــناوم ، واذا خــرج
صال وشجع . وليس يقتضى هذا انه أبدا فى دخوله وخروجه
بهذه الاوصاف ، فلمــا استعارت لــه خلقى هذيــن السبعين فى
الحالين اللازمين لهما ، المختصين بوصفهمــا ، اعربت بذلــك عن

«467» هيكل : ك ، ـ : س .
«468» باب : ز ، ـ : س .
«469» واذا : ك ، وان : ز م س .
«470» طلاوة : س ، وطلاوة : ز .
«471» كلامها : ز م س ، كلاهما : ك .
«472» فى : س ، على : ز ك .

تخلقه بهما ، والتزامه لوصفيهما ، وعبرت عن جميع ذلك كله بكلمة كلمة كل واحدة من ثلاثة حروف ، حسنة التركيب ، غير عسيرة ، مع جمالهما فى اللفظ ، ومناسبتهما فى الوزن ، وسهولتهما فى النطق ، ثم جاءت باشارة بديعة عن كرمه وكثرة جوده ، وبذل ما بيده ، وللاخذ بالحزم لجميع اموره ، بقولها (ولا يرفع اليوم لغد) ، فان هذا نوع من الاشارة ، وضرب من الكناية ، وهو عندى ادخل فى باب التتبيع والارداف ، وكله من باب الكنايات والاشارات ، وهو التعبير عن الشىء بأحد توابعه ، كما سنبينه ، واما كناية السادسة بقولها (لا يولج الكف) ــ على المذهب الصحيح ــ فمن الكنايات الحسنة ، كما قد فسرناها قبل فى شرح كلامها ، وكذلك قولها (واذا هجع التف) من هذا الباب ، وهو داخل فى باب التتبيع والارداف ، لأنها عبرت بقولها (التف) واكتفت به عن الاعراض عنها ، وقلة الاشتغال بها ، وذكرنا هاهنا ما فى كلامها من مناسبة وملاءمة وطباق والتزام ومضارعة ، كما ذكرنا ما فى كلام السابعة من ترصيع والتزام ، مع ما فيه من حسن التقسيم ، وبديع الوحى والاشارة ، بقولها (كل داء له داء) ، فهذا من لطيف الوحى والاشارة ، على مذهب قدامة بن جعفر ، وذلك انه انطوى تحت هذه اللفظة «473» كلام كثير ، واشتملت هذه الكلمة على شرح طويل ، كقول امرىء القيس :

«473» اللفظة : ز م س ، الالفاظ : ك .

يعطيـك قبل سؤالـه افـانين جـرى

فتحت قوله « افانين » جملة كثيرة ، وأما على مـا حـكاه الحاتمى عن غيره : فان الوحى والاشارة أرق وجوه الاستعارة ، كـقـولـه ·

جعلن السيف بين الجيد منه وبين سواد لحيـته عـذارا

ومن بـاب الوحى والاشارة عندى على القول الاول قولـه تعالى « قضى الامر » «474» وقوله (يحسبـون كل صيحـة عليهم) «475» وقوله (لو كان فيهما آلهـة الا الله لفسدتـا) «476» وقوله (فغشيهم من اليم ما غشيهم) «477» ، وهذه جمل أنبأت بوجازة الفاظها ، واعربت بلطائف اشاراتهـا ، عن معان كثيرة وفصول طويلة ، فهى كما قيل : البلاغة لمحة دالة .

وفى قول الـثامنة سوى ما ذكرنـا من المناسبة والالتـزام «478» : صحة المقابلة ، وهى من أنـواع البلاغـة ، وذلـك فى قولها « وأغلبه والناس يغلب » ، فقابلت غلبتـها ايـاه بغلبتـه للناس ، وهى مطابقة من جهة المعنى .

وفى هذه الفقـرة نفسها نـوع آخـر من البديـع يسمى « التتميم » ، فانها لو اقتصرت على قولها « وأغلبـه » لما كان مدحا ، ولتخيل انه جبان ضعيف ، فلما قالت « والناس يغلب »

«474» سورة يوسف ، الآية 41 .
«475» سورة المنافقون ، الآية 4 .
«476» سورة الانبياء ، الآية 22 .
«477» سورة طه ، الآية 78 .
«478» « الالتزام » : لعل الصواب هكذا ، وهى بالاصول : (والتزام) .

دل على ان «479» غلبهـا ايـاه من حسن عشرتـه ، وكـرم سجاياه ، فتممت بهذه الكلمة قصدها ، وابانت جهد ما عندها ، ومثله قوله تعالى « كونـى بردا وسلامـا » «480» وقولـه (تخرج بيضاء من غير سوء) «481» ، ومثله قول طرفة :

فسقى بلادك غير مفسدها　　صوب الربيـع وديمة تهمى

وفى قول التاسعة سوى ما ذكرناه من المناسبة والاستعارة نوع من البلاغة يسمى « الارداف والتـتبيع » ، وهو من اجلى وجوه البلاغـة ، وارق أنفـاس البديـع ، ولـه من الايجـاز والاختصار المحل الرفيع ، وهو لاحق بابواب الاشارة والوحى والكناية ، وموضوعه أن يقصد الابانة عن معنى فيـترك اللفـظ الخاص به ، الموضوع له ، ويعبر عنه بلفظ من توابـع معنـاه اللازمة ، واسبابه المتعلقة ، واردافه المتضمنة ، وهو نوع يسميه البلغاء بالارداف ، وبعضهم بالتـتبيع ، وفى الوصف بـه والتعبير مع ايجازه نوع من المبالغـة ، ومنـه قولـه تعـالى « مدهامتـان » «482» ، فانـه عبر بهـذه اللفظـة الواحـدة الوجيزة ، والكلمة المفردة البليغة ، عن نعمـة هـذه الجنـة ، ونضارة ثمارها ، وكثرة ريهـا ، وجمال منظرها ، وتمـام حسن اشجارها ، ورونق نباتها ، بتـابع من توابعهـا ، وهى دهمـة خضرتها ، التى لا تكون الا مع تناهى الرى ، وشباب النبات ،

«479» على ان : س ، ان : ز م ك .
«480» سورة الانبياء ، الآية 69 .
«481» سورة طه ، الآية 22 .
«482» سورة الرحمن ، الآية 64 .

وعدم الآفات ، وكذلك قوله تعالى فى ذكر المسيح وأمه « كانا يأكلان الطعام » «483» ، فعبر عن حدوثهما ، وابان عن حلول العوارض البشرية بهما ، بحاجتهما الى أكل الطعام ، وكنى بذلك وأشار الى أن من يأكل الطعام يكون منه الحدث ، وكل هذا مناف لصفات الجلال والالهية ، فتضمنت الآية الارداف والتتبيع والكناية والوحى والاشارة ، فان تحت قوله « يأكلان الطعام » معانى عظيمة ، وفصولا كثيرة .

ويجب أن يتحقق أن الوحى والاشارة قد تتداخل صورها أحيانا مع الارداف والتتبيع ، ومع الكناية ، كما فى هذه الآية ، وأحيانا تدخل فى باب الاستعارة كقوله : قيد الاوابد ، وقد عد قوله « قيد الاوابد » فى الابواب الثلاثة : الاستعارة ، والوحى والاشارة ، والارداف والتتبيع ، واحيانا تأتى الكناية والارداف كشىء واحد كما فى هذه الآية ، فانها تدخل فى باب الوحى والاشارة ، وفى باب الكناية والتعريض ، وفى باب الارداف والتتبيع ، وذلك ان وجه بلاغة هذه الابواب واحد ، وهو المبالغة فى الوصف والايجاز ، ولذلك تشاركها الاستعارة احيانا ، فتأمل هذه التنبيهات تستفيد بها معنى ما تجده متفرقا ومختلفا فى كتب ارباب هذا الشأن : من تسمية بعضهم شيئا بغير ما يسميه به الآخر ، وادخال بعضهم الاية أو البيت فى غير الباب الذى يدخله الثانى فيه «484» ، وعلة

«483» سورة المائدة ، الآية 75 .

«484» فيه : ــ : ز م ك س ، واثباتها ضروري لتتضمن العائد على اسم الموصول .

ذلك ما قلته من تغليب احد الالقاب عليــه ، لظهــوره فى احــد الابواب أكثر من ظهوره فى الآخر ، فكذلك قول هذه « طويــل النجاد » ، فان طول النجاد من توابع الطول ولوازمه ، فلن يطول نجاد احد الا اذا كان طويلا ، وكذلك قولها « عظيــم الرمــاد » من توابع الكرم وروادفه ، لأنه لا يكثر رماده الا لكثــرة وقوده النيران للضيفان ، وكذلك قولهــا « قريب البيت من النــادى » من التتبيع البديع أيضا ، اذ العادة انه لا ينــزل قرب النــادى الا المنتصب للضيفان ، فكان ردفا لجوده وكرمه ، وكان قولــها « طويل النجاد » اكمل وابلغ من قولها : طويلا ، اذ ثــم طول دون طول ، فلما عبرت عنه بما هو من توابعه بقولها « طويــل النجاد » بالغت فى طوله ، وكأنها أظهرت طولــه للسامع صورة يراها ، مع ما فى هذه الصيغة من طلاوة اللفــظ مع الايجــاز ، اذ لو أرادت تحقيق طوله المحمود لطال كلامها ، وكذلك العبارة بكثرة النيران ، ونزول قرب النادى ، مبالغة فى الوصف بالكرم ، وتحت هذه الالفاظ الوجيزة جمل كثيرة ، أعربت هذه الكنــايات اللطيفة والاشارات الخفيفة عنها ، وأينها فى البلاغــة والمبالغــة من قولها لو قالت : زوجى كريم كثير الضيفان ، أو أكرم الناس وأكثرهم ضيفانا ؟ فان واحــدا من هذه الاوصــاف على كثــرة الفاظها ، ومبالغــة أوصافها ، لا ينتهى منتهى واحد من قولهــا « عظيم الرمــاد » ، أو « قريب البيت من النادى » ، ومن هذا الباب قول العاشرة « قليــلات المسارح ، كثــيرات المبــارك ، اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » .

على أن هذه قد امتد نفسها فى الوصف قليلا ، ولكن باحسن عبارة ، واملح استعارة ، والطف اشارة ، وليس من شرط الارداف والتتبيع أن يكون موجز اللفظ ، ولكنه قد يأتى أحيانا كذلك ، ولكن يأتى فى الكلام على هذا النحو كيفما جاء من الديباجة والحسن ما لا شىء فوقه ، ومثله قول أم زرع (أناس من حلى أذنى) ، فعبرت عن كثرة ما حلاها به بأحد توابعه وهو صوت حركته ، ولا يكون ذلك الا مع كثرته ، ولو قالت « حلى اذنى » لم يقع من المبالغة وحسن اللهجة موقع قولها « اناس من حلى اذنى » ، ومنه قولها « أقول فلا اقبح ، وارقد فأتصبح ، واشرب فأتقمح ، وآكل فاتمنح » ، فان تحت كل فقرة من هذه الالفاظ جملا من الكلام ، حسب ما قدمناه ، فكنت عن العزة والكرامة عنده بأنه لا يقبح قولها ، وهو ردف من روادف العزة لازم ، وفصل من فصولها ثابت ، فاكتفت بذلك عما وراءه ، وعبرت عن ترفيهها عن المهنة ، واعفائها من الخدمة ، وكونها مكفية المئونة مدللة ذات خدم وسعة : بنومها الصبحة ، اذ لا ينامها الا من هو بهذه الصفة ، ثم ابانت عن رغد عيشها ، وكثرة نعمتها ، ووفور طعامها وشرابها ، وفضلته عن حاجتها ، بقولها « أتمنح » و « أتقمح » ، اذ لا يكون الرى بعد الرى ، ولا تمنح المرأة وتعطى — مع وصفهن بالبخل — الا مع كثرة الشىء ، وبعد فضلته عن حاجتها ، ومن بديع هذا الباب قول أم زرع « ملء كسائها ، وصفر ردائها » ، فعبرت عن اعتدال خلقها ، وتقسم جسمها بين الرقة والغلظ ، وكون كل عضو منها موفى حقه ، بتابع من توابعه ، وهو ملء الكساء ، وصفر الرداء ،

ثم جمعت كل ثناء ، وطوت كل مدح ، وادمجت كل حسن : من خلق وخلق ، تحت لفظتين ، بقولها « غيــظ جارتها » ، فهــو من باب الارداف ، وان شئــت قلــت «485» من بــاب الوحــى والاشارة ، فقد ذهبت بهذه اللفظة من الايجــاز كل مذهــب ، وأتت فيها من البلاغة والمبالغة والغلو بكل معجز .

وفى كلام أم زرع من البديع حسن التسجيــع ، وكذلك فى كلام هذه التاسعة ، بل كلهن حسان الاسجاع ، متفقات الطباع ، غريبات الابداع ، غير مستكرهات الالفاظ ، ولا ملفقات القوافى ، ولا قلقات الفواصل ، لا سيما هذه التاسعة ، فلا شىء أسلــس من كلامها ولا أربط من نظامها ، ولا اطبع من سجعها ، ولا أغرب من طبعها ، وكأنما فقرها مفرغة فى قالب واحــد ، ومحذوة على مثــال متــوارد ، ثــم مدت نفسهــا فى الفــقــرة الرابعــة ، فأطالتها شيئا استرواحا للخروج ، واشارة للقطع ، وهذا حكــم الاسجاع ، فانها تحتاج الى تقدير ، ويكره فيهــا التطويل ، فان وقع فى أول فقرة من الفقرتين كان عيا ، وخرج عن حد البلاغة ، وتخاذل به الكلام ، وهو فى آخر الفقرتين غير معيب ، بل ربمــا جاء مستحسنا - لا سيما ان توالت الفقر على سجــع واحــد ، وجاءت «486» على تقدير متعاضد ، فالخروج من آخرها بعــد زيادة فيها على تقدير اخواتها أحسن فى السجــع ، واوقــع فى

«485» قلت : س ، ـــ : ز م ك .
«486» جاءت : ز م ك ، توالت : س .

السمع ، وهذا ما «487» لا ينكره حسن الـذوق فى الكتابة ، ولا يجهله «488» الا طبع الطبع فى الخطابة .

وأما تكرير أم زرع اسم أبى زرع فى كلامهـا ، وتصريحها به فى أول فصولها ، فليس من عيـب الكـلام ، ولا من بـاب التـكـرار ، لأن التـكـرار المـعـيـب انـمـا يـكـون اذا كان فى جملة واحدة ، واما مع اختلاف الجمل وبعد ما بينـها فليس بعيـب . ولكنـه منـه مـا يكـون محتمـلا ، ومنـه ما يكون حسنا ، من باب البلاغة ، كقولها « أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ » ، فان التصريح هنا أبلغ من الكناية ، لمـا فيـه من التعظيم والتعجب ، كما قلناه فى قول العاشرة « مالـك ، ومـا مالك ؟ » وقوله تعالى (الحاقة ، ما الحاقة) «489» ، فقد تقدم فيه ما أغنى ، وانما يقبح اذا كان على غير هذا الوجه وكان فى جملة واحدة ، وأما فى جمل مختلفة فليـس بقبيـح «490» ، قال الله تعالى « مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلـم حيث يجعل رسالاته » «491» ، وقد عد الحاتمى وغيره بعض هذا النـوع من أبواب البديع ، وسماه « الترديد » ، وهو أن يعلق الشاعـر لفظة فى البيت — أو الناثر فى الفصل — بمعنى ، ثم يرددها فيه ويعلقها بمعنى آخر ، كقول زهير :

من يلق يوما على علاته هرما   يلق السماحة منه والندا خلقـا

«487» ما : ز م ك ، مما : س .
«488» يجهله : م ك ، ينكره : ز ، يجعله : س وهو تصحيف .
«489» سورة الحاقة ، الآية 1 — 2 .
«490» بقبيح : م س ، يقبح : ز ك .
«491» سورة الانعام ، الآية 124 .

وقال الآخر :

لبس (121) البلى مما لبسن اللياليا

فكرر (يلق) و (لبسن) .

ونازعه فى ذلك الخفاجى ، وقال : ان هذا الترديد كسائر التأليف .

قال الفقيه القاضى الاجل وفقه الله وسدده : والذى عندى ان ما كان من ذلك يضطر الكلام اليه ، ولا يتم المعنى الا به ، فهو على ما قاله الحاتمى ، وهو يفيد الكلام حسنا ورونقا ، لما فيه من مجانسة اللفظ والمعنى ، نحو ما ذكرناه من المثال ، ومثله قوله تعالى « واذا رأيت ثم رأيت نعيما «492» » وقوله (الذى علم بالقلم ، علم الانسان «493») وما كان منه على غير ذلك وكان من جملة أو جملتين كقول الفرزدق :

لعمرك ما معن بتارك حقه ولا منسىء معن ولا متيسر

وقول الآخر :

لا أرى الموت يسبق الموت شىء

نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

وقول امرؤ القيس :

الا اننى بال ؛ على جمل بال يقود بنا بال : ويتبعنا بال

«492» سورة الانسان ، الآية 20 .
«493» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .

(121) « لبس » : كذا بالاصول . ولعلها : « لبسن » .

فغير مستحسن ، بل هو قبيح ، الا أن يأتى للتعظيم كقول الله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالاته) «494» ، وعليه حمل بعضهم ما تكرر فى البيتين الاولين من ذكر «معن» ، والموت ، أو للتأكيد كقوله تعالى (فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا) «495» على قول بعضهم ، وكتكراره عليه السلام كثيرا من كلامه ، أو للبيان كقوله تعالى (الذى خلق ، خلق الانسان من علق) «496» وقوله تعالى (الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) «497» ، أو يكون تكرار ذلك اللفظ مما يستلذ الناطق به ، كما قال :

« وبالافواه اسماؤهم تحلو »

وقد قال المعرى فى قول الشاعر :

الا حبذا هند ، وارض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

فقال : من حبه لهذه المرأة لم ير تكرير اسمها عيبا ، فهو يجد اللفظ بها حلاوة ، فأم زرع فى تكرار اسمه فى فصول كلامها مصرحة به غير مضمرة له ، ولا مكتفية بما تقدم من اظهاره : اما لعظمه فى نفسها ، وبأوها «498» به وفخرها ، أو لحلاوة ذكره فى فمها ومكانته من قلبها ، بدليل آخر الحديث ، أو لابانة وصفها ، وكشف اللبس فى قصصها ، لانها لو قالت :

«494» سورة الانعام ، الآية 124 .
«495» سورة الانشراح ، الآية 5 — 6 .
«496» سورة العلق ، الآية 1 — 2 .
«497» سورة العلق ، الآية 4 — 5 .
«498» بأوها : ز ك ، برها : س .

ابنته ، وجاريته ، وطهاته ، ومـــاله ، وضيفه ، على مـــا ورد فى بعض الطرق ، حتى : كلبه ، فقد ذكر ابن الانبارى وابو القاسم البغوى من رواية هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونـــس ، عن هشام بن عروة ، عن اخيه عبد الله ، عن عروة انه قال : وقـــد كانت عائشة وصفت لى كاب أبى زرع فانسيته ، فلو ذكرت أم زرع هذه الاشياء مضافة ، بعد وصفها لابنه ، لادخلت الايهـــام بينه وبين ابنه ، فكان قولها « بنـــت أبى زرع » « جاريـــة أبى زرع » « خرج أبو زرع » اجلـــى فى الوصف ، لا سيمـــا مع أن تكرار ذكره انما هو فى «499» ابتداء جملة واستئـــناف قصة ، فهو غير قبيح . وأما تكرارها فى أول كل قصة اسمه مرة أخرى من قولها « فما ابن أبى زرع ؟ » « فمـــا جارية أبى زرع ؟ » ، فقد تقدم أنه بمعنى التعجب والتعظيم ، وان الوجه فيه الاظهار ، وهو الفصيح ، لأنه المقصـــد والغـــرض من التـــنـــويه ، وفى الاضمار اخفاء وتمويه .

هنا انتهى بنـــا القول فيما حررنـــاه من الكـــلام فى هـــذا الحديث ، وقد احتوى على جمل من فنون العلم حسان ، وفقـــر من ضروب الادب غراب «500» ، وخرجنا فيه نحـــو عشرين مسألـــة من الفقـــه ، ومثلهـــا مـــن العـــربيـــة ، مـــع كثـــرة ما ذكرنا فيه من كلام الشارحين واصحاب المعانى ، وترجيـــح الصواب ، وتولبد كثير مما لم يتـــقدم فيـــه كلام بلغـــه علمى ،

«499» فى : ك ، من : ز م س .
«500» غراب : ز م ك ، عذاب : س .

وانتهى اليه ذكرى ، واقتصرت فى أكثر ما ذكرته من اللغات على رفعها الى ذاكرها من مقانع هذا العلم ، واستغنيت بذلك عن الشاهد الا فى النادر ، حرصا على الاختصار ، واكتفاء بقول اولئك القدوة ، اذ هم المقلدون فى ذلك ، وذكرت الشواهد فى المعانى تمهيدا لها ، واظهارا لوجوهها ، وحجة على صحة تأويلاتها ، لاشتراك الخواطر فيها ، وتوارد العقول عليها ، وحررت فى هذا الفصل الاخير من علم البلاغة ، واستثرت ما فى كلامهن من سر الفصاحة ، وغرائب النقد ، وبديع الكلام ، ما فيه غنية لمتأمليه ، ممن شدا فى باب الادب شيئا ، وتطلع لأن يعلم صناعة تأليف الكلام ، ويفهم منازع أرباب هذا الشأن ، وعلى الله ــ جل اسمه ــ الاعتماد فى العفو عن الزلل ، والرغبة فى غفران المباهاة فى القول والعمل ، فهو ــ جل اسمه ــ ولى العصمة ، ومولى الرحمة ، ومؤتى شكر النعمة ، لا اله غيره ، وصلواته على مصطفاه من خلقه ، محمد نبيه ، وعلى آله ، وسلامه كثيرا .

فى آخر النسخة الزيدانية :

تم الكتاب بحمد الله تعالى ، وحسن عونه ، وصلى الله على سيدنا محمد ، المصطفى من بريته ، وسلم كثيــرا ، وذلــك فى الرابع عشر من شهر الله المبارك شعبان ، عام ثمانية وثلاثين ومائـــة والــف .

وفى آخر النسخة الملكية :

تم الكتاب والحمد لله حق حمده ، وصلواته على خيــــر خلقه ، محمد عبده ورسوله ، واهلــه وصحبه ، وسلم تسليمـــا كثيرا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . كتبه العبد الفقير ، الراجـــى رحمة الله ، احمد رشيد .... الانصارى الدمشقى لنفسه ، بـــدار الحديث الكاملية ، بالقاهرة السعيدة ، وكان الفــراغ من نسخة يوم .... السادس والعشرين من ربيع الآخر ، سنة اثنتين واربعين وستمائة ....

وفى آخر النسخة الكتـــانية :

انتهى بحمد الله وحسن عونه ، على يـــد كاتبه الفقير الى الله ، الراجى عفو مولاه ، محمـــد البجائى ، الشريف نسبـــا ، ابن على بن احمد ابن الحاج الجود ، غفر الله لـــه ولوالـــده ، آمــــين .

تفسير حديث أم زرع

من تاليــف سيدى عبد الرحمن السيوطى

فى تــعلــيــقــه علــى الــبــخــارى

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حديث أم زرع أفرد شرحه بالتصنيف خلائق ، آخرهم القاضي عياض . (حدثنا عيسى بن يونس ....) أكثر الرواة عنه وقفوه ، الا أحمد بن داود الحرانى فانه رواه عنه فقال فى أوله : عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه النسائى وغيره من أوجه أخرى مرفوعا . قال ابن حجر : (ويقوى رفعه ان قوله فى آخر الحديث « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » متفق على رفعه ، وذلك يقتضى أن يكون صلى الله عليه وسلم سمع (1) القصة وعرفها فأقرها ، فيكون كله مرفوعا من هذه الحيثية (2)) . « جلس احدى عشرة امرأة » . زاد الزبير بن بكار : « من أهل اليمن » .

قالت الاولى : — اسمها مهدد بنت أبى مهزومة — : « زوجى لحم جمل غث » ، بالجر صفة جمل ، وبالرفع صفة

---

(1) كلمة « سمع » غير موجودة بالاصل ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى .
(2) فتح البارى (11 : 165) ، والنص منقول بتصرف .

لحم ، وهو بفتح المعجمة وتشديد المثلثة أى الهزيل ، لأنه يستغث من هزاله أى يستكره ، من قولهم غث الجرح سال قيحا ، واستغثه صاحبه ، وأكثر استعماله فى مقابلة السمين . « على رأس جبل » زاد الترمذى : « وعر » ، والزبير بن بكار : « وعث » ، وهو أوفق للسجع ، والوعث بمثلثة : الصعب المرتقى ، بحيث يشق فيه المشى ، ويصعب فيه التخلص منه ، والوعر : الكثير الصخر الشديد الغلظة ، يصعب الرقى اليه . « لاسهل » بالفتح بلا تنوين ، وبالرفع على تقدير هو ، وبالجر منه (3) ، وللنسائى : « لا سهلا » بالتنوين ، وله أيضا « لا بالسهل » وكذا « ولا سمين » بالخمسة (4) . « فيرتقى » أى يصعد فيه . « ولا سمين فينتقل » بمعنى ينقل ، أى لهزاله لا يرغب فيه أحد فينقله (5) اليه . ولأبى عبيد « فينتقى » وهو أوفق للسجع ، أى ليس له نقى يستخرج ، والنقى المخ ، وقد كثر استعماله فى اختيار الجيد من الردىء . قال عياض : (فيه تشبيه شيئين بشيئين ، شبهت

---

(3) وجه الجر كما قال عياض : (على النعت للجبل وترك اعمال « لا » وتقديرها ملغاة زائدة فى اللفظ لا فى المعنى ، وهذا احد وجوهها عند النحاة . وقد يكون له ايضا وجه آخر : وهو ان تقدر « لا » بمعنى « غير » ، فيكون « سهل » خفض بالاضافة اليها) .

(4) اى انه يجوز فى قولها « لا سهل ولا سمين » خمسة اوجه : لا سهل ولا سمين ببناء الاسمين على الفتح ، لا سهل ولا سمينا الاول على الفتح ورفع الثانى ، لا سهل ولا سمين برفع الاول ببناء الاول على الفتح ونصب الثانى ، لا سهل ولا سمين ببناء وبناء الثانى على الفتح ، لا سهل ولا سمين برفع الاسمين .

(5) فينقله : ت ، فينتقله : ع .

زوجها باللحم الغث ، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر ، ثم فسرت ما أجملت فكأنها قالت : لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلا ، لان الشىء المزهود فيه قد يؤخذ اذا وجد من غير نصب ، ولا اللحم سمين فيحتمل المشقة فى صعود الجبل لأجل تحصيله ، وشبهته بلحم الجمل دون غيره من اللحوم لأنه ليس فى اللحوم أشد غثاثة منه ، لانه يجمع خبث الطعم وخبث الريح) (6) .

قالت الثانية : ــ لم تسم ــ ، « زوجى لا أبث خبره » بالموحدة ثم المثلثة ، أى لا أظهر حديثه ، وروى « لا أنث (7) » بالنون ، وهو ذكر خبر الشر ، وللطبرانى : لا أنم . « انى أخاف أن لا أذره » أى أن لا أترك شيئا من خبره ، فالضمير للخبر ، أى انه لطوله وكثرته ان بدأته لم أقدر على تكميله ، فاكتفت بالاشارة الى معايبه خشية أن يطول الخطب بايراد جميعها . وقيل الضمير للزوج ، أى أخاف أن لا أقدر على تركه لعلاقتى به وأولادى منه ، فاكتفت بالاشارة الى أن له معايب وفاء بما التزمته من الصدق ، وسكتت عن تفسيرها للمعنى الذى اعتذرت به . «ان أذكره أذكر عجره وبجره » بضم العين المهملة أول الاول والموحدة أول الثانى وفتح الجيم فيهما ، جمع عجرة وبجرة ، فالاولى تعقد العصب

---

(6) بغية الرائد ، فى الكلام على قول المراة الاولى ، والنص منقول باختصار وتصرف ، ومعظمه منقول من فصل « بيان » عند الكلام على قول الاولى ، وآخره منقول من « غريب قول الاولى » .

(7) لا انث : ع ، انث : ت . ولعل الاولى بالصواب اثباتها مع اداة النفى .

والعروق فى الجسد حتى تصير ناتئة ، والثانية كذلك ، الا أنها مختصة بالتى فى البطن ، وقيل العجرة نفخة فى الظهر (8) والبجرة نفخة فى السرة ، وقيل العجر العقد فى البطن واللسان والبجر العيوب ، وقيل العجر فى البطن والجنب والبجر فى السرة . هذا أصلهما ثم استعملا فى الهموم والاحزان وفى المعايب . قال الخطابى : أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة .

قالت الثالثة : ـ اسمها كبشة بنت الارقم ـ : « زوجى العشنق » بفتح المهملة ثم المعجمة ثم النون المشددة وقاف ، أى الطويل المذموم الطول ، وقيل القصير ، وهو من الأضداد ، وقيل السىء الخلق ، وقيل المقدام الجرىء انشرس ، وقيل هو الطويل النجيب الذى يملك أمر نفسه ولا يحكم النساء فيه بل يحكم فيهن بما شاء فزوجته تهابه أن تنطق بحضرته فهى تسكت على مضض (9) ، قال الزمخشرى : وهى من الشكاية البليغة ، « ان أنطق » بأمر أراجعه فيه « أطلق ، وان أسكت أعلق » أى أكون عنده معلقة لا ذات زوج فأنتفع به ولا مطلقة ، زاد ابن السكيت بعده : « على حد السنان المذلق » بفتح المعجمة وتشديد اللام ، أى المجرد وزنا ومعنى ، تشير الى أنها منه على حذر .

(8) الظهر : ت ، البطن : ع . ولعل الصواب هى الكلمة الاولى اخذا من كلام القاضى عياض .

(9) فى الاصلين : « مغض » ، ولعل الصواب ما اثبته .

قالت الرابعة : ـــ لم تسم ـــ : « زوجى كليل تهامة » ، هو مما يضرب به المثل فى الحسن لأنها بلاد حارة وليس فيها رياح باردة فاذا كان الليل كان وهج الحــر ساكنــا فيطيــب الليــل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار ، ولهــذا قالت « لا حر ولا قر » أى شدة برد ، وللنســائى : « ولا بــرد » بدله ، وهما بالفتح بلا تنوين ، ولأبى عبيــد بالرفــع منونــا ، « ولا مخافة ولا سآمة » أى ملل ، زاد الهيثم : « ولا وخامة » بخاء معجمة ، أى ثقل ، زاد الزبير : « والغيث غيث غمامة » . والحاصل أنها وصفت زوجها بطيب العشرة وحسنها ، واعتدال الحال ، وسلامة الباطن ، وعدم الشر فــلا يخــاف أذاه ، وعدم السآمة منها أو منه ، لحسن عشرته ، ولين جانبه ، وخفة وطأته .

قالت الخامسة : ـــ اسمها حبى ، بضــم المهملــة وتشديد الموحدة ، مقصور ، بنت علقمة ـــ : « زوجى ان دخل فهد » ، بفتح الفاء وكسر الهاء ، أى فعل فعل الفهود ، شبهته بالفهد فى لينه وغفلته مدحا ، لأن الفهد يوصف بالحيــاء ، وقلــة الشر ، وكثرة النوم ، « وان خرج أسد » بفتح أوله وكسر السين ، أى فعــل فعــل الاســود مــن الشهــامــة والصــرامــة بــين الناس ، « ولا يسأل عما عهد » : أى انه كثير الكــرم ، شديــد التغاضى ، لا يتفقد ما ذهب من بيته من مال وطعــام ، وقيــل انها أرادت الذم ، وهو أنه يثب عليها بالجماع كالفهــد ، لغلــظ طباعه ، وليس عنده ما عند الناس من المداعبة والملاعبة قبله ، أو بالضرب والبطش ، واذا خرج على الناس كان أمره أشد فى

الجرأة والاقدام ، ولا يتفقد حالها وحال بيتها وما تحتاج اليه . والاكثر شرحوه على المدح . ووقع فى رواية الزبير بن بكار مقلوبا : « اذا دخل أسد ، واذا خرج فهد » ، فان صح فالمراد أنه اذا خرج الى الناس كان فى غاية الرزانة والوقار وحسن السمت ، واذا دخل منزله كان متفضلا مواسيا ، لأن الاسد يوصف بأنه اذا افترس أكل من فريسته بعضا وترك الباقى لمن حوله من الوحوش ولم يهاوشهم عليها ، وزاد : « ولا يرفع اليوم لغد » ، أي لا يدخر ما حصل عنده اليوم من أجل الغد ، كناية عن جوده ، وهو يؤيد ارادة المدح .

قالت السادسة : ـ اسمها بنت أوس بن عبد ـ : « زوجى ان أكل لف » ، أى استقصى ما قدم اليه فلا يترك منه شيئا ، وروى رف بالراء بمعناه ، وللنسائى : اقتف ، بقاف ومثناه ، أى جمع واستوعب ، « وان شرب اشتف » بمعجمة ومثناة : استقصى ، مأخوذ من الشفافة بالضم والتخفيف ، وهى البقية تبقى فى الاناء ، فاذا شربها الذى شرب الاناء قيل اشتفها ، وروى بمهملة وهى بمعناها « وان اضطجع التف » : أى رقد وحده وتلفف بكسائه وانقبض عن أهله اعراضا . زاد النسائى بعد هذه : « واذا ذبح اغتث » أى تحرى الغث ، وهو الهزيل ، « ولا يولج الكف ليعلم البث » أى لا يمد يده اليها ليعلم ما بها من حزن أو مرض أو أمر مكروه ، لقلة شفقته عليها .

قالت السابعة : ـ اسمها هند ـ : « زوجى غياياء » بفتح المعجمة وتحتيتين خفيفتين ، أو عياياء بمهملة ، شك من عيسى

بن يونس ، وللنسائى من طريق غيره الجـزم بالاولـى ، وهو مأخوذ من الغى ضد الرشد ، وهو المنهمك فى الشـر . والثانى من اعى بالكسر وهو الذى تعييه مباضعة النساء . « طباقاء » : هو الأحمق ، وقيل : الثقيل الصدر عند الجماع ، يطبـق صدره على صدر المرأة فيرتفع عجزه عنها ، وهو مذموم عند النساء ، « كل داء له داء » : أى كل ما تفـرق فى النـاس من المعايب موجـود فيـه . وخبـر « كـل » جـمـلـة « لـه داء » ، و « له » صفة ما قبله : « شجك » بمعجمة وجيم مشددة : أى جرحك فى رأسك . زاد ابن السكيت : « أوبجـك » بموحـدة وجيم : أى طعنك ، « أوفلك » بفـاء ولام مشددة : أى جـرح جسدك ، « أو جمع كلا لك » : المراد أنـه ضروب للنسـاء ، فاذا ضرب فاما أن يشج رأسا ، أو يجرح جسـدا ، أو يجمـع الأمرين معا . وفى رواية الزبير : « ان حدثته سبك ، وان مازحته فلك ، والا جمع كلا لك » .

قالت الثامنة : ـــ اسمها عمرة بنت عمـرو ـــ : « زوجـى المس مس أرنب » هى دويبة لينة المس ناعمة الوبر ، « والريح ريح زرنب » بزاى أوله ، نبت طيب الريح . واللام فيها نائبـة عن الضمير . وصفت لين جسده وطيب رائحته ، أو كنت بذلك عن حسن خلقه وجميل عشرته . زاد النسائى : « وأنا أغلبـه والناس يغلب » ، فوصفته مع جميل عشرته لها وصبره عليهـا بالشجاعة ، فهو احتراس فى غاية الحسن .

قالت التاسعة : ـــ اسمها كبشة ـــ : « زوجى رفيع العماد »،

أى عالى البيت ، كناية عن الشرف ، فان الاشراف كانوا يعلون بيوتهم ويضربونها فى المواضع المرتفعة ، ليقصدهم الطارقون والوافدون . « طويل النجاد » بكسر النون وتخفيف الجيم : حمائل السيف ، كناية عن طول القامة ، وكانت العرب تمدح بذلك وتذم بالقصر . « عظيم الرماد » : كناية عن كونه مضيافا . « قريب البيت من الناد » : أصله النادى ، فحذفت الياء للسجع ، وهو مجلس القوم ، وكذلك كانت بيوت الأشراف بين مجالس القوم ، لتسهل مراجعتهم فى الامور ومشاورتهم ، زاد الزبير : « لا يشبع ليلة يضاف ، ولا ينام ليلة يخاف » .

قالت العاشرة : ــ اسمها حبى بنت كعب ــ : « زوجى مالك ، وما مالك ؟ » استفهام تعظيم وتفخيم ، أى انه أمر عظيم لا يعبر عنه . « مالك خير من ذلك » أى انه أعظم مما ذكر به من خير ، وفوق ما اعتقد فيه من سؤدد ، فالاشارة بذلك الى ما تعتقده فيه من صفات المدح ، أو الى ما ستذكره به ، أو الى ما تقدم من الثناء على الذين قبله . « له ابل كثيرات المبارك » بفتح أوله : جمع مبرك ، بفتحتين ، موضع بروك الابل . « قليلات المسارح » جمع مسرح ، وهو الموضع الذى تطلق لترعى فيه ، اشارة الى كثرة ضيفانه واستعداده لهم ، فهى باركة حول بيته ليذبح منها عند مفاجأة الضيف ، ولا يوجه منها الى المسارح الا قليلا ، « اذا سمعن صوت المزهر » بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الهاء : آلة من آلات اللهو ، وقيل دف مربع ، وغلط من زعمه بضم الميم وكسر

النهاء ، قائلا انه الذى يوقد النار فيزهرها للضيفان . « أيقن أنهن هوالك » أى لما علم من عادته بنحر الابل لقرى الضيف . زاد ابن السكيت « وهو امام القوم فى المهالك » أى الحروب ، لشجاعته .

قالت الحادية عشرة : — وهى أم زرع بنت اكيمل بن ساعدة — : « زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ » استفهام تعظيم كما تقدم ، وكذا ما بعده ، (أناس) : أى أثقل حتى تدلى واضطرب (من حلى) بضم المهملة وكسر اللام (أذنى) بالتثنية . زاد ابن السكيت : (وفرعى) أى يدى ، تعنى أنه حلى أذنيها ومعصميها (وملأ من شحم عضدى) قال أبو عبيد : لم ترد العضدين وحدهما ، بل الجسد كله لأن العضد اذا سمن سمن سائر الجسد « وبجحنى » بموحدة ثم جيم خفيفة ، والنسائى شديدة ثم مهملة ، « فبجحت » بسكون المثناة ، ولمسلم « فتبجحت الى نفسى » قال أبو عبيد : أى فرحها ففرحت . وقال ابن الأنبارى : عظمها فعظمت . وقال ابن السكيت : فخرها ففخرت . وقال ابن أبى أويس : المعنى وسع عليها وترفها (وجدنى فى أهل غنيمة) تصغير غنم (بشق) بكسر المعجمة ، قال الخطابى : والصواب فتحها ، اسم موضع كانوا فيه ، وقال الأنبارى : هو بالفتح والكسر موضع ، وقال ابن قتيبة وغيره : هو بالكسر أى بجهد من العيش كقوله : « بشق الأنفس » . (فجعلنى فى أهل صهيل) أى خيل (واطيط) أى ابل ، وهو صوت أعواد المحامل والرحال عليها ،

(ودائس) اسم فاعل من الدوس : أى زرع يداس ، أى يدرس كالقمح والشعير ، (ومنق) بضم الميم وكسر النـــون وتشديد القاف : أى أهل نقيق ، وهو أصوات المواشى ، وقيل الدجاج ، والمراد أنه :قلها من أهلها أهل الضيق فى المعيشة الى أهـــل رفاهية (10) وسعة ، (فعنده أقول فلا أقبح) أى فـــلا يقبـــح قولى ، ولا يرد على ، لاكرامه لها (وأرقد فأتصبح) أى أنـــام الصبحة ، وهى نوم أول النهار ، فلا أوقظ ، اكراما لهـــا أيضا ، (وأشرب فأتقنح) بالقاف والنون المشددة وحاء مهملة ، وبالميم خارج الصحيحين بدل النون ، وهما بمعنى الرى بعد الـــرى ، أى تشرب حتى لا تجد مساغا ، زاد الهيثم : (وآكل فأتمنح) أى أطعم غيـــرى .

(أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكومها) بضم المهملة ، جمع عكم ، بكسرها وسكون الكاف : الاعـــدال والاحمال التى يجمع فيها الأمتعة ، وقيل : نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتهـــا « رداح » بكسر الراء وفتحها آخره مهملة : ملاء أو عظام كثيرة الحشو « وبيتها فساح » بفتح الفاء والمهملة خفيفة : أى واسع . ولأبى عبيد « فياح » بوزنه ومعناه .

« ابن أبى زرع ، فما ابن أبـــى زرع ؟ مضجعـــه كمســـل شطبة » هى الواحدة من سدى الحصير ، أى قدر ما يسل منها فيبقى مكانه فارغا ، كناية عن هيف القد وأنه ليس ببـــطين (11)

---

(10) رفاهية : ت ، رفاهة : ع . وكلاهما بمعنى .

(11) ببطين : ت ، ببـــطـــن : ع . والبطين : العـــظـــيم البطـــن ، والبطن : الذى لا هم له الا بطنه . ولعل الصواب الاولى .

ولا جاف ، « ويشبعه ذراع الجفرة » بفتح الجيم وسكون الفاء : الأنثى من ولد المعز اذا كان ابن أربعة أشهر . زاد ابن الأنباري « وترويه (12) فيقة اليعرة » بكسر الفاء وسكون التحتية وقاف : ما يجتمع في الضرع بين الحلبتين ، واليعرة بفتح التحتية وسكون المهملة وراء : العناق ، أي انه قليل الاكل والشرب ، زاد أيضا : « ويميس » بمهملة ، أي يتبختر ، « في حلق النثرة » بنون وسكون المثناة (13) : الدرع اللطيفة ، أي انه ملازم لآلة الحرب .

« بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ؟ طوع أبيها وطوع أمها » أي انها بارة بهما زاد الزبير : « وزين أهلها ونسائها » أي يتجملون بها « وملء كسائها » أي ممتلئة شحما . زاد ابن السكيت : « وصفر ردائها » بكسر المهملة وسكون الفاء : أي خال فارغ لسمن أكتافها ، وقيام نهودها ، فلا يمس شيئا من ظهرها ولا من بطنها « وغيظ جارتها » أي ضرتها ، لحسنها . ولمسلم بدل وغيظ : « وعقر » ، ولغيره : « وغير » من الغيرة ، وللهيثم : « وعبر » بمهملة وموحدة ، من العبرة ، وللنسائي : « وحير » بمهملة وتحتية ، من الحيرة ، وله أيضا « وحين » بالنون ، أي : هلاك ، زاد ابن السكيت : « قباء » بفتح القاف وتشديد الموحدة ، أي ضامرة البطن ، « هضيمة (14)

---

(12) ترويه : ت ، يرويه : ع

(13) قوله « وسكون المثناة » : غلط وقع فيه تبعا لابن حجر ، والصواب : بسكون المثلثة . اما « النترة » بالمثناة فهي الطعنة النافذة .

(14) « هضيمة » : هكذا في شرحي ابن حجر والقسطلاني ، وهو الصواب ، وفي الاصل : « عظيمة » ، وهو غلط .

الحشا » وهو بمعناه ، « جائلة (15) الوشاح » أى يدور وشاحها بضمور بطنها ، « عكناء » أى ذات اعكان ، « فعماء » بمهملة ، أى ممتلئة الجسم ، « نجلاء » بنون وجيم ، أى واسعة العين ، « دعجاء » أى شديدة سواد العين ، « رجاء » بالراء وتشديد الجيم ، أى كبيرة الكفل ترتج من عظمه ، أو بالزاى ، أى مقوسة الحاجبين ، « قنواء » أى محدودبة الأنف ، « مؤنقة » بنون شديدة وقاف « مفنقة » بوزنه ، أى مغذاة بالعيش الناعم . زاد ابن الأنبارى : « برود الظل » أى حسنة العشرة ، « وفى الال » أى العهد ، « كريم الخل » بكسر المعجمة ، أى الصاحب .

« جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثنا تبثيثا » وروى « تنثيثا » بالموحدة والنون ، أى لا تظهره ، وهما بمعنى ، الا أن النث بالنون فى الشر خاصة ، « ولا تنقث ميرتنا تنقيثا » بتشديد القاف بعدها مهملة ، أى لا تسرع فى الطعام بالخيانة ولا تذهبه بالسرقة ، وضبطه عياض بسكون النون وبضم القاف ، وضبطه الزمخشرى بالفاء المشددة ، وللزبير بدله : « ولا تفسد » ، وله أيضا : « ولا تنقل » ، ولابن الأنبارى : « ولا تغث » بمعجمة ومثلثة ، أى لا تفسد ، من (الغثة) بالضم وهى السوسة (16) ، وللنسفى :

(15) « جائلة » : هكذا فى شرحى ابن حجر والقسطلانى ، وهو الصواب ، وفى الاصل : « حائلة » ، وهو تصحيف .

(16) « الغثة » : الشىء اليسير من المرعى ، وقيل : هى البلغة من العيش ، وقد اخطأ السيوطى فى تفسيرها حيث فسرها بالسوسة . اما السوسة فهى « العثة » بالعين المهملة .

« ولا تقش » من (الاقشاش) ، وهو طلب الاكل من ها هنا وها هنا ، وكلها راجعة الى معنى الافساد .

« ولا تملأ بيتنا تعشيشا » بمهملة أى انها مصلحة البيت مهتمة بتنظيفه ، وبمعجمة من (الغش) ، أى لا تملؤه بالخيانة بل هى ملازمة للنصيحة فيما هى فيه ، وقيل هو كناية عن عفة فرجها ، أى انها لا تملأ البيت وسخا بأطفالها من الزنا ، وقيل : عن وصفها بأنها لا تأتيهم بشر ولا نميمة ، وللهيثم : « ولا تنجث أخبارنا تنجيثا » بنون وجيم ومثلثة ، أى لا تستخرجها .

زاد الحارث ابن أبى أسامة والاسماعيلى : « قالت عائشة .. حتى ذكرت كلب أبى زرع » .

زاد الهيثم بن عدى فى روايته : « ضيف أبى زرع ، فما ضيف أبى زرع ؟ فى شبع ورى ورتع ، طهاة أبى زرع ، فما طهاة أبى زرع ؟ لا تفتر ولا تعدى ، تقدح قدرا وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة بالاولى ، مال أبى زرع ، فما مال أبى زرع ؟ على الجمم معكوس ، وعلى العفاة محبوس » . قوله « طهاة » بضم المهملة ، هم الطباخون ، « ولا تعدى » : لا تصرف ، « تقدح » أى تغرف ، و « تنصب » : ترفع على النار ، و « الجمم » : جمع جمة : القوم يسألون فى الدية ، و « معكوس » : مردود و « العفاة » : السائلون ، و « محبوس » : موقوف .

قالت : « خرج أبو زرع » زاد النسائى من عندى

« والاوطاب تمخض » جمع وطب بالفتح وسكون المهملة : وعاء اللبن « فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين » ، لابن الانبارى : « كالصقرين » ولغيره : « كالشبلين » اشارة الى صغر سنهما ، وشدة خلقهما « يلعبان من تحت خصرها برمانتين » قال أبو عبيد : تريد أنها ذات كفل عظيم فاذا استلقت ارتفع كفلها بها من الارض حتى تصير تحتها فجوة تجرى فيها الرمانة « فطلقنى ونكحها » زاد الحارث : « فأعجبته » وفى بعض طرقه أنه نكحها فلم تزل به حتى طلق أم زرع « فنكحت بعده رجلا » للنسائى : « فاستبدلت وكل بدل أعور » ، وهو مثل معناه أن البدل من الشىء غالبا لا يقوم مقام المبدل منه ، بل هو دونه ، والاعور : المعيب والردىء « سريا » من سراة الناس أى شرفائهم « ركب شريا » بمعجمة بوزن ما قبله : أى فرسا خيارا فائقا . وللحارث : « ركب فرسا عربيا » ، « وأخذ خطيا » بفتح المعجمة وكسر المهملة المشددة : هو الرمح ، ينسب الى الخط ، موضع بنواحى البحرين تجلب منه الرماح ، « وأراح » أفعل من الرواح ، وهو مجىء الابل آخر النهار « على نعما ثريا » بمثلثة : أى كثيرة « وأعطانى من كل رائحة » براء وتحتية ومهملة : أى نعم آتية وقت الرواح ، ولمسلم « ذابحة » أى من كل شىء يذبح « زوجا » أى اثنين .

« كنت لك كأبى زرع لأم زرع » زاد الهيثم : « فى الالفة والوفاء ، لا فى الفرقة والخلاء » زاد الزبير :

« الا أنه طلقها وانى (17) لا أطلقك » فقالت عائشة : بأبى أنت وأمى ، لأنت خير لى من أبى زرع لأم زرع .

فائدة : فى رواية أبى يعلى فى هذا الحديث : وذكر شعر أبى زرع فى أم زرع ولم يسقه . قال ابن حجر : (ولم أقف فى شىء من طرقه عليه) (18) .

قال العلماء : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ولم ينكره مع ما فيه من غيبة الأزواج لانهم مجهولون ، ولا حرج فى سماع الكلام فى مجهول لأنه لا يتأذى الا اذا عرف أن (19) من ذكر عنده يعرفه .

---

(17) واني : ت ، وانا : ع .

(18) فتح البارى (11 : 185) .

(19) كلمة « ان » غير موجودة بالاصلين ، ولا يتم الكلام بدونها ، والتصحيح من فتح البارى (11 : 186) .

محتوى « بغية الرائد »

صفحة

صفحة

صفحـة

صفحة

(وهو شرح مختصر لطيف لحديث ام زرع ، ارتأت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ان تجعله فى ختام شرح القاضـــي عيـــاض رحمهما الله ليعم بهما النفع وتتم الفائدة) .

الطبعة الثانية : 1982

رقم الإيداع القانوني ـ 301 / 1982

مطبعة فضالــة ـــ المحمديــة